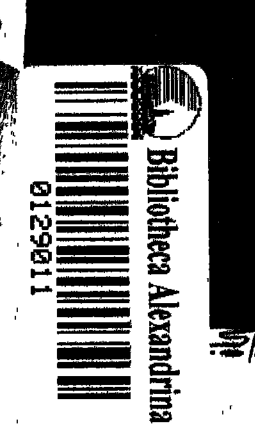


بحر الدموع

للإمام
أبى الفرج بن الجوزى

حقق
بقسم التحقيق بالدار



دار الصحابة للتراث بطنطا





للإمام

أبى الفرج بن الجوزى

حقق

بقسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:

طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

تقديـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾(*) ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾(**) .

﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾(***) .

وبعـــد :

فهذه صفحات من تراثنا النفيس ، نحن فى حاجةٍ إليها فى خضم هذه الأفكار المستوردة، وتلك المفاهيم الغريبة عن ديننا ، البعيدة كل البُعد عن أخلاق أهل ديارنا .

(*) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(**) سورة النساء : ١ .

(***) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

فالحمد لله الذى وفقنى إلى إخراجها إلى عالم النور ، بعد أن ظلت حبيسة
فى عالم المخطوطات لقرونٍ طوال .

« مقدمــة التحقيـــق »

نبذة عن عصر ابن الجوزى :

عاش ابن الجوزى فى القرن السادس الهجرى وعاصر ظواهر اجتماعية متعددة فى بغداد فى هذا الوقت ومن ضمن هذه الظواهر التى عاصرها ابن الجوزى ظاهرة العزلة واللجوء إلى المساجد والجبال بسبب عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى الذى اتسم به هذا العصر مما أدى إلى اتساع التيار الصوفى وانتشاره فى المجتمع فى هذه الفترة وكأنها حركة احتجاج سلبى على تجاوزات السلطة فى ذلك العصر حيث انحصرت نشاطات هؤلاء المتصوفة على شعائر معينة وطقوس مختلفة فكانت هذه التيارات المنعزلة والمنغلقة بمثابة رد فعل على تيارات الفساد والمجون وعدم الاستقرار فى هذا العصر .

نشأ ابن الجوزى فى هذا العصر وتأثر به فى بداية حياته فقد سلك طريق العباد والزهاد فترة من حياته العملية كما أشار هو بنفسه إلى ذلك بقوله : « كنت فى بداية الصبوة قد التمست طريق الزهاد بإدامة الصلاة والصوم وحُبِّبت إلىّ الخلوة »وهذا يفسر لنا بعض الأشياء التى ذكرها عن المتصوفة وكراماتهم وخوارقهم والتى ربما توهم القارىء بأن ابن الجوزى يؤيد الصوفية والمتصوفين ويقرهم على ما هم فيه من بدع وضلالات وهذا محال من ابن الجوزى صاحب السيف البتار المسلول على أباطيل المتصوفة والمشعوذين ، تجد ذلك فى كتابه القيم «تلبيس إبليس» الذى خصص فيه جزءاً كبيراً لكشف ألاعيبهم وبيان تلبيس إبليس عليهم فى عبادتهم وانخداعهم بذلك فى أسلوب علمى شرعى يدل على تمكن ووعى تام بالأدلة النقلية والعقلية التى تفضح أباطيلهم .

* عرض الكتاب :

وبعد هذه المقدمة والتى أرجو أن أكون قد ألقيت من خلالها بعض الضوء على العصر الذى عاش فيه ابن الجوزى وتأثيره عليه أود أن أقوم بعرض موجز للكتاب الذى بين يديك – أخى القارىء – أعنى كتاب «بحر الدموع» . وهو كتاب فى المواعظ التى اشتهر بها ابن الجوزى فى عصره أيما اشتهار ولم يكن هناك فى عصره من يضارعه فى تلك الموهبة الوعظية التى رزقه الله إياها حتى قيل عن مجالسه الوعظية الكثير والكثير مما يضيق هذا المقام عن ذكره فإذا أردت مزيداً من التفصيل فارجع إليها فى كتب التراجم التى تحدثت عنه مثل : «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب و «البداية والنهاية» لابن كثير ، وستجد بغيتك إن شاء الله .

والكتاب الذى بين يديك – أخى القارىء – تحدث فيه ابن الجوزى عن بعض المعاصى كترك الصلاة والتعامل بالربا ومعاقرة الخمر والظلم وغير ذلك من الذنوب والمعاصى محذراً من اقترافها ومرغباً فى الابتعاد عنها والتحلى بأضدادها حتى يكون الإنسان طاهراً من الذنوب سائراً كما يريد الله تبارك وتعالى مجتنباً غواية الشيطان ، ويسوق فى ثنايا ذلك حكايات عن توبة العاصين وندمهم وسكبهم البحار من الدموع على ذنوب اقترفوها ويصور لنا كيف أنهم يطلقون الزفرات والآهات خوفاً من ملاقاة رب الأرض والسموات ، ويالها من دموع ..

إنها دموع الخشية ، دموع الخوف من الجليل التى وصف الله بها أولياءه فقال تعالى : ﴿**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**﴾ أولئك الذين ﴿**رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه**﴾ أولئك الذين فازوا برضوان الله جزاء خشيتهم له وطاعتهم لله ولرسوله .

قال تعالى : ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾ وقال تعالى : ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**﴾ . وهكذا ينقلنا ابن الجوزى من فصل إلى فصل ذاكراً فى ثنايا كلامه عن

الترهيب من المعاصى – قصصاً عن الصالحين والتائبين لعل توبتهم تكون ترغيباً لكل شارد وكل منحرف عن الطريق المستقيم الذى رسمه لنا رب العالمين فى كتابه الكريم ورسوله – ﷺ – إلى يوم الدين .

والكتاب عبارة عن مقدمة واثنين وثلاثين فصلاً .

ففى المقدمة :

يتحدث عن عظيم قدرة الله وعظيم فضله ، وعن نعمه التى لا تعد ولا تُحصى ، تلك النعم التى توجب شكره سبحانه وذكره آناء الليل وأطراف النهار ، وقد خصص غالبية المقدمة للحديث عن الذكر وفضله وساق أحاديث وآثار متعددة فى ذلك الموضع ، وعقب ذلك حذر من اقتراف الذنوب والتمادى فى العصيان حاثاً ابن آدم على المسارعة إلى التوبة وترك المعاصى واجتناب الشهوات ، ثم ساق حكاية عن سوء خاتمة مذنب تمادى فى اقتراف الذنوب والمعاصى وبعد ذلك دعا إلى الفرار إلى الله ، ورغب فى التوبة وقيام الليل ودعا العبد إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله لأن رحمته واسعة وفضله عظيم .

وفى الفصل الأول :

دعا المسلم إلى الانتباه من الغفلة عن العمل ليوم الحساب موجهاً اللوم له على إيثاره الفانى على الباق وذكر بعض الأحاديث التى تحث على البكاء من خشية الله وتبين فضله ثم تحذره من خداع الدنيا وغرورها ، وحذر من الغفلة داعياً العبد إلى العودة إلى الله .

وفى الفصل الثانى :

استهل هذا الفصل بالحديث عن عاقبة التسويف والمماطلة محذراً من هجوم الأجل أعقبه بذكر أثر عن عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– عن عاقبة المعاصى ثم ساق حكاية لذى النون المصرى مع عابد وابنه ليبين من خلالها بعض الكرامات للصالحين لكن والله أعلم أجد فيها كثيراً من المخالفات الشرعية علقت عليها فى حينها فاقرأ هذا التعليق فى مكانه بالهامش رقم (٦٢) إن شئت .

وفى الفصل الثالث :

بدأ بالتحذير من الإصرار على الخطايا والعصيان داعياً العبد إلى أن ينتفع بالمواعظ وأن يرفض الدنيا لأن رزقه لابد أن يأتيه ، كما قدره الله له ، فيبقى أن يثق فى رزق الله له ويبادر إلى التوبة وختم الفصل بذكر قصة إسلام معروف الكرخى وأسرته .

وفى الفصل الرابع :

حذر فيه الإنسان من الموت قائلاً له إن الموت لبالمرصاد وجعل ذلك مدخلاً ليتكلم بعد ذلك عن تواضع العابدين وبين للإنسان عاقبة غفلته موضحاً له أن هناك يوماً للحساب قريب وسوف يكون الحساب فيه شديد إلا على الصالحين .

وفى الفصل الخامس :

تحدث فيه عن عاقبة حب الدنيا والاغترار بها وحث العبد على محاولة كبح جماح نفسه وأن يتعظ بالمصائب التى تحدث من حوله ، وأن يسارع بالاستغفار لأن العمر محدود والدنيا دار تكليف وامتحان لا دار جزاء ، ثم دعاه إلى كثرة سكب الدموع لعلها تغسل الخطايا وتمحوها .

وفى الفصل السادس :

حث فى بدايته على الاستعداد للآخرة بالتوبة والأعمال الصالحة موضحاً فيها من هو المفلس فى الآخرة ، كما عرفه رسول الله - ﷺ - وختم الفصل بذكر قصة للحسن البصرى عن البكاء من خشية الله ذكر فيها الحسن قصة عابدة وابنتها ماتا من شدة الخوف من الله .

وفى الفصل السابع :

تحدث فيه عن النظر إلى المحرمات محذراً ابن آدم من عاقبته وختمها بذكر قصة عبد تائب وما حدث له بعد موته من كرامات .

وفى الفصل الثامن :

حذر فيه من قلة الزاد وبعد السفر وحذر فيه من الغرور أعقبها بذكر أبيات رائعة عن الموت وما يحدث للإنسان فيه ثم ذكر حديث عن النبى - ﷺ - يتحدث فيه عما يحدث للإنسان بعد خروج روحه .

وفى الفصل التاسع :

بدأه بذكر مراحل السفر فى الدنيا ، وقسمها إلى ستة أسفار فى عمر الإنسان محذراً له من الدنيا وتقلبها .

وفى الفصل العاشر :

ذكر فيه قصة لذى النون تحث على تكرار التوبة ثم دعا العبد إلى مرافقة التائبين وملازمتهم فى عبادتهم وبكائهم وخشيتهم لله عز وجل .

وفى الفصل الحادى عشر :

بدأه بتوضيح أن العمر أمانة يجب المحافظة عليه وعدم شغله إلا بما يرضى الله سبحانه ، وحث فيه على ملازمة بابه ، لعله يتفضل بالرحمة ثم ذكر قصة لعبد يحث فيها على العفة عن أكل الحرام ولو كان يسيراً ثم انتقل إلى بيان أثر الطاعة فى وجوه الصالحين ثم تكلم عن أقسام الرجاء ومجاهدة المحبين .

ثم انتقل مباشرة إلى الفصل الرابع عشر دون ذكر للفصل الثانى عشر والثالث عشر فلعله سقط من الناسخ والله أعلم .

وفى الرابع عشر :

حث فيه على ملازمة التائبين ثم بيّن أحوال الذاكرين وبين من هم أحباء الشيطان ثم ذكر قصة ابتلاء فقيه بغدادى بالنظرة والعشق .

وفى الفصل الخامس عشر :

نبه الإنسان فيه إلى أن الشيب نذير باقتراب الأجل وأن عليه أن يخرج من ضلاله وحيرته إلى نور الإيمان والصلاح والهدى . فعليك أخى القارىء أن تنتهز فرصة الشباب قبل أن يأتى نذير الشيب .

وفى الفصل السادس عشر :

حث فيه على التزود قبل الرحيل بالطاعات وحذر فيه من التجارة الخاسرة وهى تجارة المعاصى كما نبه على تقلب الأيام ، وحذر من الفتنة فى الدين .

وفى الفصل السابع عشر :

حث فيه على التوبة من الذنوب ، وحذر من يكثر من الذنوب ولا يتوب من عاقبة العصيان ثم ذكر قصة عن زهد سلمان الفارسى – رضى الله عنه – فى الدنيا .

وفى الفصل الثامن عشر :

عاد للحديث مرة أخرى عن الغفلة وعن إنذار الشيب ودعا العبد إلى محاسبة نفسه قبل أن يحاسب وحذّر من إيثار الدنيا على الآخرة ، وذكر أمثلة لإيثار الآخرة والزهد فى الدنيا ، ثم ذكر قصة توضح علامة محبة الله تعالى ..

وفى الفصل التاسع عشر :

حث فيه على التقوىٰ وحذر فيه من العصيان ، وأوضح أن مهر الآخرة يسير وهو عبارة عن قلب مخلص ولسان ذاكر ثم تحدث عن محبة الله عند الأنبياء والصالحين وبقية الفصل تكلم فيه عن المحبة وعن حقيقتها وفضلها .

الفصل العشرون :

عاد مرة أخرى إلى الحديث عن العمله وحذر فيه من تناقص العمر وقلة العمل وكفران النعمة ، ومالك الملك لا يغيب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

الفصل الحادى والعشرون :

اشتمل على عدة موضوعات منها حسن الظن بالله ، والمراقبة والمحاسبة وعن أهل المحبة ، وعلامة الأولياء .

الفصل الثانى والعشرون :

أجاب فيه عن سؤال كيف يتطهر الإنسان من ذنوبه ، وبين فيه أيضاً فضيلة الاعتذار إلى الله من خلال قصة ذكرها .. خلص من ذلك إلى دعوة الناس إلى المبادرة إلى الصلح مع الله وحثهم على أن يجدُّوا ويجتهدوا قبل الرحيل .

الفصل الثالث والعشرون :

استهله بالحديث عن عاقبة التسويف وحذر فيه من هجوم الأجل وقيام الساعة طالباً من الإنسان أن يأخذ التقوى سبيلاً إلى رضوان الله سبحانه ثم أوضح عاقبة ترك الشهوة وتحدث عن الأنس بالله وبحبه .

الفصل الرابع والعشرون :

تحدث عن أهل العزائم ومسارعتهم إلى التزود قبل الرحيل بالاجتهاد فى الطاعة والإخلاص والبكاء من خشيته وسرعة التوبة إليه ثم ذكر بعض الكرامات لبعض الصالحين وأعقبها بالحديث عن إفلاس الطاعة ثم ذكر بعض كرامات الصالحين أيضاً .

الفصل الخامس والعشرون :

عاتب فيه الإنسان على تفريطه فى عمره بتضييعه فى اللهو واللعب وإتيان الشهوات ثم ذكر قصة شيقة لحذيفة عندما سأله عمر كيف أصبحت ياحذيفة ؟ ورد عليه ردًّا تعجب منه عمر وغضب وهم أن يبطش به ففسره له على بن أبى طالب . وختم الفصل بالحديث عن الخوف من الله تعالى وشدة الخشية له والهروب من الدنيا وهجران البشر .

الفصل السادس والعشرون :

تحدث فى بدايته عن التائبين ثم وجّه حديثه إلى الفقراء والفتيان ناصحاً إياهم ومحبباً إليهم سلوك طريق التائبين الذين يقومون الليل لا يفترون ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن فضيلة الصف الأول فى صلاة الجماعة ، وفضل حضور تكبيرة الإحرام ، من خلال قصة ذكرها ابن عباس لعلى بن أبى طالب مع رسول الله -ﷺ- ، ثم ذكر قصة أخرى من دلائل نبوته -ﷺ- .

الفصل السابع والعشرون :

أفرده للحديث عن كبيرة من الكبائر ألا وهى كبيرة الزنا بين فيه عواقبه محذراً من مقدماته مبيناً أن النساء حبائل الشيطان ثم رغب فى الزواج الذى هو السبيل الوحيد لكبح الشهوة ، والوقاية من الزنا وحذر أيضاً من الأسباب التى تؤدى إليه وخاصة النظر .

الفصل الثامن والعشرون :

أفرده للحديث عن فضيلة الصمت وحفظ اللسان محذراً من تتبع عورات الناس ومرغباً فى كثرة الصمت ذاكراً بعض القصص لبعض الصحابة والصالحين ترغب فى الصمت .

الفصل التاسع والعشرون :

بدأه بالحديث عن الغيبة وذمّها والتحذير منها ثم تلاها بالحديث عن النميمة وعواقبها الوخيمة فى الدنيا والآخرة ، ثم أعقبها بذكر وصية من أعرابية لابنها تعتبر من أعظم الوصايا . فعليك أخى المسلم بتدبرها ، وتدبر معانيها لعل الله ينفعك بها ثم أخذ ينتقل من الحديث عن الغيبة إلى النميمة محذراً منهما ومن عواقبهما .

الفصل الثلاثون :

حذر فيه أيضاً من الغيبة حتى ولو كانت بالقلب مبيناً معنى الغيبة ومعنى النميمة والفرق بينهما ثم ختم الفصل بوصية من الرسول – ﷺ – لمعاذ – رضى الله عنه – .

الفصل الحادى والثلاثون :

حذر فيه من ظلم المسلم لأخيه المسلم ثم عاد مرة أخرى للحديث عن الصمت وفضائله وخطورة اللسان على الإنسان حاثاً فيه المسلم ألا يقول إلا خيراً ، وانتقل بعد ذلك للحديث عن إعجاب المرء بنفسه محذراً من ذلك وحذر أيضاً من القنوط واليأس من رحمة الله ثم أتبع ذلك بذكر حوار جميل بين بعض النحاة وواعظ عن (فضل فصاحة الأفعال على فصاحة الأقوال) وتبع ذلك بالحديث عن فضل التواضع وفضل العفو وكظم الغيظ .

الفصل الثانى والثلاثون :

بدأه بالحديث عن الربا ، ورهب من التعامل به ، وحذر كذلك من أكل الحرام بكل صوره وأشكاله مبيناً أن طلب الحلال فرض على كل مسلم مبيناً عاقبة أكل الحرام وعاقبة التورع كذلك عن أكل الحرام مبيناً أن الحرام يعمى البصيرة ، ثم حذر من الخيانة فى الميزان بتطفيفه وحذر أيضاً من السرقة والخيانة والغش ، وشرب الخمر مبيناً آثار شرب الخمر على الإنسان ، ثم انتقل إلى الحديث عن تارك الصلاة ذاكراً أثراً يبين عواقب ترك الصلاة فى الدنيا ، وعند الموت وفى القبر ، وفى الآخرة ، ثم ختم الكتاب بالحديث عن حكم تارك الصلاة ذاكراً كثيرًا من الآثار والأخبار والأقوال التى ترهب ترهيباً شديدًا من ترك الصلاة .

وهكذا يمضى بنا ابن الجوزى فى كتابه هذا من بدايته إلى نهايته مازجاً مواعظه بالعبرات والدموع للذين عرفوا قدرة الله عليهم فذرفوا الدموع أنهاراً خوفاً منه ، وعلموا رحمة الله فرفعوا أكف الضراعة والإنابة إليه ، سائلين إياه – عز وجل – العفو والمغفرة والرضا .

فاللهم اجعلنا من التائبين العابدين الخاشعين إنك نعم المولى ونعم المعين . آمين .

ترجمة ابن الجوزى

نسبه :

هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله (عبد الله) بن حمادى ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق .

كنيته ولقبه :

يكنى بابن الجوزى وقد أجمعت على ذلك غالبية المصادر سوى بروكلمان الذى كناه بأبى الفضائل .

ويلقب بجمال الدين ، ويعرف بالحافظ ، والواعظ والفقيه والإمام والعلامة .

نسبته :

قيل إن نسبة الجوزى ترجع إلى حد من اجداده يعرف بجعفر الجوزى ، وقيل نسبة إلى فرضة نهر بالبصرة ، وقيل إلى محلة بمدينة البصرة تدعى محلة الجوزى ، وقيل نسبة إلى بيع الجوز ، وقيل غير ذلك الكثير والكثير .

مولده :

ولد ابن الجوزى بمدينة بغداد فى درب حبيب ولذا ينسب إلى بغداد فقيل البغدادى .

قد اختلف المترجمون اختلافاً كبيراً فى تاريخ ولادته وغالبية المصادر تضعه ما بين عامى ٥٠٨ هـ ، ٥١٠ هـ تقريباً . وترجح أنه ولد سنة ٥١٠ هـ فقد

ذكر عن سبط ابن الجوزى أنه سأل جده عن ذلك فقال ما أحققه لكن يكون تقريباً فى سنة ٥١٠ هـ . اهـ

أسـرته :

تغلب على أسرته التجارة ومنها تجارة النحاس ، ولم يعرف عن أحد من أجداده أنه قد امتهن العلم ، وتوفى والده ولم يكن لابن الجوزى سوى ثلاثة سنين ، وبقيت والدته على قيد الحياة حيث سبقها هو إلى الموت بأيام سنة ٥٩٧ هـ .

تربيته ونشأته :

وجه ابن الجوزى منذ صغره توجيهاً علمياً وقد كان لعمه وعمته الفضل الأكبر فى تعريفه بشيوخه الذين أخذ عنهم العلم فى صغره ، وأصبح لذلك أثراً كبيراً فى نمو شخصيته العلمية وانقطاعه إلى الدروس وحضوره مجالس العلم وترك ما كان أترابه يلهون به من اللعب للتفرغ للحفظ والتوغل فى طريق العلم وقد نشأ وهو صبى ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة .

وكانت مدنية بغداد فى هذا العصر زاخرة بالمعاهد والعلماء ولم تفتر فيها الحركة العلمية إطلاقاً فساعد ذلك ابن الجوزى على الاختلاف إلى شيوخه فى وقت مبكر من حياته وقد أخذ علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير وجد فى التحصيل والدراسة حتى أصبح عالم بغداد وخطيبها ومحدثها .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه الذهبى فى «تذكرة الحفاظ» : وله فى كل علم مشاركة لكنه كان فى التفسير من الأعيان وفى الحديث من الحفاظ وفى التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف وأما السجع الوعظى فله فيه ملكة قوية . اهـ

وقال عنه نكلسن « كان كاتباً غزير الإنتاج فى كل فرع من فروع الأدب على وجه التقريب» اهـ .

منزلته فى مجال الوعظ :

كان الوعظ وعقد مجالسه مما اهتم به ابن الجوزى أعظم الاهتمام حيث كان ذلك سبيله الاتصال بالجمهور وتوجيهه وتربيته تربية دينية نظرياً وعملياً وقد لاقت مجالسه الوعظية أصداء واسعة فى الوسط البغدادى فى ذلك الوقت قل نظيرها ، وقد حول بعض دروسه الوعظية إلى كتب مستقلة مثل تفسيره «زاد المسير فى علم التفسير» الذى أكد مكانته البارزة بين أقرانه حتى وصف ابن كثير مكانته الوعظية بقوله «وبالجملة كان أستاذاً فرداً فى الوعظ وغيره وقد كان فيه بهاء وترفع فى نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه» اهـ .

وقال عنه ابن رجب الحنبلى :
إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلها .

وقال عنه ابن جبير صاحب « الرحلة » ما كنا نحسب أن متكلماً فى الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطى هذا الرجل اهـ .

وقد قيل عن مجالسه الوعظية الكثير والكثير حتى قدر عدد حضور مجلسه بمائة ألف شخص وقال هو عنه : « لقد تاب فى مجالسى أكثر من مائة ألف » اهـ .

شـيوخه :

ذكر الدكتور حسن عيسى على الحكيم فى كتابه « ابن الجوزى » ذكر لابن الجوزى من الشيوخ ١٤٣ شيخاً أهمهم :

١ – أبو القاسم هبة الله بن محمد (ابن الحصين) الشيبانى .
٢ – أبو منصور عبدالرحمن محمد القزاز الشيبانى البغدادى .
٣ – أبو بكر محمد بن عبدالباق الأنصارى البصرى البغدادى .
٤ – أبو البركات عبدالوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطى البغدادى .
٥ – أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى البغدادى .
٦ – أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامى البغدادى .

تلاميــذه :

ذكر الأستاذ / حسن عيسى على الحكيم فى كتابه «ابن الجوزى» ما يقرب من ٧٨ تلميذاً أهمهم :

١ – أبو عبدالله محمد بن يحيى الواسطى (المعروف بابن الدبيثى) .

٢ – أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن البغدادى (المعروف بابن النجار) .

٣ – أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى البغدادى الدمشقى (المعروف بسبط ابن الجوزى) .

مصنفاته وآثاره :

[١] له فى القرآن وعلومه ما يقرب من (٢٧) كتاباً منها :

١ – زاد المسير فى علم التفسير . ٢ – أسباب النزول . ٣ – عيون علوم القراءات .

[٢] له فى الحديث ورجاله وعلومه ما يقرب من ٤٢ كتاباً ومنها :

١ – أربعون حديثاً فى فضائل الأعمال . ٢ – أسماء الضعفاء والمتروكين.
٣ – الموضوعات .

[٣] له فى علم الفقه وأصوله ٥٤ كتاباً منها :

١ – أحكام النساء . ٢ – عمدة الدلائل فى مشهور المسائل . ٣ – المذهب الأحمد فى فقه الإمام أحمد .

[٤] له فى علوم اللغة والأدب ٢٠ كتاباً منها :

١ – تذكرة الأديب فى اللغة . ٢ – تقويم اللسان . ٣ – المختار من الأشعار .

[٥] له فى التاريخ والسير والمناقب ٩٢ كتاباً منها :

١ – أنيس الجليس . ٢ – تلبيس إبليس . ٣ – مولد النبى – ﷺ – .

[٦] له فى علوم التربية والأخلاق والمواعظ ٤٣ كتاباً منها :
١ – رؤوس القوارير (وقد نشرته دار الصحابة للتراث) .
٢ – اللطائف فى الوعظ (وقد نشرته دار الصحابة للتراث) .
٣ – بحر الدموع (وهو الكتاب الذى بين يديك الآن) .

[٧] له فى علوم الطب والحياة ١٠ كتب منها :
١ – الطب الروحانى . ٢ – لقط المنافع أو اللقط . ٣ – منافع الطب .

وفاتـه :

كانت وفاة ابن الجوزى على أثر مرض لم يمهله سوى خمسة أيام وعلى أثر ذلك فارق الحياة فى ليلة الجمعة الثانى عشر من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ فى مدينة بغداد بداره الواقعة فى قطفتا وحملت جنازته على رؤوس الناس إلى مقبرة باب حرب فدفن عند أبيه وكان يوماً مشهوداً لكثرة مشيعيه حتى أفطر جماعة من شدة الزحام وحرارة الجو وقد ترك موته فراغاً كبيراً فى نفوس البغداديين فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين آمين .

لمزيد من التفصيل عن ترجمته : انظر

١ – كتاب « ابن الجوزى » للدكتور حسن عيسى على الحكيم .

٢ – « وفيات الأعيان » لابن خلكان .

٣ – « البداية والنهاية » لابن كثير .

٤ – « الأعلام » للزركلى .

٥ – « ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب .

٦ – دائرة المعارف الإسلامية (١/١٢٥) .

عملى فى الكتاب

١ – إصلاح ما يمكن إصلاحه من أخطاء ربما يكون قد وقع فيها الناسخ
٢ – تدارك السقط كلما أمكن ذلك ووضعه بين معكوفين .
٣ – عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها بالكتاب العزيز .
٤ – تخريج الأحاديث النبوية بعزوها إلى مواضعها فى كتب الحديث مع ذكر ما قاله أهل المصطلح – كلما أمكن – فى درجة الحديث .
٥ – عمل مقدمة تشمل التعريف بالمصنف ومولده ونشأته ومن روى عنهم ومكانته فى عصره وثناء العلماء عليه وأهم الآثار والمصنفات التى تركها .
٦ – ضبط الكلمات التى تحتاج إلى ضبط لتسهل للقارىء مهمته .
٧ – توضيح بعض الكلمات التى قد تبدو صعبة وذلك بالرجوع إلى أصل هذه الكلمات فى معاجم اللغة مثل لسان العرب لابن منظور والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .

٨ – عمل بعض العناوين التوضيحية لتسهل للقارىء مهمته ووضعتها بين معكوفتين .

تم التحقيق بالدار بإشراف قسم التحقيق

هذا كتاب بحر
الدموع تاليف العالم
العلامة ابو محمد
عبد الرحمن ابن علي
الجوزي رحمه
الله تعالى ورضى
عنه بمنه
وكرمه
امين

الصفحة الأولى من المخطوطة

نورهن وتزيين حورهن فانا وجميع ما في من الحور
والسرور والولدان والقصور حرام عليكم
ابد الابدين تم كمل كتاب بحر الدموع والحمد لله
واليه الرجوع والصلاة والسلام
على مولانا محمد ذي المجد
والمقام المرفوع
وعلى آله واصحابه
اولي الاخلاص
لله والخشوع
امين
امين
م

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون وغفر الله لكاتبه
ومشايخه ولاخوانه ولجميع المسلمين والحمد لله رب
العالمين
امين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بداية الكتاب :

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم أبوالفرج عبد الرحمن بن على الجوزى –رحمه الله تعالى– ورضى الله عنه بمنه وكرمه :

[مقدمة المصنف] :

الحمد لله الذى اخترع الأشياء بلطيف لطائف قدرته ، فأحسن فيما اخترع ، وأبدع الموجودات على غير مثال فلا شريك له فيما ابتدع ، ألف بين اللطيف والكثيف من أعداد آحاد الجوهر وجمع ، ليقر له بالوحدانية ويستدل على وجود الصانع بما صنع ، فالعارفون واقفون تحت مطارق اللطائف بأفنية أبنية ألوية الورع ، ليس لقلوبهم مجال فى ميدان الكبرياء على أن حماه رحب متسع ، فهم إن مالوا إلى نيل مظلومهم ردهم قهر الهيبة إلى مفاوز الهيبة والجزع ، وإن هَمُّوا بالذهاب عن الباب عاقهم قيوذ الغيب فعزَّ عليهم الرجوع وامتنع .

فمنهم كاتم محبته قد لف شكوا لسانه وقطع
ومنهم من باخ يقول إذا لام عذول ذر الملام ودع
أليس قلبى على محبته وكيف يخفى ما فيه وهو قطع
أين المحبون والمحب لهم وأين من شتت الهوى وجمع
لهم عيون تبكى فواعجباً لجفن صب إذا هما[1] ودمع
قد حرموا النوم والمتيم[2] لا يهوى هجوعاً إذا الخلى هجع
بالباب يبكون والبكا إذا كان خليا من النفاق نفع
تشفع فيهم دموعهم وإذا شُفع دمع المتيمين شفع

---

١ – هما : أى سال أو سقط – والمعنى اهمرت دموعه وسالت – [المعجم الوسيط (٢/٩٩٦)]

٢ – المتيم : المحب شديد الحب الذى ملكه الحب واستعبده [المعجم الوسيط (١/٩٢)]

فبينما هم حيارى من الخوف والجزع ، سكارى من شراب اليأس والطمع ، إذ بزغ عليهم قمر السعادة من فلك الإرادة فى جوانب قلوبهم ولمع ، وأفيض عليهم من ملابس سنادس الاستئناس والبسط[3] خلع[4] ، لكل خليفة غلمان من الإيمان ما زين بهما بشر إلا ارتفع ، رغم العلم الأيمن ﴿**سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الحُسْنَى**﴾[5] ، ورغم العلم الأيسر ﴿**لا يَحْزُنُهُم الفَزَعُ**﴾[6] ، فسبحان من يتوب على الجانى ويقبل العاصى إذا تاب إليه ورجع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أقرّ له بالوحدانية ، واعْتَرف له بالربوبية والألوهية ولعزِّ جلاله وجماله قد خضع ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى سن السنن وبين الفرائض وشرع الأعياد والجُمَعْ ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تفجرَّ الماءُ ونبع ، وظهر فى ميدان سطح الماء نجم وطلع ، وسلم تسليماً كثيراً .

[الحث على ذكر الله]

قال الله العظيم : ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ**﴾[7] .

وفى الخبر عن رسول الله –ﷺ– : أنه قال قال الله تبارك وتعالى : «أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير

٣– البُسط : جمع بساط : وهو نوع من الفراش ينسج من الصوف ونحوه [الوسيط (٥٦/١)]

٤– الخُلع : مفردها خُلْعَة وهى ما تخلعه من الثياب ونحوه بمعنى ألْبَسَ وأَعْطَى [الوسيط (٢٥٠/١)]

٥– سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

٦– سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ .

٧– سورة الذاريات : الآية ٥٥ .

منه ، وإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي ، وإن تقرّب إلىّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقرّبت منه باعاً ، وإن أتانى مشياً أتيته هرولة »(٨) .

وعن عبدالله بن عباس -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله -ﷺ- : «من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وجبن عن العدو أن يقاتله ويبخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله تعالى »(٩) .

وقال جابر بن عبدالله -رضى الله عنه- : خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن فى مسجد المدينة فقال : «إن لله سرايا من الملائكة تجول وتقف فى مجالس الذكر فى الأرض فإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : مجالس الذكر اغدوا وروحوا فى ذكر الله تعالى ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله يُنزل العبد حيث أنزله من نفسه »(١٠) .

٨- **حديث صحيح** : رواه البخارى (١٤٨/٩) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وأحمد (٢٥١/٢، ١٠٦/٤) والترمذى (٣٦٠٣) ، وابن ماجة (٣٨٢٢) ، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص/١٨) رقم (٣) .

٩- **حديث ضعيف** : رواه الطبرانى فى الكبير (٨٤/١١) ح (١١١٢١) ، والشجرى فى أماليه (٢٥٦/١) ، والبيهقى فى الشعب (٤٠٤/٢، ٤٠٥) .

١٠- **حديث ضعيف** : رواه الحاكم فى المستدرك (٤٩٤/١) ، وعبد بن حميد فى المنتخب (ص/٣٣٣) رقم (١١٠٧) ، والبيهقى فى الشعب (٤٢٤/٢) ح (٥٢٥) ، وأبو يعلى فى مسنده (٣٩٠/٣، ٣٩١) .

وذكره الهيثمى فى المجمع (٧٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وفيه عمر بن عبدالله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح .

وصححه الحاكم (٤٩٤/١، ٤٩٥) وتعقبه الذهبى بقوله : عمر ضعيف .

وقال عبد الله بن [بسر][11] أتى رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال : يارسول الله : إن شرائع الإسلام كثرت عليَّ فأمرنى بشيء أتثبت به فقال : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى »[12] .

وفى الخبر عن رسول الله - ﷺ - (*) أنه قال : « ما من يوم إلا وبقاع الأرض تنادى بعضها بعضاً ياجابر هل جاز عليك النوم ذاكر لله تعالى »[13] .

إخوانــى :

إذا صعدت الملائكة من مجالس الذكر قال المولى جل وعلا ياملائكتى أين كنتم وهو أعلم فيقولون : يارب أنت أعلم كنا عند عبادك يسبحونك ويقدسونك ويعظمونك ويمجدونك ويسألونك ويستغفرونك ويستعبدونك فيقول :

---

١١ - بالأصل عبدالله بن بشير وبالحلية عبدالله بن بشر والصواب ما أثبتناه [انظر الترمذى (٣٣٧٥)] .

١٢ - **حديث صحيح** : رواه أحمد (١٨٨/٤، ١٩٠)، والترمذى(٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣) ، وابن أبى شيبة (٣٠١/١٠) ح (٩٥٠٢) ، والبيهقى فى سننه (٣٧١/٣) ، والحاكم فى مستدركه (٤٩٥/١) ، وابن حبان (٢٣١٧ - موارد) ، والشجرى فى أماليه (٢٥٥/١) ، وأبو نعيم فى الحلية (٥١/٩) .

(*) ليس بصواب ذكر أنه حديث نبوى كما سيأتى فليتنبه .

١٣ - أثر موقوف صحيح أخرجه ابن المبارك (٣٣٥) فى الزهد من قول أنس بن مالك ، وسنده ضعيف ، و (٣٣٣) من قول ابن مسعود ، وهو صحيح ، وله طريق آخر عند الطبرانى (٨٥٤٢) فى الكبير .

ياملائكتى اشهدوا أنى قد أعطيتهم ما طلبوا وأمنتهم مما خافوا وأدخلهم الجنة برحمتى[١٤] .

وفى الخبر عن رسول الله – ﷺ – أن الله تبارك وتعالى يقول : «عبدى اذكرنى ساعة بالغدو وساعة بالعشى أكفك ما بينهما»[١٥] .

[التحذير من العصيان]

وفى بعض الكتب المنزلة أن الله تبارك وتعالى يقول : «يابن آدم ما أحيرك تسألنى فأمنعك لعلمى بما يصلحك ثم تلح علىَّ فى المسألة فأجود برحمتى وكرمى عليك فأعطيك ما سألتنى فتستعين بما أعطيك على معصيتى فأهم بهتك سترك فكم من جميل أصنعه معك وكم من قبيح تعمله معى يوشك أن أغضب عليك غضبة لا أرضى بعدها أبداً[١٦] .

وفى بعض الكتب المنزلة أيضاً يقول الله تبارك وتعالى : عبدى ، إلى كم تستمر على عصيانى وأنا غذيتك برزق ، وإحسانى [أما][١٧] خلقتك بيدى أما نفخت فيك من روحى أما علمت فعلى بمن أطاعنى ، وأخذى لمن عصانى .

---

١٤ – هذا الكلام السابق من قوله «إذا صعدت الملائكة ...» إلى قوله «وأدخلهم الجنة برحمتى» معنى **حديث صحيح** رواه البخارى (٨/١٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٩) ، وأحمد (٢/٢٥١) ، والترمذى (٣٦٠٠) وابن أبى شيبة (٢/٥١٧) ، والحاكم فى مستدركه (٢/٤٢١) ، والطبرانى فى الكبير (١٠/٢٧١) ، والبيهقى فى الشعب (٢/٤٢٧) رقم ٥٢٨ ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١١٧) .

١٥ – من الإسرائيليات .

١٦ – انظر السابق .

١٧ – بالأصل (لها) والصواب ما أثبتناه .

عين بصيرتك أعماها الهوى ، قل لى بماذا ترانى ، هذا حال الموعظة فإلى كم هذا التوانى ، إن تبت من ذنبك أتيتك أمانى ، أترك داراً صفوها الكدر وأمالها أمانى ، بعت وصلى بالدون وليس لى فى الوجود ثانى ، ما جوابك إذا شهدت عليك الجوارح بما تسمع وترى ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ مُحْضَرَاً**﴾[18] وأنشدوا :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه   هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

[حكاية لمالك مع مذنب]

قال مالك بن دينار[19] : دخلتُ على جار لى وهو فى الغمرات يعانى عظيم السكرات يغمى عليه مرة ويفيق أخرى وفى قلبه لهيب الزفرات وكان منهمكاً فى دنياه متخلفاً عن طاعة مولاه فقلت له : ياأخى تب إلى الله وارجع عن غَيِّك[20] عسى المولى أن يشفيك ويعافيك من مرضك وسقمك ويتجاوز –بكرمه– عن ذنبك ، فقال : هيهات هيهات قد دنى ما هو آت وأنا ميت لا محالة ، فيا أسفى على عمر أفنيته فى البطالة أردت أن أتوب مما جنيت فسمعت هاتفاً يهتف من زاوية البيت : عاهدناك مراراً فوجدناك غداراً . نعوذ بالله من سوء الخاتمة ونستغفره من الذنوب المتقادمة .

١٨– سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

١٩– مالك بن دينار : هو أبو يحيى الزاهد البصرى المشهور كان مولى لبنى أسامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة ، ولا يأكل إلا من عمل يده ، ووقع حريق بها فخرج متزراً ببارية وبيده مصحف وقال : فاز المخفون توفى ١٢٧ هـ .   [شذرات الذهب (١/١٧٣)]

٢٠– غَيِّك : غوى – غواية : أى أمعن فى الضلال – وغيك : أى ضلالك .
[المعجم الوسيط (٢/٦٦٧)]

[فروا إلى الله]

يأخى أقبل على قبلة التوجه إلى مولاك ، وأعرض عن مواصلة غيك وهواك ، وواصل بقية العمر بوظائف الطاعات ، واصبر على ترك عاجل الشهوات ، فالفرار أيها المكلف كل الفرار ، من مواصلة الجرائم والأوزار ، فالصبر على الطاعة فى الدنيا حد الصبر على النار .

مولاى إنى عبد ضعيف أتيتك أرغب فيما لديك

أتيتك أشكو مصاب الذنوب وهل يشتكى الضرّ إلا إليك

فَمُنَّ[21] بعفوك ياسيدى فليس اعتمادى إلا عليك

[حكاية توبة عبد يخشى الله]

قال بعض السادة الأخيار لولده لما حضرته الوفاة : يابنى اسمع وصيتى واعمل ما أوصيك به قال : نعم ياأبه . قال : يابنى ، اجعل فى عنقى حبلاً وجرنى إلى عذابى ومرغ خدى على التراب وقل هذا جزاء من عصى مولاه ، قال : فلما فعل ذلك به ، رفع طرفه إلى السماء وقال : إلهى وسيدى ومولاى قد آن الرحيل إليك ، وأزف القدوم عليك ، ولا عذر لى بين يديك ، غير أنك الغفور وأنا العاصى ، وأنت الرحيم وأنا الجانى ، وأنت السيد وأنا العبد ، ارحم خضوعى وزلتى بين يديك ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك ، قال : فخرجت روحه فى الحال ، فإذا بصوت ينادى من زاوية البيت سمعه كل من حضر وهو يقول : تذلل العبد إلى مولاه واعتذر إليه مما جناه فقربه وأدناه وجعل جنة الخلد مأواه .

إلهى إن كنت الغريق وعاصياً فعفوك ياذا الجود والسعة الرحبُ

بشدة فقرى باضطرارى بحاجتى إليك إلهى حين يشتد بى الكربُ

بما بَى من ضعف وعجز وفاقةٍ بما ضُمِّنَتْ من وسع رحمتك الكتبُ

---

٢١ - مُنَّ : مَنَّ عليه : أنعم عليه نعمة طيبة - والمعنى أحسن إلىَّ بنعمة العفو يارب . [الوسيط (٢/٨٨٨)]

صلاة وتسليم وروح وراحة على الصادق المصدوق ما انفلق الحبُّ
أبى القاسم الماحى الأباطيل كلها وأصحابه الأخيار ساداتنا النجب[٢٢]

[التائب حبيب الله]

إخوانى : هذا القبول ينادى صبيان الهوى ، الشاب التائب حبيب الله ، ويصيح بكهول الخطأ عسى الله أن يتوب عليهم ، ويهتف بشيوخ الندم : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى»[٢٣] .

[فضل قيام الليل]

وفى الخبر : إذا تاب العبد إلى الله تعالى وحسنت توبته وقام بالليل يناجى ربه أوقدت الملائكة سراجاً من نور وعلقته بين السماء والأرض فتقول الملائكة ما هذا ؟ فيقول لهم : إن فلان بن فلان قد اصطلح الليلة مع مولاه .

وفى الحديث عن النبى -ﷺ- أنه قال : «إذا قام العبد بالليل تباشرت أعضاؤه ونادى بعضها بعضاً قد قام صاحبنا لخدمة الله تعالى»[٢٤] .

٢٢- النُّجُبُ : جمع نجيب : وهو الفاضل على مثله النفيس فى نوعه - والمعنى المفضلين أو المختارين .

٢٣- قال السخاوى فى المقاصد الحسنة (١٨٨) حديث جرى ذكره فى البداية للغزالى اهـ ، قال العجلونى فى كشف الخفاء (٢٣٤/١) ح (٦١٤) : وتمامه : «أنا عند المندرسة قلوبهم لأجلى» ولا أصل له فى المرفوع . اهـ .

٢٤- لم أقف عليه .

وعن **أحمد بن أبى الحوارى**(٢٥) قال : دخلت على أبى سليمان الدارانى(٢٦) فوجدته يبكى فقلت له : وما يبكيك ياسيدى ؟ فقال لى : ياأحمد إن أهل المحبة إذا جنهم(٢٧) الليل افترشوا أقدامهم فدموعهم تجرى على خدودهم بين راكع وساجد فإذا أشرق المولى جلا جلاله عليهم قال : ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى وإنى لمطلع عليهم أسمع كلامهم وأرى حنينهم وبكاءهم ، فنادِ بهم ياجبريل وقل لهم ما هذا الجزع الذى أرى بكم هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار ؟! أم هل يجمل بى أن أبيت قوماً وعند البيات آمر بهم إلى النار ؟! لا يليق هذا بعبد ذميم فكيف بالملك الكريم ، فبعزتى أقسمت لأجعلن هديتى إليهم أن أكشف لهم عن وجهى الكريم فأنظر إليهم وينظرون إلىّ(٢٨) .

[سعة رحمة الله]

وعن أبى سليمان الدارانى -رضى الله عنه- قال : قرأت فى بعض الكتب المنزلة : يقول الله تعالى : بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى وكابد المكابدون فى طلب مرضاتى فكيف بهم وقد صاروا فى جوارى ويسبحون فى رياض خلدى هناك فليبشر المصفون بأعمالهم بالنظر العجيب إلى الحبيب الغريب أترون أنى

٢٥- أحمد بن أبى الحوارى : هو عبدالله بن ميمون أبو العباس الدمشقى ، صحب الدارانى وغيره وسكن دمشق ، كان له ابن يقال له عبدالله من الزهاد ، وأخ يقال له : محمد ، يشبهه فى الورع والتقوى ، وأبوه أبو الحوارى من أهل الورع أيضاً فبيتهم بيت الورع والزهد توفى سنة ٢٣٠ هـ [صفة الصفوة (٢٣٧/٤)] ، [طبقات الأولياء : ٣١]

٢٦- أبو سليمان الدارانى : هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى ، زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام وتوفى فى بلده ، وكان من كبار العباد ، وله أخبار فى الزهد توفى ١٥٠ هـ .
[الأعلام (٢٩٣/٣)]

٢٧- جنّهم : سترهم وأطلم عليهم . [الوسيط (١٤٠/١)]

٢٨- روى هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١٠/١٦، ١٧) .

أضيع لهم ما عملوا فكيف وأنا أجود على المولين وأقبل التوبة على الخاطئين وأنا بهم أرحم الراحمين[٢٩] .

٢٩- روى هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٩/٢٥٥) .

الفصــل الأول

[انتبه ياأسير الدنيا]

يا أسير دنياه ، يا عبد مولاه ، يا موطن الخطايا ، ويا مستودع الرزايا، اذكر ما قدمت يداك ، وكن خائفاً من سيدك ومولاك ، أن يطلع على زللك وجفاك ، فيصدك عن بابه ، ويبعدك عن جنابه ، ويمنعك من مرافقة أحبابه فتقع فى حفرة الخذلان ، وتتقيد بشرك الخسران ، وكلما رمت التخلص من غيك وعناك صاح بك لسان الحال وناداك :

إليك عَنّا فما تَحظى بنجوانا ... ياغادراً قد لهى عَنّا وقد خانا
أعرضتَ عنّا ولم تعمل بِطاعتنا ... وحيثُ تبعى الرِّضَا والوصل قد بانا
بأى وجه نراك اليوم تقصدنا ... وطال ما كنت فى الأيام تنسانا
يا ناقض العهد ما فى وصلنا طمع ... إلا لمجتهد بالجد قد دانا

[يامن باع الباقى بالفانى]

يامن باع الباقى بالفانى أما ظهر لك الخسران ، ما أطيب أيام الوصال وما أمرّ أيام الهجران ، ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان ، وسهروا الليالى بتلاوة القرآن فيبيتون لربهم سجداً وقياماً .

عن عبدالعزيز بن سلمان[٣٠] العابد قال : حدثنى مطهر[٣١]– وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً– قال : رأيت كأنى على حفة نهر يجرى

٣٠– عبدالعزيز بن سلمان : يكنى أبا محمد وهو عابد بصرى مشهور وله ابن يقال له محمد . [حلية الأولياء (٢٤٣/٦)] ، [صفة الصفوة (٣٧٧/٣)]

٣١– مُطهِّر : يقصد مُطهِّر السعدى وهذا الأثر مروى بحلية الأولياء (٢٤٤/٦، ٢٤٥) وورد أيضاً بصفة الصفوة (٣٨٠/٣) .

بالمسك الأذفر وحافتاه شجر اللؤلؤ وفيه من قضبان الذهب وإذا بجوار مترنمات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود فى كل مكان(٣٨) سبحانه وتعالى ، سبحانه ، نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، نحن الراضيات فلا نغضب أبداً ، نحن الناعمات فلا نتغير أبداً ، قال : فقلت لهن : من أنتن ؟ فقلن : خلق من خلق الله تعالى ، قلت : فما تصنعن ؟ فقلن بصوت حسن مليح :

ذرأنا إلهُ الناس ربُّ محمدٍ ... لقوم على الأطراف بالليل قوّمُ
يناجون رب العالمين إلههم ... وتسرى هموم القوم والناس نوّمُ

فقلت : بخ بخ(٣٣) ، من هؤلاء الذين أقر الله عيونهم ؟ قلن : أما تعرفهم ؟ قلت : لا والله ما أعرفهم فقلن : هم المجتهدون بالليل أصحاب السهر بالقرآن .

وروى عن النبى -ﷺ- أنه قال : «إذا أذنب العبد وتاب إلى الله وحسنت توبته تقبل الله منه كل حسنة عملها وغفر له كل ذنب اقترفه ويرفع له بكل ذنب درجة فى الجنة ويعطيه الله بكل حسنة قصراً فى الجنة ويزوجه الله حوراً من الحور العين»(٣٤) .

٣٢- اعلم أخى المسلم أن الاعتقاد السليم الذى عليه أهل السنة والجماعة هو أن الله فى السماء وهذا الاعتقاد هو دليل صحة إيمان المؤمن والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ وكذلك الحديث الذى رواه مسلم (٥٣٧) عندما سأل الجارية قائلاً لها : «أين الله؟» قالت : فى السماء ، قال : «من أنا؟» قالت : أنت رسول الله . قال : «أعتقها فإنها مؤمنة» فاعتبر إقرار الجارية بأن الله فى السماء وأنه رسول الله دليلاً على صحة إيمانها . والله أعلم .

٣٣- بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب أو المدح والفخر .
[الوسيط (١/٤٠)]

٣٤- لم أقف عليه .

وفى الخبر عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين ، فتعجب داود عليه السلام فقال : يارب كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين [؟ قال : نعم . بشر المذنبين أن لا يتعاظمنى ذنب أغفره لهم ، وأنذر الصديقين](*) ألا يعجبوا بأعمالهم فإنى لا أضع إحسانى على أحد إلا هلك(٣٥) . ياداود ، إن كنت تزعم أنك تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب واحد ، ياداود ، من أحبنى يتهجد بين يدى إذا نام البطالون ويذكرنى فى خلوته إذا لهى عن ذكرى الغافلون ويذكر نعمتى عليه إذا غفل عنى الساهون .

طوبى لمن سهرت بالليل عيناه وبات فى قلق فى حب مولاه
وقام يرعى نجوم الليل منفرداً شوقاً إليه وعين الله ترعاه

قال رسول الله -ﷺ- : «البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يفنى كن كما شئت كما تدين تدان»(٣٦) .

ياهذا أتدرى ما صنعت ؟ بعت القرب بالبعد ، والفضل بالهوى ، والدين بالدنيا . وأنشدوا :

قم فارق نفسك وابكها مادمت وابك على مهل
فإذا اتقى الله الغنى فيما يريد فقد كمل

وعن جابر بن عبد الله -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : «ما نزع الله عبداً من ذنب إلا وهو يريد أن يقيله منه»(٣٧) .

(*) ما بين المعكوفتين سقط أثبتاه من « حلية الأولياء » لأبى نعيم .

٣٥- هذا الأثر من أوله إلى قوله «فإنى لا أضع إحسانى على أحد إلا هلك» ورد بحلية الأولياء لأبى نعيم (١٩٥/٨) .

٣٦- **حديث ضعيف** : أورده الديلمى فى مسند الفردوس (٢٢٠٣) ، وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (ص/٧٩) ، وأحمد فى الزهد (ص/١٧٦) ، وقال عنه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٧٦) : حديث ضعيف.

٣٧- **لم أقف عليه .**

وعن عبدالله بن عباس –رضى الله عنهما– قال : قال رسول الله –ﷺ– : «التائبون إذا خرجوا من قبورهم ارتفع من بين أيديهم ريح المسك ويأتون على مائدة من الجنة يأكلون منها وهم فى ظل العرش وسائر الناس فى شدة الحساب»(٣٨) .

[فضل البكاء من خشية الله]

ويروى أن رجلاً أتى إلى رسول الله –ﷺ– فقال : يارسول الله ، بم أتقى النار ؟ قال : بدموع عينيك . قال : وكيف أتقيها بدموع عينى ؟ قال : أهمل(٣٩) دموعهما من خشية الله فإن الله لا يعذب بالنار عيناً بكت من خشية الله»(٤٠) .

وعن عبدالله بن مسعود –رضى الله عنه– قال : قال رسول الله –ﷺ– : «قطرة تخرج من عين المؤمن من خشية الله خير له من الدنيا وما فيها وخير له من عبادة سنة ، وتفكر ساعة فى عظمة الله تعالى وقدرته خير من صيام ستين يوماً وقيام ستين ليلة ، ألا وإن لله ملكاً ينادى كل يوم وليلة أبناء الأربعين زرع دنى حصاده ، أبناء الخمسين هلموا إلى الحساب ، أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ، أبناء السبعين ماذا تنتظرون ، ألا ليت الخلق لم يخلقوا فإذا خلقوا ليتهم علموا لما خلقوا فعملوا لذلك ألا قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم»(٤١) .

نَزِّهْ مَشِيبَكَ عَن شَيءٍ يدنسه إنَّ البياضَ قليلُ الحملِ للدنس

---

٣٨ – لم أقف عليه .

٣٩ – أهمل : هملت العين : فاضت وسالت – والمعنى أكثر من البكاء من خشية الله . [الوسيط (٩٩٥/٢)]

٤٠ – **حديث ضعيف جداً** : رواه الخطيب فى «تاريخ بغداد» (٣٦٢/٨) وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٣٠/٤) ، وعزاه إلى ابن أبى الدنيا والأصبهانى .

٤١ – لم أقف عليه مرفوعاً . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٣/٤) مختصراً من كلام وهب بن منبه .

[خدعتك الدنيا وأنت لا تسمع ولا تبصر]

يا عبد السوء ، كم تعصى وتستر ، كم تكسر باب نهى وتحير ، كم تستقطر من عينيك دمع الخشية ولا تقطر ، كم نطلب وصلك بالطاعة وأنت تفر وتهجر ، كم لى عليك من النعم وأنت عبد لا تشكر ، خدعتك الدنيا وأعمال الهوى وأنت لا تسمع ولا تبصر ، سخرت لك الأكوان وأنت تطغى وتكفر ، وتطلب الإقامة فى الدنيا وهى قنطرة لمن يعبر .

منعوك من شرب المودة والصفا ... لما رأوك على الخيانة والجفا
إن أنت أرسلت العنان إليهم ... جاءوا عليك تكرماً وتعطفاً
حاشاهم أن يظلموك وإنما ... جعلوا الوفا منهم لأرباب الوفا

[مجوسى تدركه رحمة الله فيسلم]

وروى عن الحسن البصرى[42] -رضى الله عنه- أنه قال : دخلت على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت وكان منزله بإزاء منزلى وكان حسن الجوار ، حسن السيرة ، حسن الأخلاق فرجوت أن الله يوفقه عند الموت ويميته على الإسلام فقلت له : ما تجد وكيف حالك ؟ فقال لى : قلبٌ عليل ولا صحة لى ، وبدن سقيم ولا قوة لى ، وقبر موحش ولا أنيس لى ، وسفر بعيد ولا زاد لى ، وصراط رقيق ولا جواز لى ، ونار حامية ولا بدن لى ، وجنة عالية ولا نصيب لى ، ورب عادل ولا حجة لى . قال الحسن : فرجوت أن الله يوفقه

---

٤٢ – الحسن بن يسار البصرى ، وأبو سعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُساك ، ولد بالمدينة ، وشب فى كنف على بن أبى طالب وسكن البصرة وعظمت هيبته فى القلوب وكان لا يخاف فى الحق لومة لائم وله مع الحجاج مواقف لكنه سلم من أذاه ، ولد ٢١ هـ وتوفى ١١٠ هـ .
[الاعلام (٢/٢٢٦)]

فأقبلت عليه وقلت له : لم لا تُسْلِم حتى تَسْلَم ؟ قال : ياشيخ إن المفتاح بيد الفتاح والقفل ههنا وأشار إلى صدره وغشى عليه .

قال الحسن : فقلت : إلهى وسيدى ومولاى ، إن كان سبق لهذا المجوسى عندك حسنة فعجل بها إليه قبل فراق روحه من الدنيا وانقطاع الأمل فأفاق من غشيته وفتح عينيه ثم أقبل وقال : ياشيخ إن الفتاح أرسل بالمفتاح أمدد يمناك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ثم خرجت روحه وصار إلى رحمة الله تعالى . وأنشدوا :

ياثقتى ياأملى أنت الرجا أنت الولى اختم بخير عملى
وحقق التوبة لى قبل حلول أجلى وكن يارب ولى

[الترهيب من الغفلة]

إخوانى : ما هذه السِنَة[٤٣] وأنتم منتبهون ، وما هذه الحَيرة وأنتم تنظرون ، وما هذه الغفلة وأنتم حاضرون ، وما هذه السكرة وأنتم صائحون ، وما هذا السكون وأنتم مطالبون ، وما هذه الإقامة وأنتم راحلون ، أما آن لأهل الرقدة أن يستيقظوا أما حان لأبناء الغفلة أن يتعظوا !!

واعلم أن الناس كلهم فى هذه الدنيا على سفر فاعمل لنفسك ما يخلصها يوم البعث من سقر :

آنَ الرحيلُ فكنْ على حذر ما قد ترى يغنى عن الحذر
لا تغتر باليوم أو بغد قلوب المغرورين على خطر

---

٤٣ – السِّنَةُ : الغفلة . [الوسيط (١٠٣٣/٢)]

قال الجنيد[٤٤] : كان سرى السقطى[٤٥] –رضى الله عنه– متصل الشغل وكان إذا فاته شيء من ورده لا يقدر أن يعيده[٤٦] .

وكذلك كان عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– لم يكن له وقت ينام فيه فكان ينعس وهو جالس فقيل له : ياأمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال : كيف أنام إن نمت بالنهار ضيعت حقوق الناس ، وإن نمت بالليل ضيعت حظى من الله[٤٧] .

وسمع الجنيد –رضى الله عنه– يقول : ما رأيت أعبد لله تعالى من سرى السقطى أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤى قط مضطجعاً إلا فى علته التى مات فيها[٤٨] . قال الجنيد : سمعت السرى السقطى –رضى الله عنه– يقول : لولا الجمعة والجماعة ما خرجت من بيتى وللزمت بيتى حتى أموت[٤٩] .

٤٤–الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، كان يعمل بالخز ، عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بالكتاب والسنة . توفى (٢٩٧ هـ) .
[الأعلام (١٤١/٢)]

٤٥– السرى السقطى : هو سرى بن المغلس السقطى أبو الحسن : من كبار العباد ، بغدادى المولد والوفاة ، وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم فى وقته وهو خال الجنيد وأستاذه ، توفى (٢٠٥ هـ) . [الأعلام (٨٢/٣)]

٤٦– أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١٢٤/١٠) .

٤٧– أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٨٢/٢) .

٤٨– أورد هذا الأثر الخطيب فى تاريخ بغداد (١٩٢/٩) ، وابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٨٢/٢) .

٤٩– أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٨٣/٢) .

قال أبو بكر الصيدلانى :(*) سمعت [سليمان](٥٠) بن منصور بن عمار(٥١) يقول : رأيت أبى فى المنام فقلت له : ما فعل بك ربك ؟ قال : إن الرب قربنى وأدنانى وقال لى : ياشيخ السوء ، أتدرى لم غفرت لك ؟ فقلت : لا يا إلهى قال : إنك جلست للناس يوماً مجلساً فأبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبيدى لم يبك من خشيتى قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبت له(٥٢) .

وعن على بن محمد بن إبراهيم الصفار قال : حضرت أسود بن سالم(٥٣) ليلة وهو يقول ويبكى :

أمامى موقف قدام ربى ... سيسألنى وينكشف الغطاء
وحسبى أن أمر على صراط ... كحد السيف أسفله لظاء(٥٤)

وكذلك روى عن الضحاك أنه قال : خرجت ذات ليلة إلى مسجد الكوفة فلما قربت من المسجد فإذا فى بعض رحابه شاب قد خرّ ساجداً وهو يخور

(*) أبو بكر الصيدلانى : هو جعفر بن محمد بن إبراهيم بن حبيب ، توفى ٣١٧ هـ . [تاريخ بغداد (٢١٠/٧)]

٥٠ – كذا بالأصل والصواب (سليم) [انظر «صفوة الصفوة» (٣٠٨/٢)] .

٥١ – سليم بن منصور بن عمار : أبو الحسن المروزى سكن بغداد وحدث بها عن أبيه وعن إسماعيل بن علية ، وعلى بن عاصم ، وأبو داود الطيالسى وروى عنه الحسن بن الصباح البزار وغيره . [تاريخ بغداد (٢٣٢/٩)]

٥٢ – أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٠٨/٢) .

٥٣ – أسود بن سالم : من أهل بغداد ، كان صالحاً ورعاً وكان بينه وبين معروف الكرخى مؤاخاة ومودة ومصافاة ومحبة ، وكان معروفاً بالخير ، مات سنة ثلاث عشرة – أو أربع عشرة – ومائتين . [تاريخ بغداد (٣٥/٧)] ، [وصفة الصفوة (٣٠٧/٢)]

٥٤ – أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣٠٧/٢) .

بالبكاء فلم أشك أنه من أولياء الله تعالى فقربت منه لأسمع ما يقول فسمعته يقول :

عليك ياذا الجلال معتمدى طوبى لمن كنت أنت مولاه
طوبى لمن بات خائفاً وجلا يشكوا إلى ذى الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم أكثر من حبه لمولاه
إذا خلى فى الظلام مبتهلاً أجابه الله ثم لباه
ومن ينال ذا من الإله فقد فاز بقرب تقر عيناه

فبقى يكرر هذه الأبيات ويبكى وأنا أبكى رحمة لبكائه فبينما أنا كذلك إذ لاح لى ضوء كالبرق الخاطف فأسرعت بيدى إلى عينى فسمعت منادياً ينادى من فوق رأسه بكلام عذب لذيذ لا يشبه كلام بنى آدم وهو يقول :

لبيك عبدى وأنت فى كنفى وكل ما قلت قد قبلناه
صوتك تشتاقه ملائكتى وحسبك الصوت قد سمعناه
أن هبت الريح من جوانبه خرّ صريعاً لما تغشاه
دعاء عبدى يجول فى حجبى وذنبك اليوم قد غفرناه

فقلت : مناجاة الحبيب مع حبيبه -ورب الكعبة- فخريت[٥٥] مغشياً على وجهى لما أدركنى من الهيبة ثم أفقت من غشيتى وأنا أسمع ضجيج الملائكة فى الهواء وخفقان أجنحتهم بين السماء والأرض وخيل لى أن السماء قد قربت مَن الأرض ورأيت النور قد غلب على ضوء القمر وكانت ليلة مقمرة ساطعة النور فدنوت منه وسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت له : بارك الله فيك من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع عنه .

٥٥- كذا بالأصل ولعل الصواب (فخررت) .

الفصـــل الثـــانى

[احذروا هجوم الأجل]

إخوانى : إلى كم تماطلون بالعمل ؟! وتطمعون فى بلوغ الأمل ، وتغترون بمنحة المهل ولا تذكرون هجوم الأجل ؟!، ما ولدتم فللتراب ، وما بنيتم فللخراب ، وما جمعتم فللذهاب ، وما عملتم ففى كتاب مدخر ليوم الحساب .

وأنشدوا :

وَلَو أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الموتُ راحةُ كلِّ حَيٍّ
ولَكنَّا إِذَا مِتنا بُعِثنا ونُسئلُ بعدها عن كلِّ شيء

[عاقبة المعاصـــى]

يروى عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أنه قال : لا يغرنكم قول الله عز وجل : ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**﴾(٥٦) فإن السيئة وإن كانت واحدة فإنها تتبعها عشر خصال مذمومة :

أولها : إذا أذنب العبد ذنباً فقد أسخط الله وهو قادر عليه .

والثانية : أنه فرّح إبليس لعنه الله .

والثالثة : أنه تباعد من الجنة .

والرابعة : تقرب من النار .

والخامسة : أنه قد آذى أحب الأشياء إليه وهى نفسه .

والسادسة : أنه نجس نفسه وقد كان طاهراً .

٥٦- سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

والسابعة : أنه قد آذى الحفظة .

والثامنة : أنه أحزن النبى -ﷺ- فى قبره .

والتاسعة : أنه أشهد على نفسه السموات والأرض وجميع المخلوقات بالعصيان .

والعاشرة : أنه خان جميع الآدميين وعصى رب العالمين(٥٧) .

[حكاية ذى النون مع عابد]

يروى عن ذى النون المصرى(٥٨) أنه قال : خرجت أريد الحجاز ولم أصحب أحداً من الناس فبينما أنا سائر إذ وقفت فى أرض صحراء وقد نفد زادى فأشرفت على الهلاك إذ لاحت لى شجرة فى وسط الصحراء دانية الفروع متدلية الأغصان كثيرة الأوراق فقلت فى نفسى : أسير إلى نحو هذه الشجرة فأكون فى ظلها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فلما وصلت إلى الشجرة ودنوت منها وأردت الدخول فى ظلها فأخذ غصن من أغصانها بركوتى(٥٩) فانغرق الماء الذى كان بقى لى فيها أحيى به رمقى فأيقنت بالهلاك وطرحت نفسى فى ظل الشجرة وبقيت انتظر ملك الموت ليقبض روحى فإذا أنا بصوت حزين يخرج من قلب شخص حزين وهو يقول : إلهى وسيدى ومولاى إن كان فى هذا رضاك منى فزد

٥٧- أورده المصنف بصيغة التضعيف «يروى» .

٥٨- ذو النون المصرى : هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى ، أبو الفياض أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر ، نوبى الأصل من الموالى ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر فى «ترتيب الأحوال والمقامات لأهل الولاية» توفى بالجيزة بمصر سنة ٢٤٥ هـ . [الأعلام (١٠٢/٢)]

٥٩- بركوتى : الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . [المعجم الوسيط (٣٧١/١)]

حتى ترضى عنى ياأرحم الراحمين ، فقمت وجعلت أمشى نحو الصوت فإذا أنا بشخص حسن الصورة حسن الوجه وهو ملقى على الرمل والنسور قد أحدقت به تنهش من لحمه فسلمت عليه فرد علىّ السلام وقال لى : ياذا النون – لما نفد الزاد وانغرق الماء وأيقنت بالموت والفناء – فجلست عند رأسه وجعلت أبكى رحمة لبكائه وشفقة لما رأيت منه فبينما أنا كذلك إذا أنا بقصعة من الطعام ووضعت بين يدى فوكز الأرض بعرقوبه فإذا بعين من الماء قد انفجرت أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فقال لى ياذا النون ، كُلْ واشرب لابد لك من الوصول إلى بيت الله الحرام ولكن ياذا النون لى إليك حاجة فإذا قضيتها لى فلك الأجر والثواب ، قلت : وما هى ؟ قال لى : إذا أنا مت فغسلنى وادفنى واسترنى من الوحش والطير وسرْ فإذا قضيت الحج فإنك تصل إلى مدينة بغداد وتدخل من باب الزعفران فإنك تجد هنالك الصبيان يلعبون وعليهم ألوان الثياب فتجد هنالك شاباً صغير السن ليس يشغله شيء عن ذكر الله تعالى قد تحزم بخرقة وجعل على كتفيه أخرى وفى وجهه خطان أسودان من آثار الدموع فإذا وجدته فذلك ولدى وقرة عينى فأقرئه منى السلام ، قال ذو النون فلما فرغ من كلامه سمعته يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وشهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله عليه. فقلت: ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾(٦٠) وكان معى قميص فى وعائى لا أفارقه فغسلته من الماء وكفنته وواريته التراب وسرت إلى بيت الله الحرام وقضيت مناسك الحج وخرجت إلى زيارة قبر رسول الله –ﷺ– فلما قضيت الزيارة وسرت إلى مدينة بغداد فدخلتها فى يوم عيد فإذا الصبيان يلعبون وعليهم ألوان الثياب فنظرت فرأيت الصبى الموصوف جالساً لا يشغله الموهوب عن ذكر علام الغيوب وقد ظهرت على وجهه الأحزان وفى وجهه خطان أسودان من آثار الدموع وهو يقول :

الناس كُلّهمُ للعيدِ قد فَرِحوا ... وقد فرحتُ أنا بالواحدِ الصمدِ
الناس كُلّهمُ للعيدِ قد صَبَغوا ... وقد صبغتُ ثيابَ الذلِّ والكمدِ
الناس كُلهمُ للعيدِ قد غَسلوا ... وقد غسلتُ أنا بالدمعِ للكبدِ

٦٠– سورة البقرة : الآية ١٥٦ .

قال ذو النون : فسلمت عليه فرد علىّ السلام ، وقال : مرحباً برسول أتى من عند أبى فقلت له : من أخبرك بأنى رسول أتيتك من أبيك ؟ قال : الذى أخبرنى أنك دفنته فى الصحراء ياذا النون أتزعم أنك دفنت أبى فى الصحراء فوالله إن أبى رفع إلى سدرة المنتهى ولكن سر معى إلى جدتى فأخذ بيدى وسار معى إلى منزله فلما وصل إلى الباب نقر نقراً خفيفاً فإذا بالعجوز قد خرجت علينا فلما رأتنى قالت : مرحباً بمن تمتع بالنظر فى وجه حبيبى وقرة عينى قلت لها : من أخبرك بأنى رأيته ؟ قالت : الذى أخبرنى بأن الكفن مردود عليك ياذا النون فوعزة ربى وجلاله إن خرقة ابنى يباهى الله بها الملائكة فى الملأ الأعلى ثم قالت : ياذا النون صف لى كيف تركت ابنى وقرة عينى وثمرة فؤادى قلت لها : تركته فى الفيافى والقفار بين الرمال والأحجار قد حظى بما أمل من العزيز الغفار، فلما سمعت العجوز ذلك ضمت الصبى إلى صدرها وغابت عنى وحجبت عن نظرى ولا أدرى فى السماء صُعد بها ولا فى الأرض هُبط بها فصرت أطلبهما فى أركان الدار فما وجدتهما فسمعت هاتفاً وهو يقول : ياذا النون لا تتعب نفسك فقد طلبتهم الأملاك فلم يجدوهم فقلت : أين صاروا ؟ فقال لى : إن الشهداء يموتون بسيوف المشركين وهؤلاء المحبون يموتون بالشوق إلى رب العالمين فيحملون فى مركب من نور ﴿**فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾[61] قال ذو النون فتفقدت الجراب فوجدت الكفن الذى كفنته فيه مطوياً كما كان أولاً[62] . رضى الله عنهم أجمعين .

---

٦١ – سورة القمر : الآية ٥٥ .

٦٢ – لا أدرى ماذا أقول عن مثل هذه الحكايات أهى من الكرامات أم من الخرافات فالعابد يترك نفسه للنسور تنهش جسده دون أن يحاول المقاومة وكأنه لم يسمع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ يستسلم للنسور تماماً وهذا نوع من التواكل الذى نهانا رسول الله – ﷺ – عنه ، والابن ينادى ذا النون باسمه ويحدثه بخبر أبيه مع أنه غيب عنه وكأنه يعلم الغيب . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – فلا يعلم الغيب سواه ﴿ **قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ ولننظر إلى رسول الله ﷺ عندما طرق عليه الباب طارق ، قال : من ؟ فهو لا يعلم من الطارق ما لم يعلمه ذلك الطارق أو يأتيه وحى من الله ينبئه عن ذلك ! والأم كذلك تخبر عن ابنها أنه فى الجنة فمن الذى أعلمها بذلك !!! فالله المستعان وحده على مثل هذه الأخبار وتلك الفتن !!

الفصــل الثـالث

[احذر يامقيماً على الخطايا والعصيان]

أيها المقيم على الخطايا والعصيان ، التارك لما أمر به الرحمن ، المطيع لغوى الشيطان، إلى متى أنت على جرمك مصرٌّ ؟!، ومما يقربك إلى مولاك تفر ؟!، تطلب من الدنيا ما لا تدركه ؟!، وتبتغى من الآخرة بما لا تملكه ؟! لا أنت بما قسم الله لك من الرزق واثق ، ولا أنت بما أمرك به لاحق ؟! .

[أما تنتفع بالمواعظ]

يا أخى الموعظة -والله- لا تنفعك ، والحوادث لا تردعك ، ولا الدهر يردعك ، ولا داعى الموت يسمعك ، كأنك يامسكين لم تزل حياً موجوداً وكأنك لا تعود نسياً مفقوداً ، فاز -والله- المخففون من الأوزار ، وسلم المتقون من عذاب النار ، وأنت مقيم على كسب الجرائم والأوزار . **وأنشدوا** :

عِيلَ صبرى[٦٣] وحقَّ لى أنْ أنوحا ... لَمْ تدعْ لى الذنوبُ قلباً صحيحاً
أخلفت مهجتى أكف الماضى ... ونعانى المشيب نعياً صريحاً
كيما قتلت قد جرح قلبى ... عاد قلبى من الذنوب جريحاً
إنما الفوز والنعيم بعبد ... جاء فى الحشر آمناً مستريحاً

---

٦٣ - عيل صبرى : أى نفد . [المعجم الوسيط (٢/٦٣٧)]

٦٤ - أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١٠/٢٧٣) .

[ارفضوا الدنيا]

إخوانى ، ارفضوا هذه الدنيا كما رفضها الصالحون ، وأعدوا الزاد لنقلة لابد لها أن تكون ، واعتبروا بما تدور به عليكم الأيام والسنون .

يامن غدا فى الغى والتيه وغـــره طول تماديـــه
أملى لك الله فبارزتـــه ولم تخف غب معاصيـــه

وقال الجنيد -رحمه الله-: مرض السرى -رحمه الله- فدخلت عليه أعوده فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكـو إلى طبيبى ما بى والذى قد أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروح عليه فقال : كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من داخل ؟!، ثم أنشأ يقول :

القلب محترقٌ والدمع مستبقٌ والكرب مجتمعٌ والصبر مفترقُ
كيف الفرارُ على مَنْ لا فِرارَ له مِمَّا جَناهُ الهوى والشوقُ والقلقُ
يارب إنْ كان شىء لى فيه فرح فامننْ علىَّ به مادام بى رمقُ(٦٤)

[الثقة فى رزق الله]

روى عن على بن الموفق(٦٥) -رحمه الله- أنه قال : خرجت يوماً لأؤذن فأصبت قرطاساً فأخذته ووضعته فى كمى وأقمت الصلاة وصليت فلما صليت

٦٥- على بن الموفق : أبو الحسن العابد من أهل بغداد وكان من الزاهدين المذكورين وتوفى سنة ٢٦٥ هـ . [تاريخ بغداد (١٢/١١٠)]، [صفة الصفوة (٢/٣٨٦)]

قرأته فإذا فيه مكتوب : «بسم الله الرحمن الرحيم ، ياعلى بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك ؟! »[٦٦] .

[احتضار الشافعى]

ويروى عن المزنى[٦٧] قال : دخلت على الشافعى -رضى الله عنه- فى علته التى مات فيها فقلت له : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، ولسوء عملى ملاقياً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ، ثم بكى وأنشأ يقول :

ولما قسىٰ قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منّى لعفوك سُلّما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنتـه ... بعفوك ربّى كان عفوك أعظما

فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما[٦٨]

فلولاك لم ينجُ من إبليس عابد[٦٩] ... وكيف وقد أغوى صفيك آدمَ

٦٦- أورد هذا الأثر الخطيب فى تاريخ بغداد (١١٢/١٢) ، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣٨٦/٢) .

٦٧- المزنى هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو إبراهيم ، صاحب الشافعى من أهل مصر ، كان زاهداً عالماً مجتهداً قوى الحجة وهو إمام الشافعيين ، من كتبه «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير» والمختصر .. ولد ٢٧٥ هـ وتوفى ٣٦٤ هـ [الأعلام (٣٢٩/١)]

٦٨- أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣٥٨/٢) ، ونسب الخطيب فى تاريخ بغداد (٤٤٧/٧) هذه الأبيات لأبى نواس عند احتضاره .

٦٩- ورد هذا الشطر فى تاريخ بغداد (٤٤٧/٧) هكذا : ولولاك لم يغو بإبليس عابد .

[بادروا بالتوبة]

إخوانى : بادروا بالتوبة من الذنوب ، واقتفوا آثار التوابين ، واسلكوا مسالك الأوابين ، الذين نالوا التوبة والغفران ، وأتعبوا أنفسكم فى رضا الرحمن ، فلو رأيتهم فى ظلم الليالى قائمين ، ولكتاب ربهم تالين ، بنفوس خائفة ، وقلوب واجفة قد وضعوا جباههم على الثرى ، ورفعوا حوائجهم لمن يَرَى ولا يُرى . وأنشدوا :

ألا قف ببابى عند قرع النوائب　　وثق بى تجدنى خير خل وصاحب
ولا تبتغِ غيرى فتصبح نادماً　　ومن يبتغ غيرى يعش عيش خائن

[إسلام معروف الكرخى وأسرته]

كان أبو محفوظ معروف الكرخى[٧٠] قد خصه الله الاجتبا فى حال الصبا ، يذكر أن أخاه عيسى قال : كنت أنا وأخى معروف فى المكتب وكنا نصارى وكان المعلم يعلم الصبيان أب وابن قال : فيصيح أخى معروف أحد أحد فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فهرب على وجهه . وكانت أمه تبكى وتقول : لئن ردّ الله علىّ معروف لأتبعنه على أى دين كان ، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له يابنى ، على أى دين أنت ؟ قال : على دين الإسلام فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلمت أمى وأسلمنا كلنا[٧١] .

٧٠-معروف بن فيروز الكرخى ، أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والعباد كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم ، ولد فى كرخ ببغداد ، ونشأ وتوفى ببغداد ، اشتهر بالصلاح كان الإمام أحمد يختلف إليه ولابن الجوزى (المصنف) كتاب فى أخباره . [الأعلام (٧/٢٦٩)]

٧١- أورد هذا الأثر المصنف فى «صفة الصفوة» (٢/٣١٨، ٣١٩)

وقال أحمد بن الفتح(٧٢) رأيت بشر بن الحارث فى منامى وهو قاعد فى بستان وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت : ياأبا نصر ، ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى وغفر لى وأباح لى الجنة بأسرها وقال لى : كل من جميع ثمارها ، واشرب من أنهارها ، وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك عن الشهوات فى دار الدنيا ، فقلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ فقال : هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقلت : ما فعل الله بمعروف الكرخى ؟ فحرك رأسه وقال : هيهات ، هيهات حالت بيننا وبينه الحُجب ، إن معروفاً لم يعبد الله شوقاً إلى جنته ولا خوفاً من ناره(٧٣) وإنما عبده شوقاً إليه فرفعه إلى الرفيق الأعلى ، ورفع الحجاب بينه وبينه ذلك الدرياق المقدس المجرب فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له(*) إن شاء الله تعالى .

٧٢- أحمد بن الفتح بن موسى ، أبو بكر الأرزق الوراق صاحب بشر بن الحارث ، حكى عن بشر حكايات . [تاريخ بغداد (٤/٣٤٤)]

٧٣- اعلم أخى المسلم أن المؤمن يعبُد الله خوفاً من ناره وطمعاً فى جنته مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى واصفاً أحد أنبيائه ﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

(*) اعلم أن قصد قبور الصالحين ودعائهم لم ينص عليه الشرع الحنيف ولا هى من أماكن إجابة الدعاء .. فهى مخالفة للشرع كل المخالفة . والله المستعان !!

الفصـــل الرابـــع

[ياإخوان الغفلة تيقظوا]

ياإخوان الغفلة تيقظوا ، يامقيمين على الذنوب انتهوا واتعظوا ، فبالله أخبرونى من أسوء حالاً؟ من استعبده هواه أم من خسر صفقته، أمن باع آخرته بدنياه ؟ فما للغفلة قد شملت قلوبكم ، وما للجهالة قد سترت عنكم عيوبكم ، أما ترون صوارم(٧٤) الموت بينكم لامعة ، وقوارعه(٧٥) بكم واقعة ، وطلائعه عليكم طالعة ، وفجائعه لعذركم قاطعة ، وسهامه فيكم نافذة ، وأحكامه بنواصيكم آخذة ، أتطمعون فى بقاء الأبعد ؟ كلا والواحد الصمد ، إن الموت لبالمرصاد ، ولا يبقى على والد ولا ولد ، فجدوا -رحمكم الله- فى خدمة مولاكم ، وأقلعوا عن الذنوب فلعله يتولاكم .

[تواضع العابدين]

ويروى عن محمد بن قدامة قال : لقى بشر بن الحارث(٧٦) رجلاً سكراناً فجعل السكران يقبله ويقول : ياسيدى أبا نصر ولا يدفعه بشر عن نفسه ، فلما ولّى، تغرغرت عينا بشر بالدموع ، وقال : رجل أحب رجلاً على خير توهمه فيه ولعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله ، قال : فوقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت : ياأبا نصر لعلك تشتهى من هذا شيئاً ؟ قال : لا

٧٤- صوارم : السيوف القاطعة الباترة . [الوسيط (٥١٣/١)]

٧٥- قوارع : جمع قارعة وهى المصيبة . [الوسيط (٧٢٨/٢)]

٧٦- بشر بن الحارث بن على بن عبدالرحمن المروزى ، أبو نصر المعروف بالحافى : من كبار الصالحين ، له فى الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل « مرو » سكن بغداد وتوفى بها ، (ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى ٢٢٧ هـ) . [الأعلام (٥٤/٢)]

ولكن نظرت فى هذا إذا كان يطعم لمن يعصيه فكيف من يطيعه ماذا يطعمه فى الجنة ويسقيه[٧٧] .

[تحذير إلى الغافل]

إخوانى : ما الغافل إلى كم يلام ، أما توقظه الليالى والأيام ، أين سكان القصور والخيام ، دار –والله– عليهم كأس الحمام ، فالتقطهم الموت كما يلتقط الحب الحمام ، ما للمخلوق فيها دوام ، طويت الصحف وجفت الأقلام . **وأنشدوا** :

دعونى على نفسى أنوح وأندب ... بدمع غزير أو أكف تصبب
دعونى على نفسى أنوح لأننى ... أخاف على نفسى الضيعة[٧٨] تعطب[٧٩]
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى ... إلى أين ألجأ أم إلى أين أهرب
فياطول حزنى ثم ياطول حسرتى ... إذا كنت فى نار الجحيم أعذب
وقد ظهرت تلك القبائح كلها ... وقد قرب الميزان والنار تلهب
ولكننى أرجو الإله لعله ... بحسن رجائى فيه لى يتوهب
ويدخلنى دار الجنان بفضله ... فلا عمل أرجو به أتقرب
سوى حب طه الهاشمى محمد ... وأصحابه والآل من قد ترهبوا

٧٧– أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٢٧/٢) .

٧٨– كذا بالأصل ولعلها (العصية) ليستقيم الوزن والمعنى .

ومعنى (العصية) : المخالفة لأمر الله [الوسيط (٦٠٦/٢)]

٧٩– تعطب : تهلك وتفسد . [الوسيط (٦٠٧/٢)]

[شدة الحساب]

قال رسول الله -ﷺ- : «يؤتى برجل يوم القيامة قد جمع المال من الحلال وأنفقه فى الحلال فيقال له : قف للحساب فيحاسب على كل حبة وذرة ودانق من أين أخذه وفيما أنفقه»(٨٠) ثم قال -ﷺ- : «يابن آدم ما تصنع بالدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب»(٨١) وأنشدوا :

فلا تأمن لذى الدنيا صلاحاً　　فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفـــرح لمال تقتنيـــه　　فإنك فيه معكـوس المراد

[البسطامى عند موته]

قال بعض السلف : إن أبا يزيد البسطامى(٨٢) بكى عند موته ثم ضحك ثم فارق الدنيا، فرئى فى المنام بعد موته فقيل له : لم بكيت قبل الموت ثم ضحكت ؟ فقال : لما كنت فى النزع أتانى إبليس لعنه الله وقال لى : ياأبا يزيد أفلت من شبكتى فبكيت حينئذ إلى الله تعالى فنزل علىّ ملك من السماء وقال لى : ياأبا

٨٠- لم أقف عليه .

٨١- **حديث ضعيف جداً** : أورده الديلمى (٨١٩٢ - الفردوس) وعزاه السيوطى فى جامع الجوامع (٩٤٦/١) إلى الدارقطنى والديلمى عن ابن عباس .

- وعزاه العراق إلى ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب .

٨٢- أبو اليزيد البسطامى ، ويقال بايزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامى : زاهد مشهور له أخبار كثيرة ، كان ابن عربى يسميه أبا يزيد الأكبر . نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ووفاته فيها ، وفى المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية ولد ١٨٨ هـ وتوفى ٢٦١ هـ .

[الأعلام (٢٣٥/٣)]

يزيد يقول لك رب العزة لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة فضحكت عند ذلك وفارقت الدنيا . وأنشدوا :

وقلت وأجفانى تفيض دموعها ... ذليل حزين مطرق الطرف نادم
وكل مسىء أوبقته ذنوبه ... .(*)
فيارب ذنبى قد تعاظم قدره ... وأنت بما أشكوه يارب عالم
وأنت رؤوف بالعباد مهيمن ... حليم كريم واسع العفو راحم

كم من يوم قطعته بالتسويف ؟ ، وكم من سبب أضعت في التكليف ؟! وكم من أذن سماعة لا يزجرها التخويف ؟! .

[احتضار جابر بن زيد]

ولما حضرت جابر بن زيد(٨٣) الوفاة قيل : ما تشتهى ؟ قال : نظرت فى وجه الحسن(٨٤) فبلغ ذلك الحسن فجاءه ودخل عليه(٨٥) وقال له : ياجابر ، كيف تجدك ؟ قال : أجد أمر الله غير مردود ، يا أبا سعيد ، حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله -ﷺ- فقال الحسن : ياجابر ، قال رسول الله -ﷺ- :

(*) سقط الشطر الثانى من هذا البيت ولعله سقط من الناسخ .

٨٣- جابر بن زيد الأزدى البصرى أبو الشعثاء ، تابعى فقيه ، من الأئمة ، من أهل البصرة . أصله من عمان ، صحب ابن عباس وكان من بحور العلم وصفه الشماخى (وهو من علماء الإباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذى قامت عليه آطامه . نفاه الحجاج إلى عمان وفى كتاب الزهد للإمام أحمد : لما مات جابر بن زيد قال قتادة : اليوم مات أعلم أهل العراق . ولد (٢١ هـ) وتوفى (٩٣ هـ) [الأعلام (١٠٤/٢)]

٨٤-الحسن : يقصد الحسن البصرى التابعى الجليل - رضى الله عنه - وقد سبقت الترجمة له .

٨٥- هذا الأثر إلى قوله (ودخل عليه) أورده أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٨٩/٣) .

«المؤمن من الله على سبيل خير ، إن تاب قَبله ، وإن استقال أقاله ، وإن اعتذر إليه قَبِل اعتذاره وعلامة ذلك قبل خروج روحه يجد برداً على قلبه»(٨٦) فقال جابر : الله أكبر إلى لأحد برداً على قلبى ، ثم قال : اللهم إن نفسى تطمع فى ثوابك فحقق ظنى ، وآمن خوفى وجزعى ثم تشهد ومات .

[سبب توبة داود الطائى]

وكان سبب توبة داود الطائى(٨٧) أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر تبكى وتقول :

تَزيدُ بلى فِي كلّ يوم وليلةٍ ... وتُسلى كما تبلى وأنت حبيبُ
مقيمٌ إلى أنْ يبعثَ اللهُ خَلقَهُ ... لِقاؤك لا يُرجى وأنت رقيبُ(٨٨)

الفصــل الخامــس

[اقرءوا صحف العبر]

إخوانى ، رودوا هذه النفوس بزمام ، وازجروا هذه القلوب عن الآثام ، واقرءوا صحف العبر بألسنة الأفهام ، يامن أجله خلفه ، وأمله قدامه ، يامقتحماً على الجرائم أى اقتحام ، انتبهوا يانوام كم ضيعتم من أعوام ، الدنيا كلها منام وأحلى ما فيها أحلام ، غير أن عقل الشيخ فيها كعقل الغلام ، فكل من قهر نفسه فيها فهو

٨٦- **حديث ضعيف** : من مراسيل الحسن البصرى .

٨٧-داود الطائى : داود بن نصير الطائى أبو سليمان : من أئمة العباد ، كان فى أيام المهدى العباسى ، أصله من خراسان ومولده بالكوفة رحل إلى بغداد فأخذ عن أبى حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها سنة ١٦٥ هـ .
[الأعلام (٣٢٥/٢)]

٨٨- أورد هذا الأثر المصنف فى «صفة الصفوة» (١٣٢/٣) .

الهمام[٨٩] ، هذه الغفلة قد تناهت ، والمصائب قد تدانت فإنا لله وإنا إليه راجعون والسلام .

[عاقبة حب الدنيا]

مر عيسى عليه السلام – على قرية فوجد كل من فيها أمواتاً وهم مطروحون على وجوههم فى الأزقة فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال : يامعشر الحواريون إن هؤلاء القوم قد ماتوا على سخط وغضب ولو ماتوا على رضا من الله لدفن بعضهم بعضاً ، فقالوا : ياروح الله وددنا أن نعرف قصتهم وخبرهم ، قال : فسأل الله عز وجل فى ذلك فأوحى الله إليه : إذا كانَ الليل ناد بهم فإنهم يجيبون، فلما كان الليل صعد عيسى على شَرَفٍ[٩٠] ونادى ياأهل القرية، فأجابه مجيب من بينهم لبيك ياروح الله ، فقال : ما قصتكم ؟ وما خبركم ؟ فقال : ياروح الله ، بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لحبنا فى الدنيا وطاعتنا لأهل المعاصى ولم نأمر بالمعروف ، ولم ننه عن المنكر ، فقال له عيسى –عليه السلام– : كيف كان حبكم للدنيا قال : كحب الصبى لأمه ، إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنّا وبكينا ، فقال له عيسى –عليه السلام– : يا هذا ، ما بال أصحابك لم يجيبونى ؟ قال : إنهم ملجمون بلجام من النار بأيدى ملائكة غلاظ شداد ، قال : وكيف أجبتنى أنت من بينهم ؟ قال : إنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب لحقنى معهم فأنا الآن معلق على شفير جهنم لا أدرى أأنجو منها أم أكب فيها[٩١] . أعاذنا الله منها .

٨٩– الهمام : السيد الشجاع السخي . [الوسيط (٢/٩٩٥)]

٩٠– شرف : الشَّرَفُ : الموضع العالى يشرف على ما حوله . [الوسيط (١/٤٨٠)]

٩١– أورده أبو نعيم فى الحلية (٤/٦١، ٦٢) وابن أبى الدنيا فى «ذم الدنيا» (ص/١٠٢، ١٠٣) رقم ٢٨٢ ، وأورده الغزالى فى الإحياء (٣/٢٠١) .

[العمر]

يا من يسير بعمره وقد تعدى الحدود، ابك على مصيبتك فإنك مطرود ، يامن عمره يشهد به ، وليس الماضي يعوده ، قد أسمعتك المواعظ من إرشادها نصحاً ، وأخبرك الشيب أنك بالموت تُقصد ، وناداك لسان الاعتبار **﴿ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾**[92] . **وأنشدوا :**

لما انقضى زمن التواصل والرضا   قد صِرتَ تطلب ردَّ أمرٍ قد مضى

هلّا أتيت ووقت وصلك ممكن   وبياضُ شيبكَ فى العوارضِ قدهنى

[أوان الاستغفار]

يا أخى ، هذا أوان الرجوع والاستغفار ، والإقلاع عن الذنوب والأوزار ، « من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار »[93] .

وأنشدوا :

أتيتك راجياً ياذا الجلال   ففرِّجْ ما ترى من سوء حالى

عصيتك سيدى وَيْلى بجهلى   وعيب الذنب لم يخطر ببالى

إلى من يشتكى المملوك إلَّا   إلى مولاهُ يامولى الموالى

فَوَيْلى ليتَ أُمّى لم تلدنى   ولا أعصيك فى ظلم الليالى

وها أنا ذا عُبَيْدك عبدَ سوءٍ   ببابك واقفٌ ياذا الجلال

فإن عاقبت يارب فإنّى   محق بالعذاب وبالنكال

وإن تعفو فعفوك أرتجيه   ويحسن إن عفوت قبيح حالى

---

٩٢ – سورة الانشقاق : الآية ٦ .

٩٣ – هذا الحديث قال عنه المصنف فى الموضوعات : هذا حديث لا يصح عن رسول الله – ﷺ – [انظر الموضوعات لابن الجوزى (١٧٩/١)]

[الدنيا دار تكليف وامتحان]

يقول الله عز وجل : عبادى ، أما علمتم أنى جعلت الدنيا دار تكليف وامتحان وأنى لا أخص بمنازل الفضل والإحسان ، إلا من تاب إلىّ فيها عن مواطن الزلات والعصيان ، فمالكم ما أتيتم لبابى ، ولا رغبتم فى جزيل فضلى وثوابى ، ولا خفتم من أخذى وعقابى ؟!

[قطرات الدموع]

فيامن جلت غفلته ، وطالت سكرته ، تأمل عطف المولى عليك وإحسانه إليك ، فبالله عليكم حطوا بالتوبة عن ظهوركم أحمال الخطايا والذنوب ، وأقبلوا بقلوبكم إلى علاّم الغيوب ، واغسلوا وجوهكم بقطرات الدموع واشتملوا[٩٤] بأردية التذلل والخضوع . **وأنشدوا** :

ركبتُ مآثمى فلقيت ذلاً ... وسالت عبرتى طلّاً ووبلا[٩٥]
وصرتُ أعاتِبُ القلبَ المبلا ... إلى من يشتكى المملوك إلّا
إلى مولاه يامــولى الموالى ... فلطفك بى إله العرش أولى

٩٤- اشتملوا : اشتمل بثوبه : أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده . [الوسيط (٤٩٥/١)]

٩٥- طلاً : الطل : المطر الخفيف يكون له أثر قليل . [الوسيط (٥٦٤/٢)]
ووبلاً : الوبل المطر الشديد ، الضخم القطر . [الوسيط (١٠٠٩/٢)]
والمعنى - والله أعلم - ذرفت الدمع قليلاً وكثيراً .

الفصـــل الســـادس

[شمروا لأخراكم]

إخوانى ، انتبهوا من غفلتكم فنوم الغفلة ثقيل ، وشمروا لآخرتكم فإنما الدنيا منزل وفى طريقها مقيل .

جاء فى بعض الأخبار أن الله تعالى أوحىَ إلى بعض أنبيائه – عليهم السلام – « يا نبى، شتان بين من عصانى وخالف أمرى وبين من قطع عمره فى معاملتى وذكرى ولزم الوقوف ببابى » .

فيا خجلة الخاطئين ، وياندامة البطالين . **وأنشدوا** :

اخلو بنفسك إن أردت تقرباً ... ودع الأنام بمعزل ياعانى
واعمل على قطع العلائق جملة ... فالعيش فى خرق الحجاب الفانى

[من المفلـــس ؟]

وفى الخبر أن النبى – ﷺ – قال ذات يوم لأصحابه : يا أصحابى أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يارسول الله ، المفلس عندنا من ليس له دينار ولا درهم . فقال لهم : ليس هو ذلك ، إنما المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وصدقة ثم يأتى وقد شتم هذا ، ولطم هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا كذلك حتى تفنى حسناته قبل أن يؤدى ما عليه فتؤخذ خطاياهم فتحمل على خطاياه ويقذف فى النار(٩٦) . فهذا هو المفلس نعوذ بالله من الحرمان .

٩٦– **حديث صحيح** : رواه مسلم (٢٥٨١) ، وأحمد (٣٠٣/٢) ، والترمذى (٢٤١٨) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٩٣/٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٧٥/٦) ، والخطيب فى تاريخه (٢٣/٤) .

[كرامة لابن أدهم]

قال بعض الصالحين : أتيت إبراهيم بن أدهم لأزوره فطلبته فى المسجد فلم أجده فقيل لى : إنه خرج الآن من المسجد فخرجت فى طلبه فوجدته فى بطن واد نائم فى زمان الحر وحية عظيمة عند رأسه وفى فم الحية غصن من الياسمين وهى تطرد عنه الذباب فبقيت متعجباً من ذلك وإذا بالحية قد أنطقها الله الذى أنطق كل شيء فقالت لى : مم تتعجب أيها الرجل ؟ فقلت : من فعلك هذا وأكثر تعجبى من كلامك وأنت عدوة لبنى آدم ، فقالت لى : والله العظيم ما جعلنا الله أعداء إلا للعاصى ، وأما أهل طاعته فنحن لهم منقادون[٩٧] . **وأنشدوا** :

فِعَالِى قبيحٌ وظنّى حسنٌ ... وربّى غفورٌ كثيرُ المَنَنْ
تبارزْ مولاكَ يامنْ عصى ... وتَخشى من الجار لمّا فَطِن
ركبتُ المعاصى وشَيبى معى ... فوالله يانفسُ ما ذا حَسَن
فقُومى الدّياجى له وارْغَبى ... وقولى له ياعظيمَ المِنَن
وقولى له ياعظيم الرّجا ... إذا أنت لم تعفُ عنّى فَمَن
بِحقّ النّبى هو المصطفى ... بِحقّ الحسين بحقّ الحسن[٩٨]
أيُدفَع مثلى إلى مالكٍ[٩٩] ... وتعلمُ أنّى ضعيفُ البدنِ

[ألا تبكون]

جلس الحسن البصرى ذات يوم يعظ الناس فجعلوا يزدحمون عليه ليقربوا منه فأقبل عليهم وقال : **ياإخوانى** ، تزدحمون علىّ لتقربوا منى فكيف بكم غداً فى

٩٧- هذا الأثر أورده المصنف فى «صفة الصفوة» (١٥٧/٤) بنحوه .

٩٨- لا يجوز شرعاً سؤال الله بحق أحد لأنه ليس لأحد حق على الله فهذا الذى ذكر هنا باطل جملة وتفصيلاً ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «التوسل» للشيخ ناصر الدين الألبانى أكرمه الله .

٩٩- المراد هنا «مالك» خازن النار .

القيامة إذا قربت مجالس المتقين وأبعدت مجالس الظالمين ، وقيل للمخففين جوزوا وللمثقلين حطوا ، فياليت شعرى أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ؟ ثم بكى حتى غشى عليه وبكى من حوله فأقبل عليهم وناداهم : **ياإخوانى** ، ألا تبكون خوفاً من النار ؟! ألا من بكى خوفاً من النار نجاه الله منها يوم : يُجر الخلائق بالسلاسل والأغلال .

ياإخوانى ، ألا تبكون عطش إلى الله ، ألا وإن من بكى شوقاً إلى الله لم يحرم من النظر غداً إلى الله إن تجلى بالرحمة واطلع بالمغفرة واشتد غضبه على العاصى .

ياإخوانى ، ألا تبكون من عطشى يوم القيامة يوم يحشر الخلائق وقد ركبت شفاههم ولم يجدوا ماء إلا حوض المصطفى – ﷺ – فيشرب قوم ويمنع آخرون ، ألا وإن من بكى من خوف عطش ذلك اليوم سقاه الله من عيون الفردوس ، ثم نادى الحسن – رضى الله عنه –: واويلاه إذا لم يرو عطشى يوم القيامة من حوض المصطفى – ﷺ – ، ثم بكى وجعل يقول : والله لقد مررت ذات يوم بامرأة من المتعبدات وهى تقول : إلهى قد سئمت الحياة شوقاً ورجاء فيك فقلت لها : ياهذه أتراكِ على يقين من عملك ؟ فقالت : حبّى فيه وحرصى على لقائه بسطنى ، أتراه يعذبنى وأنا أحبه ؟! فبينما أنا كذلك أخاطبها إذ مرّ بى صغير من بعض أهلى فأخذته فى ذراعى وضممته إلى صدرى ثم قبلته فقالت لى : أتحب هذا الصبى ؟ قلت : نعم، قال: فبكتْ، وقالت : لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً ما قرأت أعينهم ولا التذت قلوبهم بشىء من الدنيا أبداً ، قال : فبينما أنا كذلك إذ أقبل ولد لها يقال له : ضيغم(١٠٠) ، فقالت : ياضيغم أترانى أراك غداً يوم القيامة فى المحشر ويحال بينى وبينك ؟ قال : فصاح الفتى صيحة ظننت أنه قد انشق قلبه ، ثم خر مغشياً عليه فجعلت تبكى عليه وبكيت لبكائها ، فلما أفاق من غشيته قالت له : ياضيغم ، قال لها : لبيك ياأماه ، قالت : أتحب الموت ؟ قال : نعم ، قالت لمَ

---

١٠٠ – ضيغم بن مالك من أهل البصرة وكان من العابدين فقد قال عنه سيار بن حاتم : كان ورد ضيعم كل يوم أربعمائة ركعة ، وهذا الأثر ورد مختصراً بصفة الصفوة للمصنف (٣/٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠) .

يابنى ؟ قال : لأصير إلى من هو خير منك وهو أرحم الراحمين ، إلى من غَذّانى فى ظلمة أحشائك وأخرجنى من أضيق المسالك ولو شاء لأماتنى عند الخروج من ضيق ذلك المسلك حتى تموتى أنت من شدة أوجاعك لكنه برحمته ولطفه سهّلَ علىّ وعليك ذلك أما سمعته عز وجل يقول : ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾[١٠١] وجعل يبكى وينادى : أواه أواه إن لم أنج غداً من عذاب الله ، ولم يزل يبكى حتى غشى عليه وسقط فى الأرض ، فدنت منه أمه فلمسته بيدها فإذا هو ميت رحمه الله . فجعلت تبكى وتقول : ياضيغماه ، ياقتيل مولاه ، ولم تزل كذلك حتى صاحت صيحة عظيمة ووقعت فى الأرض ، قال : فحركتها فإذا هى قد ماتت رحمة الله عليه وعليها ورحمنا أجمعين .

١٠١- سورة الحجر : ٤٩، ٥٠ .

الفصـــل الســـابع

[عاقبة النظرة]

إخوانى ، الدنيا سموم قاتلة ، والنفوس عن مكائدها غافلة ، كم من نظرة تحلو فى العاجلة ومرارتها لا تطاق فى العاقبة الآجلة .

ياابن آدم قلبك قلب ضعيف ورأيك فى إطلاق الطرف رأى مخيف ، عينك مطلوقة ، ولسانك يجنى الآثام ، وجسدك يتعب فى كسب الحطام ، كم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام . **وأنشدوا** :

عَاتــبتُ قَلْبــــى لمّــــا رأيتُ جسمـــى نَحَـــلَا
فلام قلبـــــــــى طَرْفى وقـــال كنتَ الـــرسولا
فقـــــال طرفى لقلبــــى بل كنت أنت الدليـــلا
فقـــلت كُفَّـــا جميعـــا تركتمانى قتيـــــــــلا

كان عيسى –عليه السلام– يقول : النظرة تزرع فى القلب الشهوة[١٠٢] .

وقال الحسن : من أطلق طرفه كثر ألمه[١٠٣] .

قال [إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب][١٠٤] :

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد فإنى من عينى أوتى ومن قلبى

١٠٢– أورد هذا الأثر الغزالى فى «إحياء علوم الدين» (٣/٩٨) ، وأورده كذلك المصنف فى «ذم الهوى» (ص ٨٠) .

١٠٣– أورد هذا الأثر المصنف فى «ذم الهوى» (ص ٨١) .

١٠٤– ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من كتاب المصنف «ذم الهوى» (ص ٨٣) .

وقد روى عن ابن عباس –رضى الله عنه– أن رجلاً جاء إلى رسول الله –ﷺ– وهو يتشلشل[١٠٥] دماً . فقال له النبى –ﷺ– : مالك ؟ فقال مرت بى امرأة فنظرت إليها فلم يزل يتبعها بصرى فاستقبلنى جدار فضربنى فَصُنع بى ما ترى فقال النبى –ﷺ– : إن الله إذا أراد بعبدٍ خيرًا عجل له عقوبته فى الدنيا[١٠٦] .

قال أبو يعقوب النهرجورى[١٠٧] : رأيت فى الطواف رجلاً بفرد عين وهو يقول فى طوافه : أعوذ بك منك، فقلت له : ما هذا الدعاء؟ فقال: إنى مجاور منذ خمسين سنة، فنظرت إلى شخصى يوماً فاستحسنته وإذا بلطمة قد وقعت على عينى فسالت على خدى، فقلت: آه فوقعت أخرى وقائل يقول : لو زدت لزدناك[١٠٨] . **وأنشدوا :**

دعونى أناجى مولى جليلا	إذ الليل أرخى علىَّ السدولا
نظرت إليك بقلبٍ ذليل	لأرجو بهِ ياإلهى القبولا
لك الحمد والمجد والكبرياء	وأنت الإله الذى لن يزولا
وأنت الإله الذى لم يزلْ	حميدًا كريماً عظيماً جليلاً
تُميتُ الأنامَ وتُحيى العظامَ	وَتُنْشى الخلائق جيلا فجيلا
عظيم الجلال كريم الفعال	جزيل النوال تنيل السؤالا
حبيب القلوب غفور الذنوب	مدارى العيوب تقيل الجهولا
وتعطى الجزيل وتولى الجميل	وتأخذ نقداً وذاك القليلا
خزائن جودك لا تنقضى	تعم الجواد بها والبخيلا

١٠٥– يتشلشل : يتتابع ويتقاطر ويتصبب . [الوسيط (٤٩٢/١)]

١٠٦ – رواه أحمد بنحوه (٨٧/٤) ، وعزاه الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٩١/١٠) للطبرانى وكذلك أورده المصنف فى «ذم الهوى» (ص ١٠٥) .

١٠٧–أبو يعقوب النهرجورى : هو إسحاق بن محمد النهرجورى : من العلماء العباد . نسبته إلى نهرجور قرية بالقرب من الأهواز) رحل إلى الحجاز ، وأقام مجاوراً بالحرم سنين كثيرة ومات بمكة . توفى (٣٣٠هـ) . [الأعلام (٢٩٦/١)]

١٠٨– هذا الأثر أورده المصنف فى ذم الهوى (ص ١٠٦) .

[حكاية عبد صالح]

قال بعض العارفين : خرجنا من أرض العراق نريد مكة ومدينة المصطفى - ﷺ - وكنا فى رفقة كبيرة من الناس فإذا نحن برجل من أهل العراق وقد خرج معنا رجل به أدمة(١٠٩) فى شعره وهو مصفر اللون قد ذهب الدم من وجهه مما قد بلغت فيه العبادة وعليه ثياب خلقة من رقاع شتى وبيده عصى ومعه مزود(١١٠) فيه شىء من الزاد .

قال : وكان ذلك الرجل العابد الزاهد ناوياً الغربى فلما نظر إليه أهل القافلة على تلك الحالة أنكروه ، وقالوا له : نظن أنك عبد سوء ؟ قال : نعم . قالوا : أتظن أنك عبد سوءٍ وهربت من مولاك . قال لهم : نعم . قالوا : كيف رأيت نفسك حين هربت من مولاك وما صار حالك إليه ؟ أما إنك لو عزك ما كانت هذه حالتك ، وإنما أنت عبد سوء مقصر ، فقال لهم : نعم أنا عبد سوء ونعم المولى مولاى ومن قبل التقصير ، ولو أطعته وطلبت رضاه ما كان من أمرى هذا وجعل يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق قال : فرحمه القوم وظنوا أنه يعنى مولاً من موالى الدنيا ، وهو ما كان يريد بذلك إلا رب العزة ، فقال له رجل من أهل القافلة : لا تخف أنا آخذ لك من مولاك الأمان ، فارجع إليه وتب .

قال : وكان خرج زائراً إلى قبر رسول الله - ﷺ - فسارت القافلة ذلك اليوم وسار معهم وجدوا فى السير فلما كان الليل نزلوا فى فلاة من الأرض وكانت ليلة شاتية باردة كثيرة المطر ، فأوى كل واحد من أهل القافلة إلى رحله وخبائه ، ولم يأوِ إلى شىء ، ولم يسأل أحداً شيئاً . قال : وقد كان آلى(١١١) على نفسه أن لا يسأل شيئاً من أمور الدنيا لمخلوق وإنما تكون حوائجه إلى الله سبحانه ، فبلغ به البرد تلك الليلة مبلغاً شديداً ، حتى اضطربت خوارحه من شدة البرد ، واشتد عليه سلطان البرد حتى مات فى جوف الليل .

---

١٠٩ - أدمة : أى شديد السمرة . [الوسيط (١٠/١)]

١١٠ - مزود : وعاء يوضع فيه الزاد . [الوسيط (٤٠٦/١)]

١١١ - آلى : حلف وأقسم . [الوسيط (١٢٥/١)]

فلما أصبحوا وأرادوا الرحيل نادوه قم أيها الرجل فإن الناس قد رحلوا ، فلم يجيبهم فأتاه رجل قريب منه فحركه فوجده ميتاً - رحمه الله - فنادى : يا أهل القافلة ، إن العبد الهارب من سيده قد مات ولا ينبغى لكم الرحيل حتى تدفنوه ، قالوا : وما الحيلة فى أمره ، فقال لهم رجل صالح كان معهم : إن هذا العبد كان عبداً تائباً راجعاً إلى مولاه نادماً على ما صنع ونحن نرجو أن ينفعنا الله به وقد قبل توبته ونخاف أن نُسئل عنه إن تركناه غير مدفون ولابد أن تصبروا حتى تحفروا له قبراً وتدفنوه فيه ، فقالوا : هذا موضع ليس فيه ماء ، فقال بعضهم لبعض : أسألوا الدليل فسألوه فقال : إن بينكم وبين الماء ساعة ولكن أرسلوا معى واحداً وأنا آتيكم بالماء ، فأخذ الدليل دلواً وسار إلى الماء .

فلما خرج من القافلة إذ هو بغدير من الماء ، فقال الدليل : هذا هو العجب الذى لم أر مثله هذا موضع ليس فيه ماء ولا على قرب منه فرجع إليهم وقال لهم : قد كفيتم المؤنة عليكم بالحطب فجمعوه ليسخنوا به الماء من شدة البرد ثم أتوا إلى الماء ليأخذوه فوجدوه سخناً يغلى فازدادوا تعجباً وفزعوا من ذلك الرجل وقالوا : إن لهذا العبد قصة وشأنا .

قال : فأخذوا فى حفر قبره فوجدوا التراب ألين من الزبد والأرض تفوح مثل المسك الأذفر[112] ولم يشموا فى دار الدنيا أطيب منه رائحة ، فعند ذلك أشتد خوفهم وملئوا رعباً وفزعاً وكانوا إذا نظروا إلى التراب وإذا شموه وجدوا رائحته كرائحة المسك فضربوا له خباءً وأدخلوه فيه وتنافسوا فى كفنه فقال رجل من القوم : أنا أكفنه وقال آخر : أنا أكفنه فاتفق رأيهم على أن يجعل كل واحد منهم ثوباً ثم أنهم أخذوا دواة وقرطاساً وكتبوا صفته ونعته وقالوا : إذا وصلنا إن شاء الله إلى المدينة ، فلعل من يعرفه .

وجعلوا الكتاب فى أوعيتهم ، فلما أرادوا أن يُغَسِّلوه وأرادوا أن يكفنوه كشفوا الخباء الذى كان عليه فوجدوه مكفناً بكفن من الجنة لم يَرَ الراءون مثله ، ووجدوا على كفنه مسكاً وعنبراً وقد ملأت رائحة حنوطه الدنيا ، وعلى جبينه خاتم من مسك وعلى قدميه كذلك فقالوا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،

١١٢ - الأذفر : طيب الرائحة . [الوسيط (١/٣١٢)]

إن الله عز وجل قد كفنه وأغناه عن أكفان العباد ونرجو الله تعالى أنه قد أوجب لنا الجنة ورحمنا ببركة هذا العبد الصالح وندموا ندامة شديدة على تركه تلك الليلة حتى مات بالبرد ثم إنهم حملوه ليدفنوه ووضعوه فى بقعة سهلة لِيُصَلُّوا عليه .

فلما كبروا سمعوا صوت التكبير من السماء إلى الأرض ومس المشرق إلى المغرب وأغلقت أفئدتهم وأبصارهم ولم يدروا كيف صلوا عليه من شدة الجزع وعظيم رعبهم مما سمعوا فوق رءوسهم فحملوه يريدون قبره فكأنه يخطف من بينهم ولا يجدون له ثقلاً حتى أتوا به إلى القبر ليدفنوه فدفنوه ورجع القوم وقد تعجبوا من أمره .

فلما قضوا سفرهم وأتوا إلى مسجد الكوفة ، وأخبروا بخبره وما كان من صفته ، فعند ذلك عرفه الناس وارتفعت الأصوات بالبكاء فى مسجد الكوفة ، ولولا ذلك ما عرف أحد بموته ولا بمكان قبره لاختفائه عن الناس وهروبه منهم — رضى الله عنه — ونفعنا ببركاته آمين .

الفصـــل الثـــامن

[آه من قلة الزاد وبعد الطريق]

إخوانى : إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة ، فبالله عليكم تعاهدوا أيامكم بتحصيل العُدَد ، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد ، وكونوا من آجالكم على رصدٍ، فقد آذنتكم الدنيا بالذهاب ، وأنتم تلعبون بالآحل وبين أيديكم يوم الحساب .

آه من ثقل الحمل وسوء الرفيق ، آه من قلة الزاد وبعد الطريق .

[ذم الغرور]

فيا أيها المغرور بإقباله ، المفتون بكواذب أماله الذى غاب عن الصواب وهو فى فعله كذاب ، يابَطَّال إلى كم تؤخر التوبة وما أنت فى التأخير بمعذور ؟! إلى متى يقال عنك مفتون ومغرور ؟! يامسكين قد انقضت أشهر الخير وأنت تعد الشهور ، أترى أنت مقبول أم أنت مطرود ، أترى مواصل أنت أم مهجور ، أترى تركب النجب(١١٣) غداً أم أنت على وجهك مجرور ، أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب النعيم والقصور؟!، فاز- والله- المتحفون ﴿ **وخسر هنالك المبطلون**﴾(١١٤) ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾(١١٥) . **وأنشدوا** :

مالى أراك على الذنوب مواظباً ... أأخذت من سوء الحساب أمانا
لا تغفلنَّ كأنَّ يومك قد أتى ... ولعلّ عُمرك قد دَنَا أَوْ حَانا
ومضى الحبيبُ لحفرِ قبركَ مسرعاً ... وأتى الصديقُ فأنذرَ الجيرانا

١١٣- النجب : خيار الإبل وأفضلها . [الوسيط (٢/٩٠١)]
١١٤- سورة غافر : الآية ٧٨ .
١١٥- سورة الشورى : الآية ٥٣ .

وأتوا بَغَسَّال وجاءوا نحوه ... وبدا بِغَسْلِك ميّتاً عُريانا
فَغُسِلْتَ ثم كُسيتَ ثوباً للبلى ... ودَعوا لحملِ سريرك الإخوانا
وأتاكَ أهلك للوداع فودّعوا ... وجرتْ عليكَ دموعهم غُدْرانا
فَخَف الإله فإنّه من خَافَه ... سَكَنَ الجِنان مجاوراً رضواناً
جَنّات عدنٍ لا يبيد نعيمها ... أبداً يخالط روحه ريحاناً
ولِمَن عَصى ناراً يقالُ لها لَظى ... تشوى الوجوهُ وتحرقَ الأبدانا
نَبكى وحقّ لنا البكى ياقَومنا ... كى لا يُؤاخذنا بما قد كانا

[ملوك الموت]

قال النبى -ﷺ- : «إذا كان ابن آدم فى سياق الموت بعث الله إليه خمسة من الملائكة .

أما **المَلَك الأول** فيأتيه وروحه فى الحلقوم فيناديه : ياابن آدم ، أين بدنك القوى ما أضعفه اليوم ، أين لسانك الفصيح ما أسكته اليوم ، أين أهلك وقرابتك ما أوحشك منهم اليوم .

ويأتيه **الملك الثانى** إذا قبض روحه ونشر عليه الكفن فيناديه : ياابن آدم ، أين ما أعددت من الغنى للفقر ، أين ما أعددت من الخراب للعمران ، أين ما أعددت من الأنس للوحشة .

ويأتيه **الملك الثالث** إذا حمل على الأعناق فيناديه : ياابن آدم ، اليوم تسافر سفراً بعيداً لم تسافر سفراً أبعد منه ، اليوم تزور قوماً لم تزرهم قبل هذا قط ، اليوم تدخل مدخلاً لم تدخل أضيق منه قط ، فطوبى لك إن فزت برضوان الله وويل لك إن رجعت بسخط الله .

ويأتيه **الملك الرابع** إذا لحد فى قبره فيناديه : ياابن آدم ، بالأمس كنت على ظهرها ماشياً ، واليوم صرت فى بطنها مضطجعاً ، بالأمس كنت على ظهرها ضاحكاً واليوم صرت فى بطنها باكياً ، بالأمس كنت على ظهرها مذنباً واليوم أمسيت فى بطنها نادماً .

ويأتيه **الملك الخامس** إذا سوى عليه التراب وانصرف عنه الأهل والجيران والأصحاب فيناديه : ياابن آدم دفنوك وتركوك ، ولو أقاموا عندك ما نفعوك ، جمعت المال وتركته لغيرك ، اليوم تصير إما إلى جنة عالية أو إلى نار حامية(١١٦)» .

[حكاية عمران وأمه]

ويروى عن بعض المتعبدين أنه قال : إلهى إنى عصيتك قوياً ، وأطعتك ضعيفاً ، وأسخطتك جلداً وخدمتك نحيفاً ، فياليت شعرى هل قبلتنى على لؤمى أو صرفتنى على جرمى ، قال : ثم غشى عليه ووقع فى الأرض وانسلخت جبهته فقامت إليه أمه وقبلته بين عينيه ومسحت جبهته وهى تبكى وتقول : قرة عينى فى الدنيا وثمرة فؤادى فى الآخرة كلم عجوزك الثكلى ورد جواب أمتك الحرة قال : فأفاق الفتى من غشيته ويده قابضة على كبده وروحه تتردد فى جسده ودموعه تنسكب على خده ولحيته فقال لها : ياأماه هذا اليوم الذى كنت تحذرينى منه ، وهذا هو المصرع الذى كنت تخوفينى منه ، هذا مصرع الأهوال ، وسقوط عثرة الأثقال ، فياأسفاً على الأيام الخالية ، وياجزعى من الأيام الطوال التى لم أعرج فيها على الأقبال ، ياأماه أنا خائف على نفسى أن يطول فى النار سجنى وحبسى ، ياحزناه إن رميت فيها على رأسى ، وياأسفاه إن قطعت فيها أنفاسى ، ياأماه افعلى ما أقول لك، فقالت له : يا بنى فدتك نفسى ماذا تريد؟ قال لها : ضعى خدى على التراب وطئيه بقدمك حتى أذوق طعم الذل فى الدنيا والتذلل للسيد المولى عسى أن يرحمنى وينجينى من نار لظى ، قالت أمه : فقمت إليه فى الحال وقد ألصقت خده بالتراب والدموع تجرى من عينيه كالميزاب(١١٧) فوطئت خده بقدمى ، فإذا

١١٦- لم أقف عليه .

١١٧- الميزاب : المزراب : وهى أنبوبة من الحديد ونحوه تركب فى جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع . [الوسيط (٣٩١/١)]

- والمعنى تصببت دموعه بكثرة .

هو ينادى بصوت ضعيف : هذا جزاء من لم يقف بباب المولى ، هذا جزاء من لم يراقب العلى الأعلى ، قالت : ثم تحول إلى القبلة وقال : لبيك لبيك لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، قال : ثم مات فى مكانه فرأته فى المنام كأن وجهه فلقة قمر تجلى من سحاب فقالت : يابنى ما فعل بك مولاك ؟ قال : رفع درجتى وقربنى من محمد - ﷺ - فقالت له أمه : يابنى ما الذى سمعت منك تقول عند وفاتك ؟ فقال لها : يأماه ، هتف بى هاتف وقال لى : ياعمران أجب داعى الله فأجبته ولبيت ربى عز وجل ، رحمه الله .

الفصــل التاســع

[سفر الدنيا والآخرة]

إخوانى : السفر مكتوب علينا فما لنا نطلب الإقامة فى دار فيها لنا السنون منازل والشهور مراحل ، والأيام أميال ، والأنفاس خطوات ، والمعاصى قطاع ، والربح الجنة ، والخسران النار ، خلقنا نتقلب فى ستة أسفار إلى أن يستقر بنا القرار :

السفر الأول سفر السلالة من الطين .

والثانى من الصلب إلى الرحم .

والثالث من الرحم إلى ظهر الأرض .

والرابع من ظهر الأرض إلى القبر .

والخامس من القبر إلى موقف العرض .

والسادس من موقف العرض إلى دار الإقامة إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وقد قطعنا نصف الطريق وبقى الأصعب(١١٨) .

[إياك والدنيا]

يامن يصبح فى الكرب ويصيح : خل التدبير لغيرك فتستريح ، تكثر النحيب والعويل وتنسى ما سلف من الفعل الوبيل(١١٩) لو رجعت إليه بقلبك لعجل عليك بتفريج همك وكربك .

---

١١٨ – هذه الموعظة أوردها ابن الجوزى بلفظ قريب من ذلك فى كتاب « اللطائف فى الوعظ » بتحقيقى ونشرته دار الصحابة للتراث بطنطا انظر الفصل الخامس والأربعون منه ، وذلك من قوله « السنون منازل ..» إلى قوله « .. وبقى الأصعب » .

١١٩ – الوبيل : الشديد .   [الوسيط (١٠٠٩/٢)]

يا أخى ، إياك والدنيا فإن جهل الدنيا مبتوت ، واقنع منها بالقليل ، واعلم أنك تموت .

[ابن المبارك فى مكة]

قال ابن المبارك(١٢٠) : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون فى المسجد الحرام وكنت فى الناس من جهة باب بنى شيبة إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فصار فى موضع خفى إلى جانبى فسمعته يقول : إلهى خَلَقَتْ(١٢١) الوجوه من كثرة الذنوب ومساوىء العيوب وقد مَنَعْتَنا غيث السموات لتؤدب الخليقة بذلك فأسألك ياحليم يامن لا يعرف عباده منه إلا الجميل ، اسقهم الساعة الساعة ، قال ابن المبارك : فلم يزل يقول اسقهم الساعة الساعة حتى انسد الجو بالغمام وأقبلت قطرات الركام(١٢٢) تهطل كأفواه القرب(١٢٣) ، وجلس مكانه يسبح الله تعالى فأخذت فى البكاء حتى قام فاتبعته حتى عرفت موضعه فجئت إلى الفضيل

---

١٢٠ – عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، التميمى ، المروزى أبو عبدالرحمن : الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره فى الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من الغزو ، له كتاب فى الجهاد وهو أول من صنف فيه والرقائق فى مجلد ولد سنة ١١٨ هـ وتوفى سنة ١٨١ هـ .
[الأعلام (١١٥/٤)]

١٢١ – خَلَقَتْ : أى بَلِيَتْ . [الوسيط (٢٥٢/١)]

١٢٢ – الرُّكَام : السحاب الضخم . [الوسيط (٣٧٠/١)]

١٢٣ – القِرَب : جمع قربة : وهى ظرف من جلد يخرز من جانب واحد وتستعمل لحفظ الماء – والمعنى والله أعلم – أن المطر نز بشدة وكأنه السيل– [الوسيط (٧٢٣/٢)]

ابن عياض[١٢٤]فقال لى : مالى أراك كئيباً ؟ فقلت له : سبقنا إليه غيرنا فولاه دوننا قال : وما ذلك ؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط فى الأرض وقال : ويحك ياابن المبارك خذنى إليه ، قلت : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا بشيخ على باب وقد بسط له وهو جالس فلما رآنى عرفنى وقال : مرحباً بك ياأبا عبدالرحمن وما حاجتك ؟ فقلت : احتجت إلى غلام .

فقال : نعم عندى اختر أيهم شئت ، فصاح ياغلام فخرج غلام جلد ، فقال : هذا محمود العاقبة أرضاه لك ، فقلت : ليس هذا حاجتى فمازال يخرج واحداً بعد واحد حتى أخرج إلىّ الغلام فلما أبصرته بدرت عيناى بالدموع فقال : هذا ؟ فقلت : نعم . فقال : ليس إلى بيعه سبيل قلت : وَلِمَ ؟ قال : قد تبركت بموضعه فى هذه الدار وذلك أنه لَمْ تصبنى مصيبة ولا رزية منذ دخل عندى فى هذه الدار فقلت له : من أين طعامه ؟ فقال : يكتسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته ، إن باعه ذلك اليوم وإلا صبر ذلك اليوم وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام فى هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم ، مهتم بنفسه [وقد أحبه قلبى ، فقلت له أنصرف][١٢٥] إلى الفضيل بن عياض وسفيان الثورى بغير قضاء حاجة ثم رجعت إليه وسألته فيه بالحاح فقال : إن المثال عندى كبير خذه بما شئت .

قال : فاشتريته وسرت معه نحو دار الفضيل فمشيت ساعة فقال : يامولاى ما تريد ؟ قلت : لبيك فقال : لا تقل لبيك فإن العبد أولى بأن يلبى من المولى قلت : ما حاجتك ياحبيبى ؟ قال : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد

---

١٢٤ – الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على : شيخ الحرم المكى ، من أكابر العباد الصلحاء . كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الشافعى ، ولد فى سمرقند ونشأ بأبيورد ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفى بها . ولد سنة ١٠٥ هـ – وتوفى ١٨٧ هـ . [الأعلام (١٥٣/٥)]

١٢٥ –ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من صفة الصفوة (٢٧٠/٢) .

كان لك فى غيرى سعة وقد أخرج لك من هو أجلد منى وأثبت ، فقلت له : لا يرانى الله تعالى استخدمك ولا كان اشترائى لك إلا لأنزلك منزلة الأولاد لأزوجك وأخدمك أنا بنفسى ، قال : فبكى ، فقلت له : وما يبكيك فقال لى : أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض خصالى بالله تعالى وإلا فلم أخذتنى من بين أولئك الغلمان ؟ فقلت له : ليس بك حاجة إلى هذا ، فقال لى : سألتك بالله إلّا أخبرتنى ، فقلت له : بإجابة دعوتك . فقال لى : أنا أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً ، إن لله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلّا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلّا من ارتضى .

ثم قال لى : أترى أن تقف علىّ قليلاً فإنه قد بقى علىّ ركعات من البارحة . قلت : هذا منزل الفضيل قريب قال : لا ههنا أحب إلىّ إن أمر الله تعالى لا يؤخر فدخل المسجد فما زال يصلى حتى أتى على ما أراد فالتفت إلىّ وقال : يا أبا عبدالرحمن ألك منّى حاجة ؟ قلت : ولم ؟ قال : لأنى أريد الانصراف ، قلت : إلى أين ؟ قال : إلى الآخرة[١٢٦] ، قلت : لا تفعل دعنى انتفع بك ، فقال لى : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه تعالى فإذا اطلعت عليها أنت سيطلع عليها غيرك فلا حاجة لى فى طلبه ، ثم خر على وجهه وجعل يقول : إلهى اقبضنى الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزنى وصغرت الدنيا فى عينى رحمه الله – ورحمنا به –[*] .

---

١٢٦ – هذا القول يتعارض مع قوله تعالى : ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾ فالأجل بيد الله وحده لا يعلمه أحد إلا الله جل شأنه نسأل الله أن يغفر لنا ولمن قال هذا القول ويجنبنا الزلل .

(*) وردت هذه الحكاية فى صفة الصفوة (٢/٢٦٩ – ٢٧٢) للمصنف .

الفصـــل العاشـــر

[يامن يتزيا بزى العباد والزهاد]

ياهذا تتزيا بزى العباد والزهاد وحال قلبك فى الغفلة ما حال ، الظاهر منك تقى والباطن متسخ بطول الآمال ، لا تصلح المحبة لمن يميله حب الحال ، ولولا مكابدة المجاهدة لم يُسَمَّ القوم رجال ، ياميت القوم وعدك فى الدنيا صحيح وفى الآخرة محال ، إن لم تبادر فى الشباب فبادر فى الاكتهال ، ما بعد شيب الرأس لهوٌ لِبُعْدِ عثرة الشيخ أن تقال(١٢٧) ، ضيّعت زمان الشباب فى الغفلة وفى الكبر تبكى على التفريط فى الأعمال ، لو علمت ما أحصى عليك لكنت من الباكين طول الليالى .

[تكرار الندم]

قال رجل لذى النون -رحمه الله- وهو يعظ الناس : ما الذى أصنع كلما وقفت على باب من أبواب المولى صرفنى عنه قاطع المحن والبلوى ؟ قال له : **ياأخى** ، كن على باب مولاك كالصبى الصغير مع أمه كلما ضربته أمه ترامى عليها وكلما طردته تقرب إليها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها .

يروى عن الطيبى -رحمه الله- أنه قال : رأيت بدوياً بمكة حرسها الله تعالى وهو يخدم الصوفية فسألته عن سبب ذلك فقال لى : كنت بالبادية وإذا بغلام جاءنى مكشوف الرأس ما معه زاد ولا زكوة ولا يحصى فقلت فى نفسى : أذرك هذا الفتى فإن كان جائعاً أطعمته ، وإن كان عطشاناً فأسقيه ، قال : فبادرت إليه حتى بقى بينى وبينه مقدار ذراع وإذا به بَعُدَ عنى حتى غاب عن عينى ، فقلت : هذا شيطان وإذا به ينادى : لا بل سكران ، فناديته : ياهذا ،

---

١٢٧ - أن تقال : أى يتجاوز عنها ويصفح . [الوسيط (٢/٧٧٠)]

بالذى بعث محمداً -ﷺ- بالحق ألا ما وقفت علىّ فقال لى : يافتى أتعبتنى وأتعبت نفسك . فقلت له : رأيتك وحدك فأردت خدمتك . فقال لى : من يكون الله معه كيف يكون وحده ، فقلت له : ما أرى معك زاداً ، فقال لى : إذا جعت فذكره زادى ، وإن عطشت فمشاهدته سؤلى ومرادى ، فقلت له : أنا جائع فأطعمنى فقال : أو لم تؤمن بكرامات الأولياء ؟ فقلت : بلى ولكن ليطمئن قلبى فضرب بيده الأرض وكانت رملة ثم قبض قبضة وقال : كل يامخدوع وإذا هو خميصة ألذ ما يكون فقلت : ما ألذه ، فقال لى : فى البادية عند الأولياء من هذا كثير لو عقلت ، فقلت له : واسقنى ماء فركض الأرض فإذا هو بعين من عسل وماء فجلست لأشرب من تلك العين ثم رفعت رأسى فلم أره ولم أدر كيف غاب ولا أين ذهب فأنا أخدم الفقراء من ذلك اليوم إلى الآن لعلى أرى مثل ذلك الولى(١٢٨) .

[اطلب رفقة التائبين]

ياهذا ، إلى متى تسمع أخبارهم و [لا](١٢٩) تقفو آثارهم ؟! اطلب رفقة التائبين عساك ترشد لطريقهم ، اندب على بعادك يامطرود فمثلك من بكى وعَدَّد ، واعتذر يامهجور عساك بالذل تسعد ، وقل بلسان التذلل والأسف والكمد :

كم ذا التلوم لا إقلاع يصحبه ... ولا عزيمة هذا العجز والكسل
وكم أردد أقوالاً ملفقة ... ما ينفع القول إن لم يصدق العمل

---

١٢٨ - إياك أخى القارئ أن تفهم من ذكر كلمة «الصوفية» هنا أن ابن الجوزى كان يؤيد غلاة الصوفية أو يقرهم على أباطيلهم وضلالهم فقد أفرد ابن الجوزى -رحمه الله- ما يقرب من نصف كتابه القيم «تلبيس إبليس» وذلك من (ص ١٥٥) إلى (ص ٣٢٥) أوضح فيه ضلالهم وزيف عقائدهم وعبادتهم وأفعالهم وبعدها عن روح الإسلام ، وكيف ألبس إبليس -عليه لعنة الله- عليهم ذلك ، فارجع أخى القارئ إلى هذا الكتاب الجليل - إن شئت - غير مأمور .

١٢٩ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه .

[ياجامد العين]

واعجباً كم لى أعاتب المهجور والعتب ما ينفع ، كم لى أنادى أطروش[130] الغفلة لو كان الندا يُسمع ! كم لى أحدث قلبك وفى سماعك أطمع ! واهاً عليك يا جامد العين قط ما تدمع ! من علامات الخزلان قلب لا يخشع ، قلبك ذهب فى حب الفانى وأنت للحرام تجمع ، عليك ياغافل فى جمعه الحساب وتخلفه لمن لا ينفع ، بينما أنت فى بستان اللهو إذ قيل فلان سافر وليس فى رجوعه مطمع .

[قصة عابد]

ويروى عن على بن أبى صالح أنه قال : كنت أدور فى جبل اللكام أطلب الزهاد والعباد فرأيت رجلاً عليه مرقعة وهو جالس على صخرة مطرق إلى الأرض فقلت له : ياشيخ ما تصنع ههنا ؟ قال : أنظر وأرعى . قلت له : ما أرى بين يديك إلا الحجارة ما الذى تنظر وترعى ؟ قال : أنظر خواطر قلبى وأرعى أوامر ربى فيحق الذى أظهرك علىّ ألا ما تركتنى فإنك شغلتنى عن مولاى ، فقلت له : كلمنى بشىء انتفع به ، فقال لى : من لازم الباب أثبت فى الخدمة ، ومن أكثر ذكر الذنوب أكثر من الندم ، ومن استغنى بالله لم يخف العدم ثم تركنى ومضى –رضى الله تعالى عنه –(*) .

---

١٣٠ – الاطروش : الأصم . [الوسيط (٢/٥٥٤)]

(*) أورد هذا الأثر المصنف فى صفة الصفوة (٤/٣٤٣) .

الفصل الحادى عشر

[الإسراع إلى الدنيا]

يامن رواحه فى طلب الدنيا لها إسراع ، متى لم تخل عنها نطاق الأمل فيكون الانقطاع، إذا طلبت الآخرة تمشى رويداً متى يكون الانتفاع ، عجباً كيف تشد الرحال فى طلب الفانى ، وفى طريقه قطاع .

[العمر أمانة]

العمر أمانة أتلفت شبابه فى الخيانة ، وكهولته فى البطالة ، وفى الشيخوخة تبكى وتقول : عمرى قد ضاع ، متى أفلح الخائن فيما اشترى أو باع ، أنت فى طلب الدنيا صحيح الجسم ، وفى طلب الآخرة بك أوجاع ، كم تعرج عن سبل التقوى ياأعرج الهمة ، يامن يبقى فى القاع ، يامن على عمره ليل الغفلة طلع فجر المشيب بين الأطلاع ، رافق رفاق التائبين قبل أن تنقطع بين المنقطعين **﴿وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين﴾**(١٣١) . **وأنشدوا** :

إذا أنا لم أُصبر على من أُحبه ... وبَانَ حالىَ عن وصلى فما أنا صانعُ
أأتركه والقلبُ من فرطِ حبِّه ... أسيرُ بما تطوى عليه الأضالعُ
أأسمع فيه العزلَ والوجدُ حاكمٌ ... فما يغنينى بالعزلِ ما أنا سامعُ
أأسلوه والأشواق تمنعُ سلوتى ... وأكتم ما قد أُظْهَرَتْهُ المدامعُ
ويعتبنى قلبى إِذَا زادَ وجدهُ ... فأضرب صفحاً دونه وأُمانعُ
وإنْ زَادَ مَا به اشكته فحسبه ... على كلِّ حال عند شكواى شافعُ
فلا عيشةٌ تَصْفوا ولا موعدٌ يفى ... ولا نظرٌ يُسلِّى ولا الصبرُ نافعُ

١٣١- سورة النمل : الآية ٧٥ .

أرى الدهر يمضي برهةً بعد برهةً ولمْ ألقَ ما مالتْ إليه المطامعُ
فإنْ ضقتَ ذَرعاً بالذى قَدْ لقيتهُ فكلّ مضيقٍ فهو فى الحبِّ واسعُ

[حكاية امرأة متعبدة]

قال ذو النون المصري –رحمه الله– رأيت امرأة متعبدة فلما دنوت منها ودنت منى سلمت علىّ فرددت عليها السلام فقالت لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند حكيم لا يوجد مثله ، فصاحت صيحة شديدة ثم قالت : ويحك كيف وجدت معه وحشة الغربة حتى فارقته وهو أنيس الغرباء ومعين الضعفاء ومولى الموالى ، أم كيف سمحت نفسك بمفارقته ؟ فأبكانى كلامها فقالت لى : مم بكاؤك ؟ فقلت لها : وقع الدواء على الجرح فأسرع فى نجاحه ، فقالت : لو كنت صادقاً فلِمَ بكيت ؟ فقلت لها : فالصادق لا يبكى ؟ قالت : لا ، قلتُ : ولِمَ ؟ قالت : لأن البكاء راحة للقلب وهو نقص عند ذوى العقول ، قلت لها علمينى شيئاً ينفعنى الله به ، قالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه إلى أوليائه لأنه سبحانه سقاهم فى الدنيا من محبته كأساً لا يظمئون بعدها أبداً ثم أقبلت تبكي وتقول : إلهى وسيدى إلى كم تدعنى فى دار لا أجد فيها أنيساً يساعدنى على بلائى ، ثم جعلت تقول :

إِذَا كَان داءُ العبدِ حُبَّ مَليكهِ فَمَنْ دونه يرجو طَبيباً مداوياً(*)

[لازم باب مولاك]

يا أخى إذا طردك مولاك عن بابه فإلى باب من ترجع، وإلى أى طريق تذهب ، وإلى أى جهة تقصد ، لازم باب مولاك فلعل وعسى يثمر عودك .

وأنشدوا :

حنينُ قلوبَ العارفين إلى الذّكرِ وتِذْكَارهم عند المناجاتِ بالسرّ
وأجسامُهُمْ فى الأرض سكرى بحُبِّهِ وأرواحُهم فى ليل حجبِ العلى تَسرى
عبادٌ عليهم رحمةُ الله أُنزلتْ فظلوا عُكوفاً فى الفيافى وفى القفرِ

(*) وردت هذه الحكاية بكتابه صفة الصفوة (٤/٤٢٧) للمصنف .

ورَاعوا نجوم الليل لا يَرقدونه   بإدمانِ تثبيتِ اليقينِ مع الصبرِ
فهذا نعيمُ القومِ إن كنتَ فاهماً   وتعقلُ عن مولاكَ آدابَ مَنْ يدرى
فما عَرسوا إلا بقربِ حبيبهم   ولا عَرّجوا عن مس بؤس ولا ضرٌ
أُديرت كؤوسُ المداما عليهم   فأُغفوا عن الدنيا غَفاوى سكّرِ
همومهم جالت لها حجب العلى   فهم أهل ودّ الله كالأَنْجمِ الزُّهرِ
فلا عيش إلا مع أناسٍ قلوبهم   تَحنُّ إلى التقوى وترتاح للذكرِ

[قصة عفة]

ويروى عن بعض العباد –رحمه الله– أنه قال : بينما أنا فى بعض الطريق أسير وكنت صائماً فرأيت نهراً جارياً فانغمست فيه ، فإذا أنا بسفرجلة[١٣٢] على وجه الماء فأخذتها لأفطر عليها ، قال : فلمّا أفطرت عليها ندمت ، وقلت : أفطرت على ما ليس لى فلما أصبحت سرت فضربت على باب البستان الذى كان النهر يخرج منه فحرج إلىّ شيخ كبير فقلت له : ياشيخ ، إنه خرج من بستانكم هذا بالأمس سفرجلة فأخذتها وأكلتها وقد ندمت على ذلك فعسى أن تجعلنى فى حل ، فقال لى : أما أنا فى هذا البستان أجير ولى فيه منذ أربعين سنة ماذقت من فاكهته شيئاً قط وليس لى فى البستان شىء ، فقلت : لمن هو ؟ قال : للأخوين بالموضع الفلانى . قال : فأتيت الموضع فوجدت أحدهما فقصصت عليه القصة فقال : نصف البستان لى وأنت فى حل من نصيبى فى تلك السفرجلة فقلت له : وأين أجد أخاك ؟ قال : بموضع كذا وكذا فمضيت إليه وقصصت عليه القصة فقال لى : والله لا أجعلك فى حل إلا بشرط فقلت له : وما الشرط ؟ قال : أزوجك ابنتى وأعطيك مائة دينار ، قال له العابد : ويحك أنا فى شغل عن هذا أما رأيت ما أصابنى لأجل سفرجلتك فاجعلنى فى حل ، فقال له : والله لا فعلت ذلك إلا بالشرط المذكور ، فلما رأى منه العابد الجد امتثل وقال : أفعل فأعطاه

---

١٣٢ – سفرجلة : السفرجل : شحر مثمر من الفصيلة الوردية .   [الوسيط (٤٣٣/١)]

مائة دينار ثم قال : اعطنى منها ما شئت فى مهر ابنتى فرمى بها كلها إليه فقال له إلا البعض [....][133] .

قال : من الذنوب مصيبة الذنوب على أهلها قال العابد : فما تذكرت هذا الكلام إلا بكيت .

قال : أنشد رجل من أهل الزهد هذه الأبيات :

وَيَومَ تَرى الشمسَ قَدْ كُورتْ ... وفِيهِ تَرى الأَرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ
وفيه ترى كلُ نفسٍ غداً ... إذا حُشِرِ النّاس ما قَدمتْ
أترقــد عينــاك يامُذْنبــا ... وأعمالك السوء قد دُونَتْ
فإمّـا سعيــدٌ إلى جنــةٍ ... وكَفَّاه بالنـورِ قد خُضبتْ
وإمّـا شقـيٌ كُسى وجهـه ... سواداً وكَفّـاه قد غُلِـلَتْ

[عمر بن عبد العزيز]

خرج عمر بن عبدالعزيز[134] فى بعض أسفاره فلما اشتد الحر عليه دعا بعمامة فتعمم بها فلم يلبث أن نزعها فقيل له : ياأمير المؤمنين لم نزعتها لقد كانت تقيك الحر ؟ قال : ذكرت أبياتاً قالها الأول :

مَن كَان حينَ تَمسُّ الشّمسُ جبهته ... أو الغبار يخافُ الشين[135] والشعثا[136]

---

١٣٣ - ذكر الناسخ فى هامش المخطوط قوله : هنا سقطة .

١٣٤ - عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموى ، القرشى ، أبو حفص : الخليفة الصالح ، الملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . ولد ونشأ بالمدينة ، ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩ هـ واستمر فيها لمدة سنتان ونصف . وأخباره فى عدله وحسن سياسته كثيرة ولابن الجوزى «سيرة عمر بن عبدالعزيز» ولد سنة ٦١ هـ ، وتوفى سنة ١٠١ هـ . [الأعلام (٥/٥٠)]

١٣٥ - الشين : العيب والقبح . [الوسيط (١/٥٠٤)]

١٣٦ - الشعثا : شعث الشعر : أى تغير وتلبد واتسخ . [الوسيط (١/٤٨٤)]

ويألفُ الظلَّ كى تبقى بشَاشَتهُ فَسَوْفَ يَسْكنُ يوماً راغما جدثا[137]
فى قعرِ مُظلمةٍ غَبراءَ موحشةٌ يُطيلُ تَحتَ الثّرى فى جَوفِه اللُّبثا

[عيسى والحواريون]

خرج عيسى بن مريم - عليه السلام - على الحواريين وعليهم آثار الغبار وعلى وجوههم النور فقال : يابنى الآخرة ، ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعمتكم .

وقيل للحسن البصرى -رضى الله عنه- : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجهاً ؟ فقال : خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

ويروى أبو ماجة[138] قال : كنت أحب الصوفية فاتبعتهم يوماً إلى مجلس عالم فرأيت فى المجلس شخصاً تتمنى النفوس دوام النظر إليه وهو يبكى كلما سمع العالم والقارىء يقرأ يقول : الله ، الله فلم تنقطع له دمعة فتعجبت من توكف[139] عبراته وترادف زفراته مع صغر سنه وغض شبابه ، فسألت بعض الصوفية عنه فقال : إنه تائب غزير الدموع ، كثير السجود والركوع ، رقيق القلب ، شفيق الحب ، فبينما نحن كذلك إذ قرأ القارىء : ﴿**فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ**﴾[140] فقام قائماً على قدميه وهو يقول : سيدى خاب من فى قلبه غير ذكرك ، وهل فى الأكوان غيرك حتى يُذكر ، ياحبيب القلوب . **وأنشدوا** :

تَهَتّكى فى الهَوى حَلالِى وَعاذِلِى مَالَهُ ومالى
يَلومنى فى الغرامِ جَهْلاً وكُلّما لَامنى حَلالِى
قَالوا اشتكيت قلتُ كلّا ياقومَ مِثْلى يكونُ سالى
قالوا تعَشّقتَ قُلت أهلاً لَقد تعشقتَ لا أبالى

---

١٣٧ - جدثاً : الجدث : القبر . [الوسيط (١٠٩/١)]

١٣٨ - كذا بالأصل .

١٣٩ - توكف : تقاطره وتساقطه . [الوسيط (١٠٥٤/٢)]

١٤٠ - سورة البقرة : الآية ١٢١ .

[أقسام الرجال]

قال أبو على : الرجال فى المقام على أربعة أقسام :

الأول : رجل قد استولى على قلبه عظمة الله ومحبته فاشتغل بذكره عن ذكر من سواه ولم تلهه الأكوان عن الاستئناس بذكره فهذا هو الذى وصفه الله تعالى فقال : ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾(١٤١) الآية .

والثانى : رجل عاهد الله تعالى بصدق الإجابة وتحقق العبودية وإخلاص الورع والقيام بالوفاء فهو الذى وصفه الله تعالى بقوله : ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾(١٤٢) .

والثالث : رجل يتكلم لله وفى الله وبالله ومن أجل الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على سائر ضمائر الأسرار ، ثم على ظاهر النفوس والاعتبار وهو الذى وصفه الله تعالى فقال : ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾(١٤٣) الآية .

والرابع : رجل يتكتم سره عن نفسه وعن الملكين الموكلين ولا يطلع على سره إلا مولاه ، وهو الذى وصفه الله تعالى فقال : ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ إلى قوله : ﴿**ذِكْرِ اللهِ**﴾(١٤٤) فهذا هو فى ظاهره كالسلى الخيلى وفى باطنه كالمتولى السبخى . **وأنشدوا** :

إليك وإلّا لا يفيد سرى السارى فلا حرفٌ إلّا ما تلاه لك القارى
فيا مُنيتى يابَقيتى بل ورحمتى وياحبيبى فى كل حال ويا نارى
إذَا صَحّ منكَ الاعتقادُ فكل ما على الأرضِ فَانٍ من شموسٍ وأقمارى

---

١٤١ – سورة النور : الآية ٣٧ .
١٤٢ – سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .
١٤٣ – سورة يس : الآية ٢٠ .
١٤٤ – سورة الزمر : الآية ٢٣ .

[مجاهدة المحبين]

قال المغيرة بن [حبيب][١٤٥] : كنت أسمع مجاهدة المحبين ومناجاة العارفين ، وكنت اشتهى أن أطلع على شيء من ذلك فقصدت مالك بن دينار فرمقته على غفلة وراقبته من حيث لا يعلم ليالى عدة فكان يتوضأ بعد العشاء الآخرة ثم يقوم إلى الصلاة فتارة يقضى ليله فى تكرار آية أو آيتين ، وتارة يدرج القرآن درجاً فإذا سجد وحان انصرافه من صلاته قبض على لحيته وخنقته العبرة ، وجعل يقول بحنين الثكلى وأنين الولهى :

يا إلهى ، ويا مالك رقى ، ويا صاحب نجواى ، ويا سامع شكواى ، سبقت بالقول تفضلاً وامتناناً ، فقلت : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[١٤٦] والمحب لا يعذب حبيبه فحرم شيبة مالك على النار ، إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك ، ثم يناجى كذلك إلى أن يطلع الفجر فيصلى الصبح بوضوء العتمة رحمه الله تعالى .

---

١٤٥ – بالأصل (المغيرة بن جبير) والصواب ما أثبتناه فقد ورد هذا الأثر بنحوه فى « صفة الصفوة » للمصنف (٢٨٢/٣) وحلية الأولياء (٣٦١/٢) لأبى نعيم باسم المغيرة بن حبيب وهو أبو صالح ختن مالك بن دينار .

١٤٦ – سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الفصـــل الرابع عشر

[يامن أقعده الحرمان]

يامن أقعده الحرمان ، هذا رفاق التائبين ، عليك عبور ، لا رسالة دمع ولا نفس أسف ، ما أراك إلا مهجور ، هذا نذير الشيب ينذر بالرحلة ، تهيأ يامنذور ، كم إعذاركم كسل ، كم غفلة ، ما أجدك يوم الحساب معذور ، بيت وصلك خراب ، وبيت هجرك معمور ، بادر عساك تجبر بالتوبة وتعود مجبوراً ، سجدة واحدة واصل بها السحر وتنجو من الأهوال ، **﴿ولله يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعَاً وَكَرْهَاً وظلالهم بالغُدُوِ وَالْآصَالِ﴾**[147] .

[أحوال الذاكرين]

لله در أقوام قلوبهم معمورة بذكر الحبيب ، ليس فيها لغيره حظ ولا نصيب ، إن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره، وإن فرحوا فبقربه ، وإن ترحوا[148] فبعتبه ، أقواتهم ذكر الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب ، لا يصبرون عنه لحظة ، ولا يتكلمون فى غير رضاه بلفظة **وأنشدوا** :

حَيَاتِى مِنْكَ فِى روح الْوِصَالِ   وَصَبرِى عَنْكَ من طلبِ المحَالِ
فكيفَ الصبرُ عنكَ وأى صبر   لعطشان عَن الْمَاءِ الزُّلَال
إِذَا لَعِبَ الرِّجالُ بكلِّ شيءٍ   رأيتَ الحبَّ يلعبُ بالرجالِ

١٤٧- سورة الرعد : الآية ١٥ .

١٤٨- ترحوا : حزنوا .   [الوسيط (٨٢/١)]

[أحباء الشيطان]

روى عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : «إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبّله الشيطان بين عينيه وقال : فديت وجهاً لا يفلح أبداً»(١٤٩) .

فادنُ من الله ، وتب عليه ، واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات الجهالة . يقول الشيطان - لعنه الله -: يا ويلاه قطع عمره بالضلالة فأقر بالمعصية عنى ثم أخرجه الله من الجهالة بتوبته ورجوعه إلى ربه .

[ابتلاء فقيه بغدادى]

ذكر فى بعض الأخبار أن رجلاً كان من فقهاء أهل بغداد وكان ممن يشار به فى العلم والصلاح ، وكان شيخاً كبيراً فاضلاً ، وأراد الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فألف من أصحابه جماعة من الذين كانوا يقرءون عليه فارتبط معهم على أنهم يخرجون متوكلين على الله -عز وجل- فلما ساروا فى بعض الطريق وإذا بدير نصرانى وقد أعياهم الحرُّ والعطش فقالوا : يا أستاذنا ، نسير إلى هذا الدير نستظل فيه حتى يبرد النهار ونرحل -إن شاء الله تعالى- فقال لهم : افعلوا ما شئتم ، فساروا إلى ذلك الدير ونزلوا عند جداره وقد أصابهم العياء والحر فنام الطلبة والشيخ لم ينم ، قال : فتركهم الشيخ نائمين وخرج يطلب ماءً لوضوءه ولم يكن له هم إلا ذلك ، فبينما هو يمشى فى حومة الدير يطلب الماء فرفع رأسه فرأى جارية صغيرة السن كأنها الشمس الضاحية ، فلما رآها الشيخ تمكن إبليس من قلبه ونسى الوضوء والماء ولم يكن له هم إلا الجارية فأقبل يقرع الباب قرعاً عنيفاً فخرج إليه راهب وقال له : من أنت ؟

١٤٩- أورده الغزالى فى الإحياء (٣/٢٧) وقال عنه العراق فى «المغنى عن حمل الأسفار» : لم أجد له أصلاً .

قال : أنا فلان العالم الفلانى وعرفه بنفسه واسمه فقال له الراهب : وما تريد يافقيه المسلمين ؟ قال له : ياراهب ، هذه الصبيّة التى بدت من أعلى الدار ما هى منك ؟ قال الراهب : هى ابنتى فما سؤالك عنها ؟ قال له الشيخ : أريد أن تزوجنى إياها ، قال له الراهب : إن ذلك لا يجوز عندنا فى ديننا ، ولو كان جائزاً لكنت أزوجها منك بغير مشورتها ولكن قد جعلت لها على نفسى عهداً ألا أزوجها إلا من ترضى لنفسها ، ولكن أنا أدخل عليها وأعلمها بخبرك فإن هى رضيتك لنفسها زوجتك منها ، قال له الشيخ : حباً وكرامة ، قال : فذهب إلى ابنته فأعلمها بالقصة ، والشيخ يسمع فقالت : ياأبت تزوجنى منه وأنا على دين النصرانية ، وهو على دين الإسلام ، إن ذلك لا يتم له إلا أن يدخل دين النصرانية ، قال : فعند ذلك قال لها : أرأيت إن دخل فى دينك تتزوجينه ؟ قالت : نعم ، والشيخ العالم فى هذا كله يتضاعف به الأمر وإبليس يزينها فى عينيه وأصحابه رقود ليس عندهم علم بما حل به ، قال : فعند ذلك أقبل الشيخ عليها وقال لها : قد نبذت دين الإسلام ودخلت فى دينك ، قالت له الجارية : هذا زواج قدرئ، ولكن لابد من حق الزوجية ودفع المهر ، وأين الحق؟ أراك رجلاً فقيراً ولكن أقبل منك فى حقى أن ترعى هذه الخنازير عاماً كاملاً ، ويكون ذلك صداقى ، قال لها : نعم لك ذلك . ولكن اشترط عليك ألا تحجبى وجهك عنى لأنظر إليك غدوة وعشيا . قالت : نعم ، فأخذ عصاه التى كان يخطب عليها وأقبل على الخنازير يزجرها لتمشى للمرعى وجرى هذا كله وأصحابه نيام فلما استيقظوا من نومهم طلبوا الشيخ فلم يجدوه فسألوا عنه الراهب فأعلمهم القصة ، قال : فمنهم من خر مغشياً عليه ، ومنهم من بكى وناح ، ومنهم من تأسف على ما حل به ، ثم قالوا للراهب : وأين هو ؟ قال لهم : هو يرعى الخنازير ، قال : فمضينا له وقلنا له : ياسيدنا ، ما هذا الذى حل بك وجعلنا نذكره فضل القرآن والإسلام وفضل محمد - ﷺ - ، وقرأنا عليه القرآن والحديث ، فقال لنا : إليكم عنّى فإنى أعلم بما تذكروننى به منكم ولكن قد نزل بى البلاء من عند رب العالمين ، قال : فكلما عالجناه ليسير معنا ما قدرنا عليه فمضينا إلى مكة وتركناه وفى قلوبنا منه حسرة ، وقضينا حجنا ورجعنا نريد بغداد فلما صرنا إلى ذلك

الموضع فقلنا تعالوا ننظر ما فعل الشيخ لعله ندم وتاب إلى الله عز وجل عما كان فيه .

قال : فذهبنا إليه فوجدناه على حالته وهو يزجر الخنازير فسلمنا عليه وذكّرناه وقرأنا عليه القرآن فما ردّه علينا شيئاً ، فانصرفنا عنه وفى قلوبنا منه حسرة عظيمة ، قال : فلما صرنا على بُعْدٍ من الدير وإذا نحن بسواد قد أقبل علينا من ناحية الدير وهو يصيح علينا فوقفنا له فإذا هو صاحبنا الشيخ قد لحق بنا وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وأنا قد تبت إلى الله ورجعت عما كنت فيه وما كان ذلك إلا من ذنب كان بينى وبين ربى وعاقبنى به فكان من البلاء ما رأيتم ، قال : فسررنا بذلك غاية السرور وجئنا إلى بغداد وأقبل الشيخ على العبادة والاجتهاد أكثر مما كان عليه قبل ذلك .

فبينا نحن يوماً فى دار الشيخ نقرأ عليه وإذا نحن بامرأة قد قرعت الباب فخرجنا إليها وقلنا لها ما حاجتك أيتها المرأة ؟ قالت : أريد الشيخ ، وقولوا له إن فلانة بنت فلان الراهب قد جاءت لتسلم على يديك فأذن لها فى الدخول فدخلت وقالت له : ياسيدى ، جئت لأسلم على يديك فقال لها الشيخ ؛ وما كانت القصة ؟ قالت له : لما ولّيت عنّى غلبتنى عيناى فنمت فرأيت فيما يرى النائم على ابن أبى طالب –رضى الله عنه– وهو يقول : لا دين إلا دين محمد –ﷺ– ، قال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال لى بعد ذلك ما كان الله ليبتلى بك ولياً من أوليائه ، وها أنا جئت بين يديك وأقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ففرح الشيخ بذلك حيث مَنَّ الله عليها بدين الإسلام على يديه فتزوجها على كلمة الله وسنة رسوله –ﷺ– ، قال : فسألناه عن ذلك الذنب الذى كان بينه وبين الله ما كان ؟ قال : كنت ماشياً فى بعض الأزقة وإذا برجل نصرانى قد لصق لى ، فقلت له : أبعد عنى عليك لعنة الله ، فقال : ولِمَ ؟ قلت له : أنا خير منك ، فالتفت النصرانى وقال : وما يدريك أنك خير منّى وهل تدرى ما عند الله تعالى حتى تقول هذا الكلام ؟ وقد بلغنى بعد ذلك أن الرجل النصرانى قد أسلم وحسن إسلامه ولزم العبادة فعاقبنى الله تعالى من أجل ذلك بما رأيتم ، نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة .

الفصـــل الخامس عشر

[بياض الشيب ينذر]

معاشر التائبين تعالوا نبكى فهذا مأتم الأحزان، تعالوا لنسكب المدامع ونشتكى الهجران لعل زمان الوصل يعود كما كان ، هذا بياض الشيب ينذر بخراب الأوطان ، يامن تخلف حتى شاب ، قد رحلت الأظعان ، ياتائهاً فى تيه التخلف ، ياحائراً فى برية الحرمان ، نهارك فى الأسباب ، وليلك فى الرقاد، هذه الخسارة عيان إذا ولّى الشباب ولم يربح ففى المشيب يكون الخسران ، أملك طويل بعيد ، وربما هيئت لك الأكفان ، قف على ساحل التوبة فبحار المعاصى طوفان ، ضيعت ربيع الشباب حتى زيل من معاصى الرحمن ، فعند إقبال المشيب ندمت على ما قد كان إن لم يشاهدك رفيق التوبة وإلا ففى الحرمان حرمان ، وقد يرحم المولى من ضعف عن الأسباب ﴿**يَمْحُوا الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[١٥٠] .

أتبنى بناءَ الخَالدين وإنّما بَقاؤكَ فِيها لو عَقِلتَ قليلُ
لَقد كَانَ فى ظلِّ الأَرَاكِ مقيلُ لِمنْ كُل يوم يَقْتَفِيهِ رَحِيلُ

[موعظة للحسن البصرى]

ويروى عن الحسن البصرى –رضى الله عنه– أنه كان يقول : ياابن آدم ، إن لك عاجلاً وعاقبة فلا تؤثر عاجلتك على عاقبتك فقد –والله– رأيت أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم فهلكوا وذلّوا فافتضحوا، يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحها جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً، يا ابن آدم ، لا يغرك ما أصابك من شدة الدنيا ورخائها إذا ادخر لك خير الآخرة ، وهل ينفعك ما أصبت من رخائها إذا حرمت خير الآخرة ، ياابن آدم ، الدنيا مطية إن ركبتها

١٥٠– سورة الرعد : الآية ٣٩ .

حملتك وإن حملتها قتلتك ، ياابن آدم ، إنك مرتهن بعملك وآت على أجلك ، ومعروض على ربك فخذ مما فى يديك لما بين يديك وعند الموت يأتيك الخبر ، ياابن آدم ، لاتعلّق قلبك بالدنيا فتعلقه بشر متعلق ، حسبك أيها المرء ما بلغك المحل .

[قصة موعظة لمالك بن دينار]

ويروى عن مالك بن دينار –رضى الله عنه– أنه كان ماشياً فى بعض أزقة البصرة إذ هو بجارية من جوارى الملك راكبة ومعها الخدم والمماليك فسمع مالك حسها خلفه فالتفت إليها وهى راكبة فرأى زهرتها وهيئتها وحالها فنادى : أيتها الجارية ، هل يبيعك مولاك ؟ قالت : ويلى عليك وهل لمثلك ما يشترينى به لو باعنى ؟ قالت : فحف به المماليك ، قال : خلوا عنّى أسير معكم ، فسار معهم حتى أتت قصرها فقام إليها حجبة الدار فأنزلوها فدخلت وبقى مالك بباب القصر حتى وصلت إلى مولاها فقالت : يامولاى ، أنا أحدثك بعجب قال : وما هو ياحسنة ؟ قالت : يامولاى لقينى شيخ كبير فقير عليه عباءة رثة فنظر إلى حسنى وجمالى وبهائى وكالى ومماليكى فأعجبه ما رأى من هيئتى فقال : هل يبعيك مولاك ، فضحك مولاها من ذلك وقال : وأين هو ويلكِ ، قالت : قد جئت به معى وها هو بباب القصر فقال : ادخلوه علىّ فدخل مالك ولم يعرفه الرجل فلما وقف بباب مجلسه إذ هو بصاحب القصر قاعد على مرتبة عظيمة فجعل مالك ينظر إليه فقال لمالك : ادخل أيها الشيخ فقال مالك : لا أدخل حتى ترفع هذا القطا[١٥١] وتغيب عنّى فتنته لا أنظر إليه ولا أطأ شيئاً منه فألقى الله الهيبة والطاعة فى قلب صاحب القصر فأمر برفع القطا والبسط حتى كشف عنه الرخام وقعد صاحب القصر على كرسى وقال : اجلس أيها الشيخ كما أحببت ، قال : لا والله حتى تنزل عن هذا الكرسى وتجلس على هذا المرمر ، قال : فجلس الرجل وجلس مالك معه فقال رب البيت : قل حاجتك أيها الشيخ . قال : جاريتك هذه التى

---

١٥١ – القطا : نوع من الكساء . [لسان العرب (١٩١/١٥) ط دار صادر

دخلت عليك الساعة أتبيعها لى ؟ فقال صاحب القصر : وهل لك ما تبتاعها به منى ؟ قال : وما ثمنها ؟ قال له : إن من شأنها وقدرها وحالها ومالها أنها تساوى كذا وكذا ألفا فقال مالك : والله ما تساوى عندى نواقين سوى ستين فضحك الرجل وضحكت الجارية من وراء الستر وضحك الجوارى والخدم من وراء الستر من كلام مالك ، فقال : ما الذى أضحككم ؟ قال صاحب البيت : وكيف كان ثمنها بهذه الخساسة عندك ؟ فقال مالك : لكثرة عيوبها قال : ومن أعلمك بعيوبها ؟ قال : أنا أعلم بعيوبها مالم تعلم أنت ، قال : أعلمنى بها وأوقفنى عليها .

قال : إن لم تتعطر تغيرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم تغتسل بظرت ، وإن لم تمشط قملت وشعثت ، وإن عمرت عن قليل هرمت ، وهى ذات بخار وبصاق وحيض وبول وغائط وأقذار جملة وآفات بينة ولعلها لا تريدك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لمتعتها بك وتمتعك بها فلا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودك وعهدك ولا يتخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك وأنا أجد بدون ما سألت جارية خلقت من سلالة الكافور ولو مزج بريقها الأجاج لطاب ، ولو دعى ميت بكلامها لأجاب ، قميصها لو رفع للشمس لأظلمت دونه ، ولو برز لسواد الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت ولو نفح رايح ذوائبها على الأرض وما فيها لتعطرت فهى العطرة الشكلة الغنجة[152] المتعشقة التى نشأت فى رياض المسك والزعفران ، وغذيت بماء التسنيم فلا يكسف بالها ولا يحول حالها ولا يخلف عهدها ولا يتبدل ودّها ولا يتوقع صدها فأيهما أحق بالرفعة أيها المغرور ؟ قال : التى –والله– وصفت فما ثمنها يرحمك الله ؟ قال : اليسير المبذول أن تتفرغ ساعة من ليلك فتقوم فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن تضع طعامك بين يديك فتذكر جائعاً فتؤثره لله على شهوتك وأن تخطر بالطريق فتلقط منه حجراً ومدراً ، وأن تحرك لسانك بطيب من الكلام أو بذكر الله تعالى ، وأن تقطع أيامك باليسير من القوت وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش فى الدنيا عيش القنوع رائحاً ، وتأتى غداً يوم القيامة آمناً وتنزل على الملك الأكبر مخلداً قال :

---

١٥٢ – الغنجة : الدلالة وملاحة العينين . [الوسيط (٢/٦٦٤)]

فعند ذلك نادى : ياجارية ، قالت : لبيك يامولاى ، قال : أسمعت ما قال الرجل ؟ قالت : نعم قال لها : هو صادق أم كاذب ؟ قالت : بل هو -والله- صادق ، قال : فأنت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا عليك صدقة وهذه الدار صدقة بجميع ما فيها من الأثاث والأموال على الفقراء والمساكين ومد يده على ستر كان على بعض أبوابه فأخذه وستر به نفسه ورمى جميع ما كان عليه من اللباس ، قالت الجارية : يامولاى ، لا عيش لى بعدك فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشنة وخرجت معه ، فودعهما مالك بن دينار ودعى لهما وأخذا طريقاً وأخذ مالك طريقاً آخر . قال ناقل الحديث : فذكرا أنهما لم يزالا يعبدان الله عز وجل على تلك الحالة حتى لقياه -رحمة الله عليهما- .

الفصــل السادس عشر

[تزود فإن السفر طويل]

ياتائهاً فى الضلالة بلا دليل ولا زاد ، متى يوقظك الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد ، قل لى متى تتيقظ وماضى الشباب لا يعاد ، وَيْحَكَ كيف تقدم على سفر الآخرة بلا رحلة ولا زاد ، ستندم إن خاب الرحيل وأمسيت مريضاً تعاد ، ومنعت التصرف فيما جمعت وقطّعت الحسرات منك الأكباد فى تلك السكرات ، ومنع عنك العواد ، وكفنت فى أخضر الثياب وحملت على الأعواد وأودعت فى ضيق لحد وغربة ما لها من نفاد ، يغدو عليك الخسران ويروح إلى يوم التناد ، ثم بعده أهوال كثيرة فياليتك لمعاينتها لا تعاد ، فاغتنموا بضائع الطاعات فبضائع المعاصى خاسرة ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾(١٥٣) . **وأنشدوا :**

[احذر دنياك]

احــذرْ دُنيــاك وغِــرتها ... واحذر أن تُبدى لها طَلبا

تَبغى وداً مِمَّــنْ قَدِمــا ... لكَ قتلتْ أُمّـا أو أبّـا

وعلى الجيران فَقَدْ جَارت ... كلا قهـرت أذلَتْ عَطَبـاً

كَم من ملك ذى مملكة ... قَدْ مَال لَها سُكراً وَصَبا

أضْحَى فى اللّحدِ ومقعدهِ ... بِتُرابِ اللّحـدِ قد احتجبـا

اطلب مولاك ودع دنياك ... ففـى أخـراك ترى عجبـا

كم من قصر قد شِيد بناءً ... بالموتِ وها أضحى خَربـا

يا طَالبها لا تلــهُ بها ... كم تاه بها ملكٌ غصبـا

١٥٣- سورة القيامة : الآية ٢٠، ٢١ .

أينَ الماضونَ لَقـد سَكنـوا لَحـداً فرداً خربا تربـا
كَانوا ومضوا ثم انقرضوا فتـأدبْ أنْتَ بِهـم أدَبـا
فالعمرُ مضى والشّيبُ أتى والموتُ لحينك قَدْ قَرُبَـا
فَأعـدّ الـزادَ فَمَا سَفَـر عمـر الأيـام قَد انتهيـا
بادرْ بالتـوبِ وكُنْ فَطِنـاً لا تلـقَ بجرأتك النصبـا
فلعـلّ الله بِرحمتـه يَلقـى بالعفـوِ لَنـا سَبَبـا

[حكاية أبى سليمان مع عابد]

قال أبو سليمان الدارانى – رحمه الله–: كنت أحمل الحطب من الجبال وأتقوت به وكان طريقى فيه التقوى والتحرى فرأيت جماعة من صلحاء البصرة فى النوم منهم الحسن ومالك بن دينار وفرقد السبخى[١٥٤] ، فقلت لهم : أنتم أئمة المسلمين فدلونى على الحلال الذى ليس لله فيه تبعة ولا للخلق فيه مِنّة ، فأخذوا بيدى وأخرجونى من طرطوس[١٥٥] إلى مرج[١٥٦] فيه خبازى[١٥٧] ، فقالوا لى : هذا هو الحلال الذى ليس لله فيه تبعة ولا للخلق فيه مِنّة ، قال : فقعدت آكل منه دهراً نياً وآكل منه مطبوخاً فأوجد لى الله قلباً طيباً حتى قلت : إن كان أهل الجنة بالقلب الذى لى فهم –والله– فى عيش ، فخرجت يوماً على باب البلد وإذا بفتى يريد البلد وكانت لى قطيعات بقت لى من ثمن الحطب الذى كنت أبيعه قبل ذلك

١٥٤– فرقد بن يعقوب السبخى يكنى أبا يعقوب وهو من عباد البصرة ، شغله التعبد عن حفظ الحديث فلذلك يُعْرِض النّقلة عن حديثه ومات فى أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة . [صفة الصفوة (٣/٢٧١ – ٢٧٣)]

١٥٥– طرطوس : بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا .
[معجم البلدان (٤/٣٠)]

١٥٦– مرج : المرج : أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب .
[الوسيط (٢/٨٦١)

١٥٧– خبازى : الخُبَازى : جنس نبات من الفصيلة الخُبّازية ، منه نوع يطهى ورقه فيؤكل . [الوسيط (١/٢١٥)]

فقلت : هذه لا أحتاج إليها أدفعها لهذا الفقير ينفقها فلما دنا منى أدخلت يدى لأخرجها له فرأيته قد حرك شفتيه وإذا كل من حولى من الأرض ذهب وفضة حتى كاد يخطف بصرى ، قال : ثم خرجت مرة أخرى فرأيته قاعداً وبين يديه ركوة وفيها ماء فسلمت عليه ثم طلبت منه أن يكلمنى فمد رجله فقلب الركوة ثم قال : كثرة الكلام تنشف الحسنات كما تنشف عن هذه الأرض الماء بكفيك .

[تقلب الأيام]

قال محمد بن غسال صاحب الكوفة وقاضيها : دخلت على أُمّى فى يوم عيد أضحى ، فرأيت عندها عجوزاً فى أطمارٍ رثة ، وإذا لها بيان ولسان فقلت لأُمّى : من هذه ؟ فقالت : خالتك ، عافية[١٥٨] أم جعفر البرمكى وزير هارون الرشيد ، فسلمت عليها وسلمت علىّ فسألتها عن حالها وقلت لها : صيرك الدهر إلى ما أرى ؟ قالت : نعم يابنى ، إنما كنا فى عوار[١٥٩] ارتجعها الدهر مِنّا ، فقلت لها : حدثينى ببعض شأنك . قالت : خذه جملة وقس على ذلك لقد مضى على عيد مثل هذا ثلاث سنين وعلى رأسى أربعمائة وضيئة[١٦٠] وأنا أزعم أن ابنى عاق ، وقد كان بعث إلىّ برسم الأضاحى ألف رأس من الغنم وثلاثمائة رأس من

---

١٥٨ – كذا بالأصل والصواب (عبادة) [انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٩٧/١٠)] وهذا الأثر ورد بالبداية والنهاية أيضاً (١٩٧/١٠) عقب كلامه عن مقتل جعفر بن يحيى البرمكى وتبدل حال أسرته .

١٥٩ – عوار : جمع عارية وهى ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك – والمراد أن الله قد أعطاهم المنزلة التى كانوا فيها عارية ثم استردها منهم . [الوسيط (٦٣٦/٢)]

١٦٠ – وضيئة : جميلة حسنة ونظيفة – والمراد أنه كان يخدمها أربعمائة جارية جميلة نظيفة كأحسن ما يكون وهذا دليل على عزها والمنزلة التى وصلت إليها .
[الوسيط (١٠٣٨/٢)]

البقر ، دون ما يتبع ذلك من الزينة واللباس ، وقد جئتكم اليوم أطلب جلدى شاتين أجعل إحداهما شعاراً[١٦١] والآخر دثاراً[١٦٢] -تعنى غطاء- بالليل قال : فغمنى ذلك من قولها ، وكربنى ما رأيت من حالها ، وأبكانى والله قولها ، فوهبت لها دنانير كانت معى .

[لا تغتر بالدنيا]

فانظر ياأخى حال الدنيا كيف يحول ، ونعيمها كيف يذهب ويزول ، فالمغرور -والله- من اغترَّ بها ، والمسعود من رأى عيبها وفرّ منها والمصائب فى الدنيا أعداد فواحد يصاب فى الأموال والأولاد وآخر يعرى من الإسلام بالطرد والإبعاد .

[فتنة الدين]

وقال بعض السادات : كنت جالساً عند الحسن البصرى -رضى الله عنه- فمر بنا قوم يجرون قتيلاً فلما رآه الحسن وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته سألته عن أمره فقال : إن هذا الرجل كان من أفضل العباد وكبار السادات الزهاد ، فقلت له : ياأبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره ، قال : إن هذا الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلى فيه فرأى فى طريقه جارية نصرانية فافتتن بها فامتنعت عنه فقالت : لا أتزوجك حتى تدخل فى دينى فلما طالت المدة وزاد به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبرىء من دين الحنيفية فلما صار نصرانياً وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر وقالت : ياهذا ، لا خير فيك خرجت من دينك الذى صحبته عمرك من أجل شهوة لا قدر لها ، لكن أنا أترك

١٦١- شعار : ما ولى جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب .
[الوسيط (٤٨٤/١)]

١٦٢- دثار : الدثار : الثوب الذى يكون فوق الشعار . [الوسيط (٢٧١/١)]

دين النصرانية طلباً لنعيم لا يفنى عنّى طول الأبد فى جوار الواحد الصمد ، ثم قرأت ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[١٦٣] فتعجب الناس من أمرها وقالوا لها : كنت تحفظين هذه السورة قبل هذا ؟ قالت : لا –والله– ما عرفتها قط ولكن هذا الرجل لما ألحّ علىّ رأيت فى النوم كأنى دخلت النار فعرض علىّ مكانى منها فارتعبت وخفت خوفاً شديداً فقال لى مالك[١٦٤] : لا تخافى ولا تحزنى فقد فداك الله بهذا الرجل منها ثم أخذ بيدى وأدخلنى الجنة فوجدت فيها سطراً مكتوباً فقرأته فوجدت فيه ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾[١٦٥] ثم أقرأنى سورة الإخلاص فأقبلت أرددها ثم انتبهت وأنا أحفظها ، قال الشيخ حسن ، فأسلمت المرأة وقتل الشيخ على ردته . نسأل الله العافية .

١٦٣– سورة الإخلاص .

١٦٤– مالك : المراد الملك الذى جعله الله على النار .

١٦٥– سورة الرعد : الآية ٣٩ .

الفصـــل السابع عشر

[يامن يذنب ولا يتوب]

يامن يذنب ولا يتوب كم كتبت عليك الذنوب ، ويحك خل الأمل الكذوب ، وا أسفاً أين أرباب القلوب تمرقت بالهوى فى شعوب ، ندعوك إلى صلاحك ولا تؤوب ، واعجباً لك ما الناس إلا ضروب .

يا دهرُ مَا أقضاكَ مِن متلوثٍ فِى حالتيكَ وما أَقَلّك منصفاً
وغدوتَ للعبدِ الجهول مصافياً وعلى الكريمِ الحرّ سَيفاً مُرهفاً
دهراًإذا أعطى استردَّ عَطاؤه وإذا استقام بَدَا له فتحرفا
لا أرْتَضِيك وإنْ كَرُمْتَ لأَنَّنِى أدْرى بأَنَّكَ لَا تدَومَ عَلَى الصّفا
مادام خيرك يازمـانُ بِشرِّه أولا نياماً قل منك وما كفا

[موعظة للحسن البصرى]

روى عن الحسن البصرى –رضى الله عنه– أنه قال : أدركت أقواماً وصحبت طوائف كان يأتى على أحدهم الخمسون سنة ونحوها ما طوى منهم أحد ثوباً قط لفراش ولا نوم ولم يأمر أهله قط بعمل طعام ولا جعل بينه وبين الأرض فراشاً ولقد كان يأكل أحدهم الأكلة فيود أنها حجر فى بطنه ، وما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا ، ولا يتأسفون على شىء منها أدبر ولهى أهون عليهم من هذا التراب الذى تطؤونه بأرجلكم ولقد كان أحدهم يعيش عمره مجهوداً شديد الجهد والمال الحلال إلى جنبه ، فيقال له : ألا تأخذ من هذا المال شيئاً لتقتات به فيقول : لا والله إنى لأخاف إن أصبت شيئاً يكون فساداً لقلبى ودينى .

[زهد سلمان الفارسى]

يروى عن سلمان الفارسى(١٦٦) -رضى الله عنه- أنه تزوج امرأة من كندة يقال لها صواب فأتاها ووقف بباب البيت ونادى باسمها فلم تجبه فقال لها : ياهذه ، أخرساءأنت أم صماء ؟ ألا تسمعين ؟ قالت : ياصاحب رسول الله -ﷺ- ما بى خرس ولا صمم ولكن العروس تستحى أن تتكلم ، فدخل المنزل وإذا بالأستار والأرياش ولباس الديباج فقال : ياهذه ، أبيتك هذا محموم فدثرتيه أم تحولت الكعبة فى كندة ؟ قالت : ياصاحب رسول الله -ﷺ- ولكن العروس تزين بيتها فرفع رأسه فرأى خدماً وقوفاً على رأسه قد أتوه بالماء والطعام فقال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : «من نام على المأثور ولبس المشهور ، وركب المنظور ، وأكل الشهوات لم يرح رائحة الجنة»(١٦٧) قالت : ياصاحب رسول الله -ﷺ- أشهدك أن كل ما فى البيت صدقة لوجه الله تعالى وكل مملوك حر لوجه الله ، واكفنى برّاً أكفك اشتغال البيت ومحاولة العيش فقال لها : رحمك الله وأعانك(١٦٨) .

---

١٦٦ - سلمان الفارسى : صحابى كان يسمى نفسه سلمان الإسلام أصله من مجوس أصبهان ، عاش عمراً طويلاً ، واختلفوا فيما كان يسمى به فى بلاده ، وقالوا نشأ فى قرية جيان ، ورحل إلى الشام ، فالموصل ، فنصيبين فعمورية وقرأ كتب الفرس والروم واليهود وقصد بلاد العرب فلقيه ركب من بنى كلب فاستعبدوه وباعوه فاشتراه رجل من قريظة ، وعلم سلمان بخبر الإسلام فقصد النبى بقباء وسمع كلامه ولازمه أياماً وأعانه المسلمون على شراء نفسه وأظهر إسلامه وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق ، وكان عالماً بالشرائع بحر لا ينزف ، وقد جعل أميراً على المدائن فبقى فيها إلى أن توفى سنة ٣٦ هـ .
[الأعلام (١١١/٣، ١١٢)]

١٦٧ - لم أقف عليه . وأورده المصنف بصيغة التضعيف .

١٦٨ - أورد هذا الأثر أبو نعيم فى الحلية (١٨٥/٢١) وكذلك أورده ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٥٣٩/١) .

الفصـــل الثامن عشر

[ياغافلاً عن مصيره]

ياغافلاً عن مصيره ، ياواقفاً مع تقصيره ، سبقك أهل العزائم ، وأنت فى بحر الغفلة عائم ، قف على الباب وقوف نادم ، ونكّس رأس الذلّ وقل : أنا ظالم ، وناد فى الأسحار مذنب وراحم ، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم وزاحم ، وابعث بريح الزفرات سحاب دمع ساجم(١٦٩)، وقم فى الدجى منادياً ، وقف على الباب تائباً ، واستدرك من العمر ذاهباً ، ودع اللهو جانباً ، وطلق الدنيا إن كنت للآخرة طالباً .

يانائماً طول الليل سارت الرفقة ورحل القوم كلهم ، وما انتبهت من الرقدة .

[إنذار الشيب]

ويروى عن إياس بن قتادة(١٧٠) –رضى الله عنه– ، وكان سيد قومه أنه نظر يوماً إلى شعرة بيضاء فى لحيته فقال : اللهم إنى أعوذ بك من فجأة الأمور ، أرى الموت يطلبنى وأنا لا أفوته ، ثم خرج إلى قومه وقال لهم : يابنى سعد قد وهبت لكم شبابى فلتهبوا إلىّ شيبتى ثم دخل داره ولزم بيته حتى مات(١٧١) .

---

١٦٩ – ساجم : سائل متصبب . [الوسيط (٤١٨/١)]

١٧٠ – إياس بن قتادة التميمى ابن أخت الأحنف بن قيس وهو من المصطفين من أهل البصرة كان سيد قومه (بنى تميم) ولكنه اعتزلهم فى آخر حياته وأخذ يؤذن لقومه ويعبد ربه ولم يغشْ سلطاناً حتى مات . [صفة الصفوة (٢٢١/٣، ٢٢٢)]

١٧١ – ورد هذا الأثر بصفة الصفوة (٢٢١/٣، ٢٢٢) .

وأنشدوا :

أَمِنْ بعد شيبٍ أيّها الرجل الكهل جهلتَ ومنك اليوم لا يَحسنُ الجهــلُ
تحكَّم شيبُ الرأسِ فيك وإنّما تميلُ إلى الدُّنيا ويخدعك المطلُ
دَعِ المطلَ والتَّسويف إنّك ميّتٌ وبادر بِجِدّ لا يُخالطه هزلُ
سأبكى زماناً هدَّنى بفُراقه فليس لقلبى عن تذكّره شغلُ
عجبتُ لقلبى والكَرى إذ تهاجرا وقد كان قبلَ اليومِ بينهما وصلُ
أخذتُ لنفسى حتفَ نَفْسى بكفِّها وأثقلتُ ظَهْرى من ذنوبٍ لها ثقلُ
وبارزتُ بالعصيان رباً مهيمناً له المنُّ والإحسان والجود والفضلُ
أخاف وأرجو عفوه وعقابه وأعلم حقاً أنَّه حكمٌ عدلُ

[موعظة للحسن]

وروى عن الحسن البصرى –رضى الله عنه– أنه كان يقول : هبطت صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فالذى عن يمينك يكتب حسناتك والذى عن يسارك يكتب سيئاتك ، اعمل ما شئت وأقلل أو أكثر حتى إذا فارقت الدنيا طويت صحيفتك وعلقت فى عنقك ، فإذا كان يوم القيامة أخرجت وقيل لك : ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾(١٧٢) .

[أنت حسيب نفسك]

يا أخى ، عدل –والله– عليك من جعلك حسيب نفسك .

يابن آدم اعلم أنك تموت وحدك ، وتدخل قبرك وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك .

١٧٢– سورة الإسراء : الآية ١٤ .

ياابن آدم ، لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم .

وروى عن إبراهيم بن أدهم –رحمه الله– أنه لقى رجلاً فقال له : كيف حالك ياأبا إسحاق فقال له :

نُرَقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننا ... فَلَا دِيننا يَبْقَى ولاما نُرَقِّعُ(١٧٣)
فَطُوبى لعبدٍ آثَرَ الله رَبَّهُ ... وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يَتَوَقَّعُ

[إياك أن تؤثر الدنيا]

ويروى أن عون بن عبدالله(١٧٤) كان يقول : وَيْحِى ، كيف أغفل ولا يُغْفل عنّى ، وكيف يهنأ عيشى واليوم الثقيل من ورائى ، كيف لا أبادر بعملى ولا أدرى متى أجلى ، أم كيف أسر بالدنيا ولا يدوم فيها حالى أم كيف أوثرها وقد أضرت بمن آثرها قبلى ، أم كيف يشتد حرصى عليها وفى غيرها فرارى وخلدى ، أم كيف تعجبنى وهى زائلة ومنقطعة عنّى ، أم كيف لا يطول حزنى وربى لا أدرى ماذا يفعل بى فى ذنوبى .

[بيت النبوة]

ويروى عن عائشة –رضى الله عنها– أنها قالت : كانت تأتى أربعين ليلة ما يوقد فى بيت رسول الله –ﷺ– مصباح ولا نار ، قيل : فبم كنتم تعيشون ؟ [قالت على الأسودين التمر والماء](١٧٥) .

١٧٣– أورد هذا الأثر أبو نعيم فى الحلية (٨/١٠) .

١٧٤– عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلى : خطيب ، راوية ، ناسب ، شاعر . كان من آدب أهل المدينة وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وكان يقول بالإرجاء ، ثم رجع وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبدالعزيز فى خلافته ، وتوفى سنة ١١٥ هـ . [الأعلام (٥/٩٨)]

١٧٥–**حديث صحيح** : رواه مسلم (٢٩٧٢) ، والبيهقى (٦/١٦٩) .

ورواه بنحوه : (٨/١٢١) ، وما بين المعكوفتين سقط استدركناه من مصادره السابقة .

[زهد ابن إسباط]

وقالت [زوجة يوسف بن إسباط][١٧٦] : قال لى يوسف بن أسباط : إنى لأشتهى من الله ثلاثة قلت : وما هى ؟ قال : اشتهى أن أكون حين أموت ليس فى ملكى شيء ، ولا يكون على دَيْن ، ولا يكون على عظمى لحم ، ولقد أعطى ذلك كله ، ولقد قال لى فى مرضه : هل بقى عندك نفقة قلت : لا . فقال : أى شيء تريدين ؟ فقلت : أخرج هذه الخابية[١٧٧] إلى السوق للبيع . قال : فإذا فعلت ذلك انكشف حالنا فقال الناس إنما باعوها من الحاجة فقالت وكان عندنا خروف أهداه لنا بعض إخواننا فأمر بإخراجه إلى السوق فبيع بعشرة دراهم فقال لى : اعزلى منها درهماً لحنوطى وأنفقى سائرها قالت : فمات وما بقى من الدراهم إلا الدرهم الذى أمر بعزله لحنوطه -رضى الله عنه-[١٧٨] .

[متى تطلب الآخرة ؟!]

يامن تحدثه الآمال ، دع عنك هذه الوساوس ، متى تنتبه لصلاحك ، أيها الناعس متى تطلب الآخرة ، يامن على الدنيا تتأسف متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن كل مؤانس ، يامن قلبه قد قسا وجفنه ناعس . **وأنشدوا** :

إنى بُليت بأربعٍ ما سُلِّطَتْ ... إلّا لِعِظَـمِ بَلِيتـى وشَقَـائى

إبليسُ والدّنيا ونَفسى والهوى ... كيفَ التّخلصُ من يدى أعْدَائى

---

١٧٦ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من صفة الصفوة (٤/٢٦٥) .

ويوسف ابن إسباط الشيبانى ، الزاهد الواعظ ، يروى عن سفيان الثورى وغيره ، ويروى عنه المسيب بن واضح وعبدالله بن خبيق الإنطاكى وثقه ابن معين وقال البخارى «كان قد دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغى وتوفى قبل المائتين بسنة» .

[ميزان الاعتدال (٤/٤٦٢) رقم ٩٨٥٦] ، و [صفة الصفوة (٤/٢٦٦)]

١٧٧ - الخابية : وعاء الماء الذى يحفظ فيه . [الوسيط (١/٢١٣)]

١٧٨ - أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) (٤/٢٦٥، ٢٦٦) .

[علامة المحبة]

وروى عن عبد الأعلى بن على -رضى الله عنه- قال : صعدت على جبل لبنان لأرى من أتأدب به وأتهذب بأخلاقه ، فدلنى الله على أحدهم فى مغارة ، فوجدت فيها شيخاً تلوح على وجهه الأنوار ، وقد علته السكينة والوقار ، فسلمت عليه فأحسن الرّد ، فبينما أنا قاعد عنده وإذا أنا بمطر عظيم وسيل شديد فاستحيت أن أوى إلى المغارة من غير إذنه ، فنادانى وأوانى وأقعدنى على صخرة بإزائه وكان يصلى على مثلها وقد ضاق صدرى من المطر وتضييقى عليه فى موضعه فنادانى وقال لى : من شرائط الخدام التواضع والاستسلام فقلت له : ما علاَمة المحب ؟ قال : إذا كان البدن كالحية يلتوى ، والفؤاد بنار الشوق يكتوى فاعلم أن القلب على المحبة منطوى ، وكل نقمة يشاهدها المحب دون الهجر فهى نعمة فالكل عنه عوض إلا المحبوب ، ألا ترى إلى آدم -عليه السلام- شاهد العقاب والنقمة ولكنه لما لم يكن معه هجر كانت منحاً ونعمة وجعل يقول :

جَسَدٌ نَاحِلٌ وَدَمعٌ يفيدُ وهوى قَاتِلٌ وقَلْبٌ مريضٌ
وسِقام على النأى شديد وهُموم وحُرقـة ونضيض
ياحبيبَ القلوبِ قلبى مريض والهَوى قَاتِلى ودَمْعِى يفيض
إنْ يكن عاشق طويل بلاؤه فَبَلائِى بِكَ الطويل العريض

قال : وصاح الشيخ صيحة فسقط ميتاً فخرجت لأنظر معى من يدفنه وأجهزه فما وجدت أحداً فرجعت إلى المغارة فطلبته فما وجدته فبقيت متحيراً فى أمره متفكراً فسمعت هاتفاً يقول : رفع المحب إلى المحبوب وفاز بالبغية والمطلوب .

الفصـــل التاسع عشر

[مهر الآخرة يسير]

ياأخي ، لا يبيع الباق بالفانى إلا خاسر ، وإياك والأنس بمن ترحل عنه فتبقى كالحائر ، رفيق التقوى رفيق ، ورفيق المعاصى غادر ، مهر الآخرة يسير ، قلب مخلص ولسان ذاكر ، إذا ثبت لم تتبه فاعلم أنك سائر ، فديت أهل التهجد بلسان باك وجفن ساهر ، كم لهم على باب ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ**﴾(١٧٩) من تملق ودمع قاطر ، إذا تنسموا نسيم السحر أغناهم عن نسيم العذيب(١٨٠) وحاجز ، عصفت بهم رواشق الاستغفار والبواكر ، عمروا منازل الخدمة ومنزل الغفلة خراب داثر .

[حكاية شاب عابد]

قال ذوالنون –رحمه الله– رأيت شاباً فى بعض السواحل مصفر اللون على وجهه نور القبول وآثار القرب وعز الأنس ، فقلت : السلام عليك ياأخى ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركات ، فقلت له : ما علامة المحبة ؟ فقال : التشتت فى البلاد ، والتهتك فى العباد ، وتحريم الرقاد ، وحشية الرماد . **وأنشدوا :**

أبليَت مَنْ أحببتُ يَاحُسْنَ البـلا   وخصَصتَ بِالبلوى رِجَالا خُشّعَاً
أحببتَ بلواهم وطول حنينهم   وأطلتَ ضرهم لكى يتخضعا

١٧٩– سورة السجدة : الآية ١٦ .

١٨٠– العذيب : ماء لبنى تميم . [اللسان (٥٨٥/١)] ط دار صادر

[دير المحبة]

إخوانى ، إلى دير المحبة من موارد ومصادر ، بنهر واهب الشوق لتكون إليهم سائر ، طلبوا منه شراباً عتيقاً جل عن معاطره العاصر ، فتح لهم دنات التوله فانفض منه رحيق التحقيق ، له شعاع يملأ البصائر أدار عليهم أقداح الوجد فحنوا إلى المزيد حنين الذاكر ، خامرهم سكر ، التولُّه فبدا لهم كل غائب وحاضر ، استزادوا من الشراب الطيب الطاهر ، بذلوا فيه النفوس والأوطان والغائب والحاضر ، أطربهم تلحين أهل دير المحبة فتواجدوا تواجد أكابرهم عن كابر ، محبوبهم ساقيهم ومجلس أنسهم منضد بأنواع الأزاهر ، ملوك فى وقت السكر ، عبيد فى وقت الصحو ، فهم بين غائب وحاضر ، شربة من هذا الهدام رخيصة ببذل الكون والأوائل والأواخر ، لا يتركه إلّا سفيه ليس لتيه شقائه من آخر .

[محبة الأنبياء والصالحين]

اقبل نصحى وبادر قبل غلق بابه وباكر ، يغنيك عن كل مطعوم ومشروب وعن كل نسيم عاطر ، منها شرب آدم وناح عليها نوح ونشر زكريا بالمناشر ، وعرض الخليل على النار فما أحس بما هو إليه ساير ، وعاجل الشوق موسى فقال ﴿أرِنِى﴾ لعلى أرى المنظور فى الناظر ، وكم لداود من سكر أشواق وتلحين مزامر ، وهام عيسى فى البرارى لا يأوى على باد ولا حاضر ، شربها شرباً نبينا محمد – ﷺ – ﴿ألَسْتُ﴾ فأبقت فيه بقية أوجبت المدائح والمفاخر .

لك انفتح الكون فاختر هذا الشراب الطيب الطاهر ، قطرة من نهر الكوثر تروى منها فى ظمأ الهواجر ، دارت على الصديق والفاروق والسعيد إلى العاشر ، اجتمعوا لشربها فى الأول واجتمعوا لشربها فى الآخر ، ابقوا فى دنات المعانى بقايا الكرام فضل الأكابر ، صفت لأهل الصفة فصفت بشرابها السرائر ، فاخلع فى شربها العذاول فما لك إن خلعت من عاذل وإن لم تخلعه فمالك من عاذر ، وزمر واطرب وارقص فالكون كونك ومحبوبك حاضر من موضع السر عن سواه وإياك والخاطر الحاضر ، إن نظرت لغيره أبعدك ومالك أن بعدت من ناصح .

[نصـــيحة]

يامعشر الفقراء ، هذا سماعكم فأين من هو معى حاضر ، ياأرباب الأحوال معكم أتحدث ولكم أضف ولركبكم أساير ، يامعاشر التائبين أما يهون عليكم بذل المعصية لنيل هذا الجوهر المتأخر ، إن فاتك هذا السماع ولم تطرب فأنت فى برية المحرمات حائر .

[حقيقة المحبة]

قال أبو بكر الوراق : حقيقة المحبة مشاهدة المحبوب على كل حال فإن الاشتغال بالغير حجاب وأصله التسليم واليقين فإنهما يبلغان إلى درجات المتقين فى جنات النعيم . **وأنشدوا :**

أحبُّ الصالحين ولستُ منُهم وأطلب أن أنالَ بِهم شفاعة
وأكره من بِضَاعته المعاصى ولو كنّا سَواءً فى البضاعة

[ابتداء المحبة]

ويروى عنذىالنون المصرى أنه قال : بينما أنا فى بعض الفيافى والقفار أطوف وإذا بغلام قد انتقع لونه ونحل جسمه يتلألأ نور الخدمة بين عينيه ويتعلق أثار القبول من بين وجنتيه وعلى وجهه سمت الطاعة والمجاهدة وهيئة المؤانسة والمشاهدة وعليه طمران(١٨١) وعلى بدنه جبة صوف مفتقة الأكمام والذيول وعلى أحد كميه مكتوب ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾(١٨٢) وعلى الكم الآخر مكتوب ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾(١٨٣) وعلى ذيلها مكتوب « لا تباع ولا تشترى » وعلى صدرها

---

١٨١ – طمران : الطمر : الثوب الخَلِق البالى . [الوسيط (٢/٥٦٥)]

١٨٢ – سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

١٨٣ – سورة النور : الآية ٢٤ .

مكتوب «حب مولاى دوائى» فما رأيت من طمرين أنظف منهما فتهيأت لخطابه ثم دنوت منه بعد ساعة فقلت : السلام عليك ياعبدالله فقال : وعليك السلام ياذا النون فقلت : ومن أين عرفتنى يأأخى ؟ فقال : اطلعت حقائق الحق من ضميرى على مكتوب ضميرك فشاهد صفاء معرفتك فى غياهب غيوب همتك فتعاطفا وتعانقا فعرفنى أنك ذو النون المصرى[١٨٤] . فقلت له : يأأخى ما ابتداء المحبة ؟ فقال : ياذا النون محبوب بلا اختيار محبته بأيها محال ، فقلت له : يأأخى الزهد فى الدنيا طلب للعقبى ثم طلب للمولى فقال : ياذا النون الزهد فى مخلوق لطلب مخلوق آخر خسران وإنما يصلح الزهد فى الدنيا المخلوقة لطلب المولى الخالق ، ياذا النون ، صغرت همة عبد رضيت من محبوب قديم بجنة مخلوقة إنما معنى الزهد التجنب عن الأغيار وتتبع الأخيار ومشاهدة الأثار لوجود الملك الجبار فمن طلب الأغيار فمطلوبه مشهوده ، ومن طلب الجبار فمطلوبه محبوبه فالمخلوق إذا رضى بمخلوق مثله فالمشكلة مقصودة ، يأأخى ياذا النون ، الدون كل الدون والمغبون كل المغبون من هجر لذة الكرى[١٨٥] والهوى وأبغض طيب الدنيا ثم رضى بدون المولى وكد نفسه وهجر دنياه رهبة أن تكون النار مثواه أو رغبة أن تكون الجنة مأواه ، فقلت له : يأأخى ، تصيروني فى هذه الفيافى المقفرة والهالكة المقحطة بلا زاد فغضب ، وقال : يابطال ما هذا الاعتراض على من لم يطلعك على حاله ولا يأتمنك على سره ، أما أمرنا فى حال المأكول والمشروب فهكذا فوكز برجله اليمنى على الأرض فإذا بعين من سمن وعسل فأكل وأكلت معه ثم وكز الأرض برجله اليسرى فإذا بعين من الماء أحلى من العسل وأبرد من الثلج فشرب وشربت معه ورد الرجل عليها فعادت الأرض كما كانت كأن لم يكن بها شيء قط ثم ولّى عنّى وتركنى فبقيت باكياً ومما عاينت متعجباً .

١٨٤- هذا الكلام من شطحات الصوفية -أعاذنا الله منه- فكن على حذر منه واعرض كل ما تقرأه أو تسمعه على الشرع فإن وافقه فحذه وإن لم يوافقه فاضرب به عرض الحائط . لأن هذه الشطحات كثيراً ما عانيت منها ومن تردادها فى قريتى التى تعج بالصوفية من كل نوع فهذا شاذلى وهذا هاشمى وهذا عزائمى .. وهلم جرا ولا يملون مطلقاً من ترديد هذه الشطحات . فاللهم طهر بلاد المسلمين منهم يارب العالمين .

١٨٥- الكرى : النعاس والنوم . [الوسيط (٧٨٥/٢)]

الفصل الموفى للعشرين

[ياأسير الغفلة]

ياأسيراً فى قبضة الغفلة ، ياصريعاً فى سكرة المهلة ، ياناقض العهد انظر لمن عاهدت فى الزمن الأول ، أكثر العمر قد مضى وأنت تتعلل ، يامدعواً إلى نجاته وهو يتوانى ، ما هذا الفتور والعمر قد تدانى كأنك بالدمع يجرى عند الموت ضناناً .

يا أخى ما أحسن ما كنت فتغيرت ما أقوم حاجاتك فكيف تعثرت ، يامعشر المطرودين عن رفاق التائبين ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[١٨٦]

[كفران النعمة]

كان بعض الأغنياء كثير الشكر فطال الأمد فبطر[١٨٧] وعصى فما زالت نقمته ولا تغيرت حالته ، فقال : يارب تغيرت طاعتى وما تغيرت نعمتى فهتف به هاتف يقول : ياهذا إن لأيام الوصال عندنا حرمة وذماماً حفظناها نحن لك وضيعتها أنت لنا . وأنشدوا :

سَأَتْرُكُ ما بينى وبينكَ واقعاً ... فَإِنْ عِدتّ عُدنا والودادُ سليمُ
تُواصلُ قوماً لا وفاءَ بعهدهم ... وتَتْرُكُ مثلى والحفاظُ قديمُ

---

١٨٦ – سورة النمل : الآية ٧٥ .

١٨٧ – بطر : بطر النعمة أى استخفها فكفرها .

[الوسيط (٦١/١)]

[وصية لحاتم الأصم]

قال رجل لحاتم الأصم[188] –رحمه الله– أوصنى بشيء أتصل إلى باب الله سبحانه وتعالى فقد عزمت على سفر الحج فقال : ياأخى إن أردت أنيساً فاجعل القرآن أنيسك ، وإن أردت رفيقاً فاجعل الملائكة رفقاؤك ، وإن أردت حبيباً فالله سبحانه وتعالى يتولى قلوب أحبابه ، وإن أردت الزاد فاليقين بالله سبحانه وتعالى نعم الزاد ، واجعل البيت قبلة وجهك ، وطف بسرك حوله .

[خوف عطاء]

قال عطاء السليمى[189] لعمر بن يزيد السلمى[190] : أوصنى فقال : ياأباأحمد الدنيا بلاء فى بلاء مع هوى النفس ومقارنة الشيطان ، والآخرة بلاء فى بلاء مع المواقفة والحساب فيالها من نفوس مضمحلة فيما بينهما . فحتى متى تلهو وتلعب وملك الموت فى طلبك لا يغفل عنك والملائكة يكتبون عليك قال : فخرّ مغشياً عليه[191] .

١٨٨– حاتم الأصم : هو حاتم بن عنوان (وقيل ابن يوسف) أبو عبدالرحمن المعروف بالأصم : زاهد اشتهر بالورع والتقشف . له كلام مدون فى الزهد والحكم . من أهل بلخ زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل وشهد بعض معارك الفتوح مات (بواشجرد) سنة ٢٣٧ هـ . [الأعلام (١٥٢/٢)]

١٨٩ – عطاء السليمى من عباد البصرة من الطبقة الرابعة ، أدرك أيام أنس بن مالك ولقى الحسن ومالك بن دينار وخلقاً من تلك الطبقة وشغلته العبادة عن الرواية .
[صفة الصفوة (٣٢٥/٣ – ٣٣٠)]

١٩٠ – كذا بالأصل ولكنه ورد بحلية الأولياء (٢١٩/٦) ، وصفة الصفوة (٣٢٩/٣) باسم (عمر بن درهم) .

١٩١ – أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٢١٩/٦، ٢٢٠) وأورده أيضاً ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٢٩/٣) .

[بادروا بالدموع]

يامن صحيفته سوداء اغسلها بالدموع وتعرض لمجال المجتهدين وقل ضال ضل عن الطريق مقطوع، هذا مأتم الأحزان إلى أى وقت تدخر الدموع، هذا مجلس الشكوى هذا وقت الرجوع فبادروا إخوانى وافهموا أسرار المراد ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾[192] . وأنشدوا :

ما الذنبُ لى فيما مضى سالفاً ... الذنب للدهر وسوء القضا
فامنن وجد بالصفح عن مذنب ... معترف بالذنب فيما مضا
قد ظل من خوفك فى حيرة ... فى قلبه منك لهيب الغضا
إن كان لى ذنب فلى حرمة ... توجب لى منك جميل الرضا

[حكاية الأصمعى وعابدة]

قال الأصمعى : كنت ماراً بالبادية وإذا أنا بامرأة كأنها فلقة قمر فدنوت منها وسلمت عليها فأحسنت إلىّ الرد ثم قلت : ياجارية كلى بكلك مشغول فقالت فى الحال : كلى بكلك مبذول ولكن إن أعجبك حسنى فانظر خلفك فإنك ترى من هى أحسن منى فنظرت خلفى فما رأيت أحداً فصرخت علىّ وقالت: إليك عنى يا بطالى لما رأيتك من بعد حسبتك عارفاً لا عاشقاً، تدعى إلى محبتى وتنظر إلى غيرى وأنت لم تصل إلى قربى ثم ولت عنى ورمقت إلى السماء بطرفها ونادت : إلهى حب الوصال شردنى آه آه خوف القطيعة أزعجنى ، آه من الانفصال قبل الاتصال ، وجعلت تقول : حبى فى ذى القفار شردنى آه من المحب ثم آه، خوف فراق الحبيب أزعجنى آه من الخوف ثم آه ، شبه حالى بتاجر غرق ثم نجا من البحر ثم تاه .

[حكاية شيبان المصاب]

وقال سالم : بينما أنا سائر مع ذى النون المصرى فى جبل لبنان إذ قال لى : مكانك ياسالم حتى أعود إليك فغاب عنى ثلاثة أيام فى الجبال وأنا أطعم نفسى من

١٩٢- سورة غافر : الآية ٤٤ .

نبات الأرض وأسقيها من عدراها إذ طالبتني بشيء من القوت فلما كان بعد ثلاثة أيام عاد إليّ وهو متغير اللون ذاهب العقل فقلت له : هل عارضك السبع ياأبا الفيض ؟ فقال : دعني من تخويف البشرية إني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل فرأيت فيه رجلاً أبيض الرأس واللّحية أشعث أغبر نحيفاً كأنه خرج من قبره ذا منظرٍ يهول وهو يصلي فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال لي : الصلاة ، فلم يزل راكعاً ساجداً حتى صلى العصر واستند إلى حجر كان بإزائه وهو لا يكلمني فبدأته بالكلام وقلت له : يرحمك الله أوصني بشيء انتفع به وادع لي بدعوة فقال : يابني من آنسه الله سبحانه بقربه أعطاه أربع خصال :

عزاً من غير عشيرة . وعلماً من غير تعلم . وغنى من غير مال . وأنساً من غير جماعة .

ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام حتى ظننت أنه ميت فلما أفاق وقام وتوضأ من عين كانت إلى جنبه وسألني عما فاته من الصلاة فأخبرته فقضاه ثم قال لي :

إنَّ ذِكْرَ الحبيب هيّج قلبي ثم حب الحبيبِ أذهلَ عقلي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين وآنست بذكر رب العالمين ، انصرف عني بسلام . فقلت : يرحمك الله ، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة منك . فقال : أحب مولاك ولا تحب غيره ، ولا ترد بحبه بدلاً فالمحبون لله سبحانه تيجان العباد وأعلام الزهاد وهم أصفياء الله وأحباؤه ، ثم صرخ صرخة ووقع فحركته فإذا هو ميت فما كان إلا هنيهة وإذا بجماعة من العباد قد انحدروا من الجبل فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فسألتهم ما اسم هذا الشيخ الصالح فقالوا : شيبان المصاب . قال سالم : فسألت عنه أهل الشام فقالوا : نعم رجل مجنون خرج من أذى الصبيان . فقلت لهم : هل تعرفون من كلامه شيئاً ؟ قالوا : نعم كان إذا ضجر يقول : إذا أنا بك لم أجن ياسيدي فبمن أجن(١٩٣) - رحمه الله - .

١٩٣- أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٤٨/٤ - ٣٥٠) .

الفصل الحادى والعشرون

[خير أمة أخرجت للناس]

ياأخى ، لله در أقوام نعمهم مولاهم بقربه فحجبهم عن خطرات الوسواس ، حمى أقليم قلوبهم من غبار الشهوات من حمايته بحراس ، قبلوا أمره بالقبول ، وقاموا به على العينين والراس ، قدموا زاد الأعمال لسفر الموت وظلمة الأرماس(*)، بأفرس أبطال ميدان الدّجى لله درهم من أبطال وأفراس، خلع عليهم خلعة الرضا وناداهم مرحباً بالأحباب الأكياس ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾(١٩٤) **وأنشدوا** :

[حسن الظن]

يانفس توبى قبل أن ينكشف الغطا ... وأدعى إلى يوم النشور فأجذع
فلله عبد خائف من ذنوبه ... تكاد حشاه من أساه تقطعُ
إذا جنّه اللّيل البهيم رأيته ... وقد قام فى محرابه يتضرعُ
يُنادى بذل ياإلهى وسيدى ... وَمَنْ يهرب العاصى إليه ويفزعُ
قصدتُكَ فى سُؤْلى ومالى مشفع ... سوى حسن ظنّى حين أرجو وأطمعُ
فَجُدْ لِى بعفوٍ وامح ذنبى ونجّنى ... من النّار يامولى يضرُّ وينفعُ
بهذا ينال الملك والفوز فى غد ... ويجرى نعيماً دائماً ليس يقطع

[المراقبة والمعرفة]

وقف الفضل الجوهرى العالم فى الحرم متوجهاً إلى الكعبة وهو محرم ثم قال بأعلى صوته : ياتلفى بحتوف المراقبة والمعرفة ، ياقتلى بسيوف المؤانسة والمحبة ،

(*) الأرماس : مفرد رمس وهو القبر . [الوسيط (٣٧٢/١)]

١٩٤ - سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

ياحرق بنار الخوف والاشتياق ، وياغرق فى بحر المشاهدة والتلاق ، هذه ديار المحبوب فأين المحبون ، هذه أسرار القرب فأين المتنافسون ، هذه آثار الديار والربوع فأين القاصدون ، هذه ساعة العرض والاطلاع على الدموع فأين الباكون ، ثم شهق شهقة عظيمة وغشى عليه فأفاق بعد ساعة وهو يقول :

تَبَــــدّى لِنَاظِـــــرى بليــل الشوقِ خَاطـــرى
حاضرٌ غيـــــرُ غائبٍ سَاكــنٌ فى الضمائـــر

قال الراوى : فدنوت منه فقلت له : ياسيدى ما علامة المحبين لله ؟ قال : إن للمحبين فى ظلال الليل عند الله سبحانه بساطاً وبيهم وبينه انبساطاً شعلهم الأنس بمعبودهم عن لذة الكرى ، وقطعهم الشغل به عن جميع الورى ، ولا يؤثرون على مناجاته مناماً ، ولا يختارون على كلامه كلاماً ، عرفه من عرفه ، وذاقه من ذاقه ، واستأنس به من استطابه ، سبحانه من حكم بالفناء على الخلائق فتساوى عنده العبيد والملوك ، تفرد بالبقاء وتوحد بالقدم ، وصرف أقداره فى الملك بما يريد ، ظهر افتقار الكل إليه الصالح والطالح ، والقوى والرشيد ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١٩٥) .حواد شمل الكل عطاؤه ، فأين يفر العاصى ، ومن يجير العتيد ، كم جندل القضاء من زعيم ، وكم أدخل للحضرة من طريد ، ما أغفل أهل المعاصى عن قسمة العباد فمنهم شقى ومنهم سعيد . **وأنشدوا :**

إحدى وستون لَوْ مرتْ عَلَى حجرٍ لكان من حكمها أَنْ تَجلوَ الحْجَرَ
تُؤمل النفسُ آمالاً لتبلغها كَأَنّها ما تُرى وما يصنعُ القدر

[عبادة الغضائرى]

قال أبو إسحاق الجبلى : قدمت على علىّ بن عبدالحميد الغضائرى(١٩٦) فوجدته أفضل خلق الله عبادة وأكثرهم مجاهدة ، وكان لا يفرغ من صلاته آناء ليله ونهاره فانتظرت فراغه فلم أصبه ولا وجدته فقلت له : إنا قد تركنا الآباء

١٩٥ – سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

١٩٦ – على بن عبدالحميد الغضائرى : من عباد الطبقة السابعة من أهل الشام . حج ماشياً على قدمه أربعين عاماً . [صفة الصفوة (٤/٢٤٠، ٢٤١)]

والأمهات والأهلين والأوطان والبنين والبنات بالرحلة إليك فلو تفرعت ساعة تحدثنا بما أتاك الله من العلم فقال : أدركنى دعاء الشيخ الصالح سرى السقطى -رضى الله عنه- جئت إليه وقرعت عليه الباب فسمعته يقول قبل أن يخرج إلى مناجاته : اللهم من جاءنى يشغلنى عن مناجاتك فاشغله بك عنى فما رجعت من عنده حتى جئت إلى الصلاة والشغل بذكر الله تعالى فلا أتفرغ إلى شيء سوى ببركة ذلك الشيخ ، قال أبو إسحاق فرأيت كلامه يخرج من قلب حزين وهم كمين والدمع يسابقه -رحمه الله-(١٩٧) .

[أهل المحبة]

سبحان من ألف بحكمته بين لطائف الأرواح وكثائف الأشباح ، جعل الليل والنهار جناحى الأعمار يطيران للغناء بلا ريش ولا جناح ، سقى أرواح المحبين شراب المحبة فلله ما أحلاه من راح ، غنّى لهم فى مجالس أنسهم معيد الوجد فشربوا بالدنات لا بالأقداح ، زينوا روضة الدجى بأزهار التهجد ، واصطبحوا على الأذكار أى اصطباح ، فهم بين صبوح وغبوق(١٩٨) ، وبين ريحان ورواح ، قلوبهم فى قالب الابتلاء تنادى بلسان تصبرهم لا براح ، خلع عليهم خلعة الرضا وأجلسهم بين أفراح من الشوق وافتراح ، نظروا إلى الكون فما رأوا سواه ، فليس عليهم في هيمانهم جناح، تمشى بصائرهم نور معرفته فترنم عارفهم بألسنة من التوحيد فصاح . **وأنشدوا** :

يا أعـزَّ النَّـاسِ عِنْـدِى ... كيفَ حَتّى خُنْتَ عَهْدِى
سوفَ أَشْكُـو لَكَ حَالى ... فَعَسَى شَكْـوَاى تُجْـدِى
أَنْتَ مَوْلاَى تَرَانى ... وَدُموعِـى فَوقَ خَدِّى
أقطَـعُ اللّيـلَ أقَـاسِى ... ما أُقَاسِي فِيهِ وَحْـدِى

١٩٧-أورد هذا الأثر بنحوه الخطيب فى « تاريخ بغداد » (١٢/ ٢٩) ، وابن الجوزى فى « صفة الصفوة » (٤/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .

١٩٨- الغبوق : ما يشرب بالعشى .

[الوسيط (٢/ ٦٤٣)]

[علامة الولى]

قال ذو النون المصرى : عطشت فى بعض أسفارى عطشاً شديداً فعدلت إلى بعض السواحل أريد الماء فإذا أنا بشخص قد ائتزر بالحياء والإحسان وتدرج بدراع البكاء والأحزان قائم على ساحل البحر يصلى ، فلما سلَّم دنوت منه وسلمت عليه فقال : وعليك السلام ياذا النون قال : فقلت له : يرحمك الله ، من أين عرفتنى ؟ قال : اطلع أنوار شعاع المعرفة من قلبى على صفاء نور المحبة من قلبك فعرفت روحى روحك بحقائق الأسرار ، وألف سرى سرك فى محبة العزيز الجبار[199] .

قال : فقلت : ما أراك إلا وحيداً فقال : ما الأنس بغير الله إلا وحشة ، وما التوكل بغيره إلا ذل ، فقلت له : أما تنظر إلى تفطفط[200] هذا البحر ، وتلاطم هذه الأمواج ؟ فقال : ما بك من العطش أكثر من ذلك فقلت : نعم فدلنى على الماء بقرب منه فشربت ورجعت إليه فوجدته يبكى بتشهيق وزفير فقلت له : يرحمك الله ما يبكيك ؟ فقال : ياأبا الفيض إن لله عباداً سقاهم بكأس محبته شربة أذهبت عنهم لذة الكرى .

قال : فقلت له : دُلنى على أهل ولاية الله – يرحمك الله – قال : هم الذين أخلصوا فى الخدمة فاستخصوا بالولاية ، وراقبوا مولاهم ففتح لهم فى نور القلوب . قال : فقلت له : ما علامة المحب فقال : المحب لله غريق فى بحر الحُزن إلى قرار التحير ، قال : فقلت له : ما علامة المعرفة ؟ قال : العارف بالله لم يطلب مع معرفته جنّة ولا يستعيذ من نار فعرفه له ولم يعظم سواه معه ، ثم شهق شهقة عظيمة فخرجت روحه ، فواريته فى الموضع الذى مات فيه وانصرفت عنه – رحمه الله –.

---

١٩٩ – «عادت لعكرتها لميس» فهذا مما أشرنا إليه آنفاً وعلقنا عليه فى حينه من ذكر هذه الشطحات الصوفية – فالله المستعان !!!

٢٠٠ – تفطفط : الصوت غير المفهوم – والمعنى هياج البحر . [اللسان (٣٧٢/٧)]

الفصـــل الثانى والعشرون

[الطهارة من الذنوب]

ياأخى لا تغسل أدناس الذنوب إلا بماء المدامع ، لا ينجو من قتار المعصية إلا من يسارع ، أحضر قلبك ساعة عساه بنائحة الموعظة يراجع ، كم لى أتلو عليك صحف الموعظة وما أظنك سامع ؟! لكن يوم المعصية ما أنحسه من طالع ، ويوم الطاعة مختار وكل سعد فيه طالع ، اطلب ويحك رفاق التائبين وجدد رسائلك للحبيب فطالع ، مصباح التقوى يدل على الجادة ، وكم فى ظلمة الغفلة من قاطـع ! ابك –ويحك– على موت قلبك وعمى بصيرتك وكثرة الموانع ، إذا لم يعظك الدهر والشيب والضعف فما أنت صانع ، فبالله ياإخوانى بادروا بالمتاب وراجعوا أنفسكم قبل يوم الحساب .

ما اعتذارى وأمر ربى عصيتُ ... حتّى تبدى صحائفى ما أتيتُ

ما اعتذارى إذا وقفتُ ذليلاً ... قَدْ نهانى ما رآنى اشتهيتُ

ياغنيـاً عَن العبـادِ جميعاً ... وعليماً بكل ما قَدْ سعيتُ

ليس لى حجةٌ ولا لى عذرٌ ... فاعفُ عن زلتى وما قد جنيتُ

[فضيلة الاعتذار]

قال على بن يحيى : صحبت شيخاً من عسقلان سريع الدمعة ، حسن الخدمة ، كامل الأدب ، متهجداً بالليل متنسكاً بالنهار وكنت أسمع أكثر دعائه الاعتذار والاستغفار فدخلنا يوماً فى كهوف جبل اللكام وغيرانه(*) فلما أمسى رأيت أهل الجبل وأصحاب الصوامع يهرولون إليه ويتبركون بدعائه فلما أصبح وعزم على الخروج قام أحدهم وقال : عظنى فقال : عليك بالاعتذار فإنه إن قبل عذرك

(*) غيرانه : أى جحوره . [لسان العرب (٥/٣٥)]

ما فعل الله بك ؟ فقال : حبيبى من لا يعتذر إليه مذنب فيخيب ظنه ، ويقبل عذره ، قبل الله عذرى وغفر ذنبى وشفعنى فى أصحاب اللكام .

لا شيءَ أعظمُ من ذَنبى سوى أملى ... فى حسنِ عَفْوِكَ عَنْ جرمى وعَنْ عملى
فَإِنْ يكن ذا ودٍ فالذنب قد عظما ... فأنت أعظم من ذنبى ومن زللى

[أسرار الصلاة]

ويروى عن يوسف بن عاصم(٢٠١) أنه ذكر له عن حاتم الأصم أنه كان يتكلم مع الناس فى الزهد والإخلاص ، فقال يوسف لأصحابه : اذهبوا بنا إليه نسأله عن صلاته إن كان يكملها وإن لم يكملها نهيناه عن ذلك ، قال : فأتوه ، وقال له يوسف : ياحاتم ، جئنا نسألك عن صلاتك فقال له حاتم : عن أى شيء تسألنى -عافاك الله عن معرفتها ؟ أو عن آدابها ؟ فالتفت يوسف إلى أصحابه وقال لهم : زادنا حاتم مالم نحسن أن نسأله عنه ثم قال لحاتم : نبتدأ بآدابها ، فقال لهم : تقوم بالأمر وتمشى بالاحتساب وتدخل بالسنة وتكبر بالتعظيم وتقرأ بالترتيل وتركع بالخشوع وتسجد بالخضوع وترفع بالسكينة وتشهد بالإخلاص وتسلم بالرحمة قال يوسف : هذا التأديب فما المعرفة-؟ قال : إذا قمت إليها فاعلم أن الله مقبل عليك فاقبل على من هو مقبل عليك ، واعلم بأن جهة التصديق لقلبك أنه قريب منك قادر عليك فإذا ركعت فلا تأمل أن ترفع ، وإذا رفعت فلا تأمل أن تسجد ، وإذا سجدت فلا تأمل أن تقوم ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك فإذا فعلت فأنت مصل فالتفت يوسف إلى أصحابه وقال : قوموا نعيد الصلاة التى مضت من أعمارنا(٢٠٢) .

---

٢٠١ - كذا بالأصل «وبصفة الصفوة» لابن الجوزى ولكن أبو نعيم فى «الحلية» أورده باسم (عصام بن يوسف) . [حلية الأولياء (٧٤/٨)]

٢٠٢ - أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٧٤/٨) ، وابن الجورى فى «صفة الصفوة» (١٦١/٤) .

[بادروا إلى الصلح]

يامهان القلب أى شيء تنفع حياة البدن إذا لم تفرق بين القبيح والحسن ، سلبك المشيب من الشباب فأين البكاء وأين الحزن ، إذا كان القلب خراباً عن التقوى فما ينفع البكاء فى الزمن ، ياقتيل الهجران هذا أوان الصلح ، بادر عسى يزول الغبن .

وقال عاصم بن محمد : كان لى معامل يهودى فرأيته بمكة متضرعاً مبتهلاً فأعجبنى حسن إسلامه [فسألته عن ذلك][٢٠٣] فقال : قدمت إلى أبى إسحاق إبراهيم الآجرى النيسابورى[٢٠٤] وهو يوقد فى تنور الآجرأطلب دينا كان لى عليه فقال لى : أسلم واحذر ﴿ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[٢٠٥] ، فقلت : لا بأس عليك ياأبا إسحاق فأنت أيضاً فيها قال : فعسى تعنى قوله سبحانه ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٢٠٦] الآية . فقلت : نعم . فقال لى : أعطنى ثوبك ، فأعطيته إياه ، فلف ثوبى فى ثوبه ثم رمى بهما فى التنور[٢٠٧] وصبر ساعة طويلة ثم قام واجداً شاهقاً باكياً ودخل فى الأتون[٢٠٨] (يعنى مستوقد النار) وهى تتأجج لهيبها وزفيرها ، وأخذ الثياب من وسط النار وخرج على الباب الآخر فهالنى[٢٠٩]

٢٠٣- ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه .

٢٠٤- أبو إسحاق إبراهيم الآجرى النيسابورى قال عنه ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» لا يعرف اسم أبيه اهـ (٢/٢٣٤) وقال أبو نعيم فى «الحلية» (١٠/٢٢٣) : هو أبو إسحاق الآجرى إبراهيم ، بغدادى ، وله كرامات لطيفة . اهـ.

وهذا الأثر ورد بنحوه بحلية الأولياء (١٠/٢٢٣) ، وصفة الصفوة (٢/٢٣٤) .

٢٠٥- سورة التحريم : الآية ٦ .

٢٠٦- سورة مريم : الآية ٧١ .

٢٠٧- التنور : الفرن يخبز فيه . [الوسيط (١/٨٩)]

٢٠٨- الأتون : الموقد الكبير . [الوسيط (١/٤)]

٢٠٩- هالنى : أفزعنى وأخافنى وأرعبنى . [الوسيط (٢/١٠٠٠)]

- ذلك من فعله فهرولت إليه متعجباً وإذا بالرزمة صحيحة كما كانت فحلها فإذا هي بثيابي احترقت كأنها فحمة فى وسط ثيابه وثيابه صحيحة لم تمسها النار ثم قال : يامسكين ، هكذا يكون ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾(٢١٠) فأسلمت على يديه فى الحال وهذا ما رأيت من أحوال الرجال .

[جدوا قبل الرحيل]

لله در أقوام ملأ(٢١١) قلوبهم بأنوار الحكمة والرشاد ، وحرّك ساكن وجدهم فتمايلهم كالغصن المياد ، صفت زجاجة أرواحهم وراق لهم شراب وجدهم وطاب لهم سماع الإنشاد ، أدار عليهم حميا الحماية فألفت عيونهم السهاد ، فمنهم سكران ونشوان وكل أيامهم بمحبوبهم أعياد ، مَدَّ عليهم أطناب ليل الخلوة غيرة من رقيب الرقاد ، فهم يتشاكون الأشواق بنفس تلف فى محبته أو كاد ، والمحروم نهاره فى الشقاء وليله فى النوم وعمره فى نفاد ركب مركب القضا للمحنة ففى أصل تركيبه فساد ضيع أيامه فى الغفلة وفى الكبر يبكى على فائت لا يعاد فيا معشر المذنبين جدوا قبل الرحيل عن الأجساد .

[عابد فى مفازة]

قال يوسف بن الحسن : كنت أسير فى طريق الشام إذ عرض إلىّ عارض فعدلت عن الطريق فهالتنى المفازة فبدت لى صومعة فدنوت منها وإذا براهب قد أخرج رأسه منها فأنست به فلما دنوت منه قال لى : ياهذا ، تريد موضع صاحبكم ؟ قلت : ومن صاحبنا ؟ قال : رجل فى هذا الوادى على دينكم متخل عن فتنة الأقران منفرد بنفسه فى ذلك المكان ، واشوقاه إلى حديثه فقلت له : وما الذى يمنعك عنه وأنت على قرب منه ؟ فقال : أصحابى أقعدونى فى هذا الموضع

٢١٠- سورة مريم : الآية ٧١ .

٢١١- كذا بالأصل ولعلها ملئت .

وأنا أخشى على نفسى القتل منهم ولكن إذا مضيت إليه فأقرأه منى السلام واسأله لى الدعاء . قال : فمضيت إليه وإذا برجل قد اجتمعت إليه الوحوش فلما رآنى قرب منى وكنت أسمع جلبة عظيمة للقوم ولا أرى أحداً منهم فسمعت قائلاً يقول : من هذا البطال الذى وطء محل العاملين فرأيت رجلاً منكساً رأسه مسترسلاً فى كلامه تعلوه هيبة ووقار شديد فسمعته يقول لك الحمد على ما وهبت لى من معرفتك وخصصتنى به من محبتك ، لك الحمد على آلائك وعلى جميع بلائك ، اللهم ارفع درجتى إلى درجات الأبرار للرضاء بحكمك وانقلنى إلى درجة الأخيار ، ثم صاح صيحة عظيمة ثم قال : آه من لى بهم وخرّ مغشياً عليه ، فلم يتحرك لسانى هيبة له فلما أفاق من غشيته قال لى : سرْ زودك الله التقوى ، وسار عنّى وتركنى .

[الفصل الثالث والعشرون]

[يامن سوف بالمتاب حتى شاب]

يامن سوف بالمتاب حتى شاب ، يامن ضيع فى الغفلة أيام الشباب ، يامطرود بذنوبه عن الباب ، إذا كنت فى الشباب غافلاً ، وفى المشيب مسوفاً متى تقف بالباب ، كم عوملت على الوفا ما هكذا فعل الأحباب ، الظاهر منك عامر والباطن ويحك خراب ، كم عصيان ، كم مخالفة ! كم رياء ، كم حجاب !، ولّى طيب العمر فى الخطايا ، ترى متى تعود إلى الصواب ، ما بعد الشيب لهو ، كيف يجمل بالشيخ النضاب ، أنت لو قَدّمْتَ فى متقادم عمرك الطاعة لخفف عنك الحساب ، كيف والعمر ولّى فى الغفلة لا فى طلب الإجاب ، إذا أنذرك المشيب بالرحلة ولم تقدم الزاد ماذا يكون الجواب ، ليت شعرى أهل المعاصى كيف عيشهم يطيب ﴿ولَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مّكانٍ قَرِيبٍ﴾[٢١٢] .

[حكاية بعض الشباب مع محمد بن واسع]

ويروى أن محمد بن واسع[٢١٣] رأى شباباً فى المسجد وقد خاضوا فى بحر الغفلة والضلالة فقال لهم : أيجمل بأحدكم أن يكون له حبيب فيخالفه ليفوز به غيره ؟ فقالوا : لا . فقال : أنتم قعود فى بيت الله تخالفون أمره وتغتابون الناس

٢١٢- سورة سبأ : الآية ٥١ .

٢١٣- محمد بن واسع بن جابر الأزدى ، أبو بكر : فقيه ورع ، من الزهاد . من أهل البصرة . عرض عليه قضاؤها ، فأبى وهو من ثقات أهل الحديث ، قال الأصمعى : لما صافّ قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع فقيل هو ذاك فى الميمنة ينضض بأصبعه إلى السماء ، قال : تلك الأصبع أحب إلىَّ من مئة ألف سيف ! توفى ١٢٣ هـ . [الأعلام (١٣٣/٧)]

فقالوا : قد تبنا . فقال : ياأولادى ، هو ربكم وحبيبكم فإذا عصيتموه وأطاعه غيركم خسرتموه أنتم وربحه غيركم ، أو لا يضرُّكم ذلك ؟ قالوا : نعم . فقال : ومن خالفه وربما لو عاقبه أفلا تغيرون على شبابكم كيف يعاقب بالنار والعذاب وعيركم يفوز بالجنة والثواب ؟ قالوا : نعم ، فتابوا وحسن رجوعهم إلى الله تعالى .

وأنشدوا :

أَلَا فَاسْلُكْ إلى المولى سَبِيلا ... ولا تَطْلُبْ سِوى التّقوى دَلِيلا

وَسِرْ فيها بِجِدٍ وانْتِهَاض ... تَجِدْ فيها المُنَى عَرْضًا وَطُولَا

وَلَا تَرْكَنْ إلى الدُّنيا وَعَوِّلْ ... عَلَى مولاكَ واجعلْه وكِيلا

وإنْ أحببتَ أن تعز عزاً يدوم ... فَكُنْ لَهُ عَبْداً ذليلا

وواصلْ مَنْ أنابَ إليهِ واقْطعْ ... وِصَالَ المُسْرِفِينَ تَكُنْ نَبِيلا

ولا تُفْنِي شَبابكَ واغْتَنِمْهُ ... وَمثِّلْ بينَ عَينيكَ الرَّحِيلا

ولا تَصَلِ الدُّنَا واهْجُرْ بَنِيها ... عَلَى طَبقاتِهم هَجْراً جَميلا

وعَاملْ فيهمُ المولَى بِصدقٍ ... يَضَعْ لكَ فى قلوبهم القُبولا

[حكاية حمدونة العابدة]

قال يزيد بن الحباب : مررت بحمدونة المجنونة وهى قاعدة على قارعة الطريق وعليها جبة صوف مكتوب بين كتفيها هذا البيت مفرد :

سَلَبَ الرُّقَادُ عَنِ الجفونِ تَشَوُّقِى ... فَمتَى اللُّقَا يَاوَارِثَ الأَمْوَاتِ

قال : فسلمت عليها فردت علىَّ السلام فقالت : ألست أنت يزيد بن الحباب ؟ قلت لها : نعم فبم عرفتينى ؟ قالت : اتصلت المعرفة فى الأسرار فعرفتك بتعريف الملك الجبار(٢١٤) . ثم قالت لى : أسألك ؟ قلت : اسألى ، قالت : ما هو السخاء ؟ قلت : البذل والعطاء ، قالت : هذا هو السخاء فى الدنيا ، وما هو السخاء فى الدين ؟ قلت لها : المسارعة إلى طاعة الله ، قالت : يزيد منه خيراً ؟

٢١٤- « عادت لعكرتها لميس » مخالفة شرعية أخرى وكأن هده المخالمة الشرعية أصبحت سمة عامة من سمات قصص هؤلاء المتصوفة هدانا الله وإياهم .

قلت : نعم بالواحدة عشرة أمثالها ، قالت : يايزيد آه آه ليس هذا مسارعة إنما المسارعة إلى طاعة الله أن لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئاً بشيء ثم أنشأت تقول هذين البيتين :

حَسْبُ المُحب من الحبيبِ بِعلْمِه ... أَنَّ المُحِبَّ بِبَابِهِ مَطْرُوحُ
فإذا انقلب فى الدّنيا ففؤاده ... بِسهامِ لَوْعاتِ الهَوى مجروحُ

[عاقبة ترك الشهوة]

ويروى عن الحسن البصرى -رضى الله عنه- أنه قرأ : ﴿**واتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نفسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[٢١٥] فقال : هده موعظة وعظ الله بها المسلمين وذلك أن الحوراء تقول لولى الله وهو متكىء على نهر العسل وهى تعطيه الكأس وهما فى نعيم وسرور : أتدرى ياحبيب الله متى زوجنيك الله لى ؟ فيقول : لا أدرى ، فتقول : نظر إليك فى يوم صائفٍ ، بعيد ما بين الطرفين وأنت فى ظمأ الهواجر ، فباهى بك الملائكة ، وقال : انظروا ياملائكتى إلى عبدى ، ترك شهوته ولذته وزوجته وطعامه وشرابه رغبة فيما عندى أشهدكم أنى قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

[الأنس بحب الله]

. لله در أقوام لاطفهم بأنسه فتقرّبوا إليه بقلب سليم ، أذاقهم حلاوة مناجاته فكل منهم بحبه يهيم ، أسكن قلوبهم حبه فليلهم بالأشواق ليل سليم ، طهرها من الهوى فحبُّ الدنيا عنها راحل وحب الآخرة مقيم ، على كل حال لا يعرفون سواه ، فأهلاً به من تنعم ، وأهلاً به من نعيم .

٢١٥- سورة البقرة : الآية ٢٨١ .

لِلصَّالِحينَ كَرَامَاتٌ وأَسْرَارُ ... لَهم من الله تَخْصيصٌ وآثارُ
صَفَتْ قُلوبهمُ لله واتَّصفتْ ... بالصدق وانكشفتْ بالنُّورِ أنوارُ
واسْتغرقتْ كلَّ وَقْتٍ مِنْ زَمَانهم ... فى طَاعةِ الله أورادٌ وأذكارُ
صَاموا النَّهارَ وَقَاموا الليلَ ما سَئِمُوا ... حَتّى تعزتْ عَن الظَّلْمَاءِ أسحارُ
خَلوا به ورواق الليلِ منسدلٌ ... حَتّى لهم قد تَجلتْ منهُ أنوارُ
طُوبى لَهم فَلقدْ طَابتْ حَيَاتِهم ... وشرفتْ لَهمك فى النَّاس أَقْدارُ
فَازُوا من الله بالزُّلْفَى وأَسْكَنَهم ... جَنَّاتِ عدنٍ فَنِعْم الدَّارُ والجارُ

[كرامات ابن أدهم]

يروى عن إبراهيم بن أدهم[٢١٦] – رضى الله عنه – أنه كان على بعض جبال مكة يحدث أصحابه فقال : لو أن ولياً من أولياء الله تعالى قال لهذا الجبل زل لزال فتحرك الجبل فضربه إبراهيم برجله وقال له اسكن إنما ضربتك مثلا لأصحابى[٢١٧] .

وروى عنه أيضاً أنه ركب البحر فتحرك ريح عاصف فوضع إبراهيم رأسه ونام فقال أصحابه : أما ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : أو هذه شدة ؟ قالوا : نعم . قال : لا وإنما الشدة الحاجة للناس ثم قال : إلهى أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فصار البحر كأنه قدح زيت[٢١٨] .

---

٢١٦ – إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمى البلخى أبو إسحاق : زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة – كان يعيش من عمله بالحصاد والطحن وغيره – اشترك مع الغزاة فى قتال الروم . كان يصوم فى السفر والإقامة ، وأخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف فى نسبته ومسكنه ومتوفاه ولعل الراجح أنه مات ودفن فى سوفن (حصن من بلاد الروم) كما فى تاريخ ابن عساكر . توفى سنة ١٦١ هـ . [الأعلام (١/٣١)]

٢١٧ – أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٨/٤) .

٢١٨ – أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٨/٥) .

وعنه أيضاً أنه كان فى بعض الطرق مع أصحابه فتعرض لهم أسد فقال له أصحابه : ياإبراهيم هذا السبع قد ظهر لنا فقال : أرنيه فلما نظر إليه إبراهيم قال : ياقسورة إن كنت أمرت بشيء فامض لما أمرت به وإلا فتنح عنا قال : فضرب الأسد بذنبه وولى هارباً فتعجبنا منه حين فقه كلام إبراهيم بن أدهم[٢١٩] .

٢١٩- أورد هذا الأثر أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٨/٤) .

الفصـــل الرابع والعشرون

[ياراحلاً بلا زاد والسفر بعيد]

ياراحلاً بلا زاد والسفر بعيد ، العين جامدة والقلب أقسى من الحديد ، من أولى منك بالضراء وأنت تغرق فى بحر المعاصى فى كل يوم جديـد ! ما أيقظك الشباب ولا أنذرك الاكتهال ولا نهاك المشيب ، ما أرى صلاحك إلا بعيد ، فديت أهل العزائم لقد نالوا من الفضل المزيد ، طووا فراش النوم فلهم بكاء وتعديد ، دموعهم تجرى على خدودهم خددت فى الخدود أى تخديد ، ما أنت من أهل المحبة ولا من العشاق ياقليل الهمة ياطريد !

لِأَمر مَا تَغَيَّـرَت اللَّيالِـــى ... وَأَنت عَلَى البِطَالَةِ لَا تُبَالِى
تَبِيتُ مُنَعَّمَاً فِى خَفْض عَيْشٍ ... وَتُصْبِحُ فى هَوَاكَ رَخِيَّ بالى
أَلَـمْ تَرَ أَثْقَال الخَطَايـــا ... عَلَى كَتفيكَ أَمْثَال الجبال
أَتكسبُ مَا اكْتَسَبْتَ ولا تُبالى ... فهَلْ هَوَ مِنْ حَرام أَوْ حَلَالَ
إِذَا ما كنتُ فى الدُّنيا بَصيراً ... كَفَفْتَ النَّفْسَ عن طَرقِ الضَّلالِ
أَلَا بِأَبِى خليل بَاتَ يُحيى ... طَويلَ اللّيل بالسَّبْع الطُّوَالِ
بقلبٍ لا يفيقُ عن اضطرابٍ ... وجفن لا يَكفُّ عنَ انْهِمَال
أَرَى الأيامَ تَنقِلُنَا وَشِيكاً ... إِلَى الأجداث حَالاً بَعْدَ حَالَ
إِذَا كَانَ المصيرُ إِلَى هَلاكٍ ... فَمَالِى والتَّنعـمُ ثُمَّ مَالِـىَ
أَمَا لى عبْرَةٌ فيمنْ تَفَانَى ... مِن الأَيَّام من عَمٍّ وَخَالِـى
كَأَنَّ بُنُوتِى قَدْ قُمنَ خَلْفِى ... ونَعْشِى فوَقَ أَعنَاق الرِّجَال
يُعَجِّلْنَ المصيرَ ولَسْتُ أدرى ... لدارِ الفوزِ أَمْ دارَ النَّكَالَ
يَبِيدُ الكُلُّ مِنَّا دُونَ شَكٍ ... وَيَبْقَى اللهُ رَبِّى ذُو الجَلَالَ

[تواضع داود وخوفه]

يروى عن رجل من أصحاب داود الطائى أنه قال : دخلت على داود فقال لى : ما حاجتك ؟ قلت : زيارتك . فقال : أما أنت فقد عملت خيراً حين زرتنا ولكن انظر ماذا ينزل إذا قيل لى : من أنت فتزار من العباد أنت ؟! لا والله ، أمن الزهاد أنت ؟! لا والله ، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشباب فاسقاً وفى الكهولة مداهناً فلما شخت صرت مرائياً لا والله إن المرائى أشر من الفاسق وجعل يقول : ياإله السماء والأرض هب لى رحمة من عندك تصلح شبابى وتقينى من سوئى وتُعلى فى أعلى مقامات الصالحين مقامى .

[مقامات الرجال وكراماتهم]

اسمع ياأخى مقامات الرجال وكرامات ذى الأحوال الذين اختصهم مولاهم وحباهم بالأفضال .

[حكاية شيبان الراعى[٢٢٠]]

وعن عبدالله بن عبدالرحمن قال : حج سفيان الثورى[٢٢١] مع شيبان الراعى فتعرض لهم أسد فى بعض الطرق فقال له سفيان : أما ترى هذا الأسد

---

٢٢٠ – شيبان الراعى : هو أبو محمد الراعى من عباد البرارى والفلوات ، كان فى العبادة فائقاً وبالتوكل على ربه عز وجل واثقاً وكان يعيش فى زمن الخليفة العباسى هارون الرشيد . [حلية الأولياء (٣١٧/٨)] ، [وصفة الصفة (٣٧٦/٤)]

٢٢١ – سفيان التورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، ومن مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى أن يلى الحكم فأبى وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة . ثم طلبه المهدى ، فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » كلاهما فى=

كيف قطع علينا الطريق وأخاف الناس ؟ قال شيبان : لا تخف ، فلما سمع الأسد كلام شيبان بصبص إليه ، وأخذ شيبان بأذنه ففركها فبصبص وحرَّك ذنبه ، وولى هارباً فقال سفيان : ما هذه الشهرة ياشيبان ؟! قال : أو هذه شهرة ياسفيان ؟! لو أردت الشهرة لوضعت زادى على ظهره حتى آتى مكة(٢٢٢) .

[كرامة لسفيان الثورى]

يروى عن عبدالرحمن بن أبى عباد المكى أنه قال : قدم علينا شيخ يكنى بأبى عبدالله ، قال : أقبلت فى السحر إلى بئر زمزم ، وإذ بشيخ قد سدل توبه على وجهه وأتى البئر واستسقى ، قال : فقمت إلى فضلته فشربت منها فإذا هو ماء مضروب بعسل لم أذق ماء قط أطيب منه ، فالتفت وإذا بالشيخ قد دخل من باب المسجد قد سدل ثوبه على وجهه فأتى البئر واستسقى فشرب ، وخرج ، فقمت إلى فضلته فإذا هو سويق ألذ ما يكون فلما كان فى الليلة التالثة أتى البئر أيضاً واستسقى فأخدت طرف ملحفته ولفقته على يدى ثم شربت فضلته فإذا هو لبن مضروب بسكر لم أذق قط أطيب منه فقلت : ياشيخ ، بحق هذا البيت عليك من أنت ؟ قال : تكتم علىّ . قلت : نعم . قال : أنا سفيان الثورى .

[المفلس من الطاعة]

لله در أقوام أفناهم شهوده عن وجودهم فحالهم يسوق ، شوقهم مستديم ، اقطعهم أقليم الكرى ما أبعده من أقليم ا، حماهم عن الأغيار غيرة عليهم وخلع عليهم حلل الرضا والتسليم ، وسقاهم مدام الإلهام فياله من مدام وياله من نديم ، أسبل على العاصى سترة ليعود إلى بابه الكريم ، تقرب برحمته للمذنبين ليسكن روع المفلس من الطاعة القديم ، أرسل إليه رسالة اللطف على يدى رسول

=الحديث، و« الفرائض » وكان آية فى الحفظ ولابن الجورى كتاب فى مناقبه . ولد سنة (٩٧هـ) وتوفى سنة (١٦١هـ) . [الأعلام (٣/١٠٤، ١٠٥)]

٢٢٢ – أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٣٧٧/٤)

كريم ﴿قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢٢٣] . وأنشدوا :

أَلَا قِفْ بِبَابِ الجودِ واقْرَعْهُ نَادِماً ... تَجده مَتى جئته غير مُرْتَجِ
وقُلْ : عَبْدُ سوءٍ خَوَّفَتْهُ ذُنُوبُهُ ... فَمدّ إليكمْ ضَارِعَاً كَفَّ مُرتَجِى

[كرامة أبى ريحانة]

ويروى عن أبى ريحانة[٢٢٤] صاحب النبى -ﷺ- أنه ركب البحر فكان يخيط فى السفينة فسقطت إبرته فقال : أعزم عليك يارب ألا رددت علىّ أبرتى فظهرت له حتى أخذها بيده . قال : واشتد عليهم البحر فقال له اسكن إنما أنت عبد حبشى فسكن حتى صار مثل الزيت[٢٢٥] .

---

٢٢٣ - سورة الزمر : الآية ٥٣ .

٢٢٤ - بالأصل (ريحانة) والصواب ما أثبتناه (أبو ريحانة) .

وأبو ريحانة هو عبدالله بن مطر [وقيل اسمه شمعون] وهو من الأزد وكان يقص بإيليا وكانت له كرامات وآيات وهو صحابى جليل . [انظر أسد الغابة (٢٨٧/٣)]

٢٢٥ - هذان الأثران أوردهما ابن الأثير الجزرى فى «أسد الغابة» (٢٨٧/٣) وقال : أخرجه ابن مندة وأبو نعيم .

الفصـــل الخامس والعشرون

[أفنيت عمرك فى اللعب]

يا أخى أفنيت عمرك فى اللعب وغيرك فاز بالمقصود ، وأنت منه بعيد ، غيرك على الجادة وأنت من الشهوات فى أوحال وتنكيد ، وترى متى يقال فلان استقال ورجع ؟ ياله من وقت سعيد ، متى تخرج الهوى وترجع إلى مولاك العزيز الحميد ! يامسكين لو عانيت قلق التائبين وتمهل الخائفين من هول الوعيد، جعلوا قرة أعينهم فى الصلاة والزكاة والزهد والتزهيد وأهل الحرمان ضيعوا التشباب فى الغفلة ، والشيب فى الحرص والأمل المديد ، لا بالشباب أشفقت ولا عند المتشيب ارتجعت ، ياضيعة الشباب والمشيب ، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾(٢٢٦) . وأنشدوا :

عملتُ على القبائح فى شَبَابِى فَلَمّا شِبْتُ عُدتُ إلى الرِّيَاءِ
فَلَا حينَ الشبابِ حَفظتُ دِينى ولا حِينَ المشيبِ طيبتُ دَائِى
فَشابٌ عندَ مصغره غوى وشيخٌ عند مكبره مُرائِى
قضاءٌ سابقٌ فى عِلمِ غيبه فَيَاللهِ مِن سُوءِ الـــقضاءِ

[ياحذيفة كيف أصبحت]

يروى فى بعض الأخبار أن عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– لقى حذيفة ابن اليمان وهو يومئذ أمير المؤمنين فقال لحذيفة : كيف أصبحت ياحذيفة ؟ قال : أصبحت ياأمير المؤمنين أحب الفتنة وأكره الحق وأقول بما لم يخلق وأشهد بما لم أرى وأصلى بلا وضوء ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء فغضب عمر لذلك غضباً شديداً وهمَّ أن يبطش به ثم تذكر صحبته من النبى –ﷺ– فأمسك فهو

٢٢٦– سورة سبأ : الآية ٥١ .

كذلك إذ مر به على بن أبى طالب –رضى الله عنه– فرأى الغضب فى وجهه فقال : ما أغضبك يا أمير المؤمنين فقصّ عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين لا يغضبك ذلك أما قوله إنّه يُحبُ الفتنة فهو تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢٢٧) وأما قوله يكره الحق فالحق هو الموت الذى لابد منه ولا محيص عنه ، وأما قوله ويقول بما لم يخلق فهو يقرأ القرآن والقرآن غير مخلوق ، وأما قوله ويشهد بما لم يز فإنه يصدق بالله ولم يره ، وأما قوله يصلى بغير وضوء فإنه يصلى على النبى –ﷺ– بغير وضوء ، وأما قوله إن له فى الأرض ما ليس لله فى السماء فإن له زوجة وبنين وليس لله شيء من ذلك فقال عمر : لله دَرُّك يا أبا الحسن لقد كشفت عَنّى همّاً عظيماً(٢٢٨) .

[الهارب من الدنيا]

وروى أن رجلاً من أهل دمشق يسمى بأبى عبد ربه وكان أكثر أهل دمشق مالاً وأنه خرج مسافراً ، إذ أمسى إلى جانب نهر ومرعى فنزل فيه ، فسمع صوتاً يكثر حمد الله فى ناحية المرج ، قال : فاتبعته فوجدته رجلاً ملفوفاً فى حصير . قال : فسلمت عليه وقلت له : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا رجل من المسلمين فقلت له : فما هذه الحالة ؟ قال : نعمة يجب علىّ شكرها . فقلت له : كيف وأنت ملفوف فى حصير ، وأى نعمة عليك ؟ قال : إن الله خلقنى فأحسن خلقى وجعل نشأتى ومولدى فى الإسلام وألبسنى العافية فى أركانى وستر على ما أكره ذكره فمن أعظم نعمة ممن أمسى فى مثل ما أنا فيه ؟! فقلت : رحمك الله لعلك أن تقوم معى إلى منزلى ، فإنا نزول على النهر ههنا بإزائك ، قال : ولم ؟ قلت : لتصب شيئاً من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير ، قال : مالى فى ذاك من حاجة فأبى أن يمشى معى ، فانصرفت وقد تصاغرتْ عندى نفسى ومقتها ، وقلت : لم أخلف بدمشق أحداً أكثر منّى مالاً وأنا التمس الزيادة ،

٢٢٧– سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

٢٢٨– أورده المصنف بصيغة التضعيف .

فقلت : اللهم إنى أتوب مما أنا فيه ، فتبت ولم يعلم أحد بما اجتمعت عليه فلما كان فى السحر رحل الناس وقدموا إلى دابتى فصرفتها إلى دمشق وقلت : ما أنا بصادق فى التوبة إن أنا مضيت إلى متجرى ، فسألنى القوم فأخبرتهم فعاتبونى على المشى معهم فأبيت ، فلما قدم على دمشق قال ناقل الحديث : فوضع يده فى ماله وتصدق به وفرقه فى سبيل الله ولزم العبادة حتى توفى -رضى الله عنه- فلما توفى لم يوجد عنده إلا حق الكفن . وأنشدوا :

ذَكَرَ الوعيدَ فَطرفُهُ لا يَهجعُ[229] ... وجَفَاالرقاد فَبَانَ[230] عنه المضجعُ

مُتفرداً بِقليلهِ يشكو الّذى ... ملء الجوانح والحشا يستوجعُ

لما تَيَقّنَ صِدقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الـ ... آياتُ صَارَ إلى الإنابةِ يُسرِعُ

فَجَفا الأحبةُ فى محبةِ ربّه ... وَسَما إليهِ بِهِمَّةٍ ما يقلعُ

وتمتــعتْ بودَادِهِ أعضاؤه ... إذْ خَصَّهَا مِنُه بودٍّ يَنفعُ

كَمْ فِى الظّلام لَهُ إذا نام الورى ... من زفرة فى أثرها يتوجعُ

ويقولُ فى دَعَواتِهِ ياسيدى ... العينُ يُسعدها دموعُ رُجَّعُ

إنّى فزعتُ إليكَ فارْحَمْ عَبْرَتِى ... وإليكَ من ذلِّ الخطيئةِ أفزعُ

مَنْ ذا سواكَ يُجيرنى من زلّتى ... يَامـنْ لعِزّتِـهِ أذَلُّ وأَخضعُ

فَامننْ علىَّ بتوبةٍ أَحْيَا بها ... إنّى بما اجترأت يداى مردعُ

قلّ التَّصبُّرُ عَنْكَ يامن حُبُّهُ ... فى الجارحاتِ سِقامه يُسرِعُ

كيفَ اصطبار مُتيمٍ فى حُبِّهِ ... قدما لكاسات الهوى يتَجرعُ

لَاحتْ وعن صدقِ المحبةِ ما بَدَتْ ... للنّاظرينَ نُجومُ ليلٍ تَطلعُ

٢٢٩- لا يهجع : أى لا ينام . [الوسيط (٢/٩٧٣)]

٢٣٠- بان : بعد وانفصل . [الوسيط (١/٧٩)]

ما الفوزُ إلّا فى محبةِ سَيِّدٍ   فيها المحبُّ إذا تَواضعَ يُرفعُ

[من دلائل النبوة]

يروى أن قتادة بن النعمان الأنصارى[٢٣١] -رضى الله عنه- كان من الرماة المذكورين شهد بدراً وأحد ورميت يومئذ عينه فسالت على خده ، فأتى النبى -ﷺ- وهى فى يده ، فقال : «ما هذه ياقتادة ؟» قال : هذا ما ترى يارسول الله -ﷺ- ؟ فقال له رسول الله : «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها لك ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً» ، فقال : والله يارسول الله إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل ولكنى مبتل فى حب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردننى ، فقال : «افعل ذلك ياقتادة» ثم أخذها رسول الله -ﷺ- بيده وأعادها إلى موضعها فعادت أحسنَ ما كانت إلى أن مات ودعا الله له بالجنة -ﷺ- : قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز -رضى الله عنه- وهو خليفة فقال له عمر : من أنت يافتى ؟ قال :

أنا ابنُ الّذى سَالتْ عَلَى الخدِّ عَينُهُ   فَرُدَّتْ بِكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ لِما كانتْ بأحسن حَالها   فياحُسنَ ما عين وياحسن ماردٌ

فقال عمر : بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون -رضى الله عنه-[٢٣٢] .

٢٣١- قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصارى الظفرى الأوسى : صحابى بدرى ، من شجعانهم . كان من الرماة المشهورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- ، وكانت معه يوم الفتح راية بنى ظفر . وتوفى بالمدينة وعمره (٦٥ سنة) سنة (٢٣ هـ) له سبعة أحاديث وهو أخو «أبى سعيد الخدرى» لأمه .   [الأعلام (١٨٩/٥)]

٢٣٢- **حديث ضعيف** : أخرجه ابن سعد (١٨٧/١ - ١٨٨) ، (٤٥٣/٣) فى طبقاته الكبرى ، والحاكم فى المستدرك (٢٩٥/٣) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢٥١/٤، ٢٥٣) ، والطبرانى (٨/١٩) فى الكبير ، وقال الهيثمى : فيه من لم أعرفه ، انظر : مجمع الزوائد (١١٣/٦) .

الفصـل السادس والعشرون

[التائبـون]

ياهذا ، لايزال التائبون يهربون إلى دير الخلوة هروب الخائف إلى دار الأمان لهم فى سحر الليل فأنس بمدامع الأجفان كتب السجود فى ألواح جباههم خطوط العرفان ، كم لأقدامهم فى الدجى من جولان ! وكم لهم فى وادى السحر من عيون تجرى كالطوفان ! فإذا لاحت أعلام الفجر كبروا عند مشاهدة العيان ، فديت طراق الدجى فدية أرباب العزائم ، فديت الفتيان بادروا رواهب الخلوة ها نحن لكم جيران تركنا الأسباب والأهل والأوطان ، فارقنا شهوة النفوس والأبدان ، وخربنا ديار اللهو فأقفرت منذُ زَمَان ، طلقنا الدنيا بتاتاً وهجرْنا الدار والسكان ، سُقينا من شراب الأنس شربة ولو كان ما كان ، لبسوا حلة الجوع بالنهار وتركوا خدمة من جل ومن هان ، عمّرُوا القلوب بالتقوى وبالذكر باللسان ، لهم تتزاحم على باب الدُّجى فمنهم صاحٍ ومنهم نشوان ، ومنهم من خامره بالشوق فهو من الحب ولهان ، ومنهم من غلبةِ الوجد فهو هائم سكران ، أفناهم الخوف وأذبلهم الأرق وهم من القلق **﴿كُلَّ يَوم هُوَ فِى شَأْن﴾** سيريهم ذكر الحبيب ولهم فى التلاوة ألحان ، نالوا منازل التوكل واحتجوا فيها فطان، باعوا شهوات النفوس بأبخس الأثمان ، سجلوا على أنفسهم سجل الرضا بالقضا فأهلا بالرجال الشجعان **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾**[٢٣٣] ولهم تلحين بالقرآن ، خامرهم الخوف فسكروا من شرابه مخافة اليسران ، منهم من سقى شراب المحبة صرفا وتزايدت لهم الأحزان ، ومنهم من مزج له بالأشواق فعاين منه ألوان ، كم خربوا فى حبه منازل ! وكم أيتموا فيه من ولدان ! أتراهم أبداً سكارى عرايا فى القفار وفى الأبدان ؟! قلوبهم مملوءة بالخوف وظاهرهم مضمخ بالأحزان

---

٢٣٣ - سورة السجدة : الآية ١٦ .

ينادى لسان شوقهم لا كان من رام السلوى لا كان ، خرق لهم حجاب العادات وعقد على رءوسهم للولاية تيجان ، مجلس أنسهم مضمخ بالمشاهدة شديد الأركان .

[يامعشر الفقراء]

يامعشر الفقراء طوفوا بهذا الدير وزاحموا على بابه وباكروا هذه الدنان ، طيبوا على هذا السماع وتواجدوا على هذه الألحان ، معكم جمال المحبوب فى الكون والحال .

[يامعشر الفتيان]

يامعشر الفتيان ما أطيب عيش الصديقين !، شربوا هذا الشراب وباحوا بالكتمان ، فما تراهم إلا بين واجدٍ وهايم وخائف راج وولهان ، فعندما تجلى لهم محبوبهم فى قلوبهم أغناهم عن مشاهدة العيان ، لاطفهم بملاطفة ﴿**يَاعِبَادِى لَا خَوفٌ عَلَيكُم اليَوْمَ**﴾[٢٣٤] لكم الأمان ، بعينى ما تحملتم من أجلى ، فكم من جفن ساهر ! وكم كبد من الشوق ملآن ! سأكشف لكم الحجاب عن وجهى فتغنمون مالم يخطر على قلب إنسان ألبسكم حلل الرضا وأبسط مجالسكم بالرضوان ، أسقيكم شراب التوحيد صرفاً خالصاً وأنا الحنان المنان ، ياأهل السماع تواجدوا ، ويامعشر الإخوان أين المشتاق لهذا الشراب ، هذا كأس المتاب ملآن .

[يا مضيعاً عمره فى العصيان]

أين أنتَ من أهل الصفا : يامضيعاً عمره فى العصيان ! بادر واقبل تغير الحال لئلا تعود بالخيبة والخسران ، واعص من لامك وخالف من عذلك ، وأطع

٢٣٤– سورة الزخرف : الآية ٦٨ .

من نصحك ودع قالا وقيلا ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(٢٣٥) .

[فضل الصف الأول والتكبيرة الأولى]

قال عبدالله بن عباس –رضى الله عنهما– : صلى بنا رسول الله –ﷺ– صلاة العصر فقام راكعاً فى الركعة الأولى حتى ظَنَنَّا أنه لا يرفع رأسه فرفع ورفعنا بعده فلما قضيت الصلاة انفتل(٢٣٦) من محرابه –ﷺ– وقال : أين أخى وابن عمى على بن أبى طالب ؟ فأجابه على –رضى الله عنه– من آخر الصفوف وهو يقول : لبيك لبيك يارسول الله ، فقال رسول الله –ﷺ– : ادنُ منى ياأبا الحسن فدنى منه فلم يزل يدنيه حتى جلس بين يديه فقال : ياأبا الحسن أما سمعت ما أنزل الله علىّ فى فضل الصف الأول والتكبيرة الأولى ؟ فقال : بلى يارسول الله فقال له رسول الله –ﷺ– : فما الذى أبطأك عن الصف الأول والتكبيرة الأولى فهل شغلك حب الحسن والحسين عن ذلك ؟ فقال له على –رضى الله عنه– : وهل يشغلنى حبهما عن حب الله تعالى، قال له : فما الذى يشغلك عن ذلك ياعلى ؟ قال : يارسول أذن بلال وأنا فى المسجد فركعت ركعتين وأقام بلال الصلاة فكبرت معك التكبيرة الأولى فوسوسنى شىء من أمر الوضوء فخرجت من المسجد إلى منزل فاطمة فناديت : ياحسن ، ياحسين ، فلم يجبنى أحد منهما فبينا أنا كالمرأة الثكلى أو كالحبة فى المقلى وأنا أطلب ماء الوضوء إذ هتف بى هاتف

٢٣٥– سورة الإسراء : الآية ٧١، ٧٢ .

٢٣٦– انفتل : أى انصرف . [الوسيط (٢/٦٧٣)]

عن يمينى فإذا أنا بقدح من الذهب الأحمر وعليه منديل أخضر ، فكشفت المنديل فإذا هو ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد وألين من الزبد فتطهرت للصلاة وتمندلت بالمنديل ورددته على القدح والتفت فلم أره ولم أر من وضعه ولا من رفعه فتبسم رسول الله -ﷺ- وقال : بخ بخ(٢٣٧) هل تعلم من أتاك بالمنديل والقدح ياأبا الحسن ؟ قال : الله ورسوله أعلم ؟ قال : أتاك بالقدح جبريل -عليه السلام- والماء من حظيرة القدس والذى مندلك بالمنديل ميكائيل -عليه السلام- ، والذى أمسك يدى على ركبتى حتى أدركت معى الركعة الأولى إسرافيل -عليه السلام-، ياأبا الحسن ، من أحبّك أحبّه الله ، ومن أبغضك أبغضه الله(٢٣٨) .

[من دلائل النبوة]

ويروى أن رسول الله -ﷺ- جلس ذات يوم مع أصحابه فإذا هو بيهودية قد أقبلت ، وهى تبكى ، حتى وقفت بين يديه وجعلت تقول هذه الأبيات وهى تبكى :

بأبى أفديكَ يانورَ الفلك ليتَ شعرى أىُّ شئٍ قتلك
غِبْتَ عنّى غيبةً موحشةً أتُرىَ ذئبٌ يهودى أكَلك
إنْ تكنْ ميتاً فما أسرعَ ما كان فى أمر الليالى أجَّلَك
أوْ تكن حياً فلابدَّ لِمَنْ عَاشَ أن يَرجعَ مِن حيثُ سَلَك

فقال لها رسول الله -ﷺ- : «مالك أيتها المرأة ؟» قالت : يامحمد ، بينما أنا وولدى يلعب بين يدى إذ خطف وبقى المكان منه بلقعة(٢٣٨) ، قال لها : «ياهذه ، إن ردّ الله ولدك على يدى أتؤمنين بى ؟» قالت : نعم وحق الأنبياء

٢٣٧- بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشىء أو المدح أو الفخر . [الوسيط (٤٠/١)]

٢٣٨- بلقعة : أى خالى من كل شىء . [الوسيط (٧٠/١)]

الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ، فقام رسول الله -ﷺ- فصلى ركعتين ثم دعى بدعوات فما استكملها حتى وضع الطفل بين يديه -ﷺ- فقال له النبيُّ -ﷺ- : « أين كنت أيّها الطفل ؟» قال : بينما أنا ألعب بين يدى أمى إذ أقبل إليّ عفريت كافر فاختطفني وذهب بى من وراء البحر ، فلمّا دعوت الله عز وجل سلط الله عليه جناً مؤمناً أشدّ منه بطشاً وأعظم خلقاً فانتزعنى منه وساقنى بين يديك فها أنا بين يديك -صلى الله عليك- فقالت المرأة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله -ﷺ-(٢٣٩) .

٢٣٩- لم أقف عليه .

الفصل السابع والعشرون

[من أكبر الكبائر : الزنا]

اعلم أن الزنا من أكبر الكبائر وهو شؤم على صاحبه فى الدنيا والآخرة ووبال على صاحبه وقد نهى الله عنه فى مواضع فى كتابه فقال تعالى : **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾**[240] وقال تعالى : **﴿والَّذِيْنَ هُم لِفُروجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمِنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُم العَادُونَ﴾**[241] .

وقال رسول الله -ﷺ- : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»[242] أراد بذلك أن الزانى مبعد عن الله تعالى مستوحب المقت من الله عز وجل .

وفى الخبر : أن شاباً أتى النبى -ﷺ- فقال : يارسول الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به فقال : اتركوه ، ادن مبى فدنا منه فقال : أتحبه لأمك ؟ فقال : لا -جعلنى الله فداك-، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ، حتى ذكر له الأخت والخالات والعمات وهو يقول : لا ، ورسول الله -ﷺ- يقول : وكذلك الناس لا يحبونه ، ثم وضع يده الكريمة على صدره ،

٢٤٠- سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

٢٤١- سورة المؤمنون : الآيات ٥، ٦، ٧ .

٢٤٢- **حديث صحيح** : رواه البحارى (١٧٨/٣)، (١٣٦/٧)، (١٥٩/٨، ١٩٧) ، ومسلم (٧٧/١ - عبدالباقى) ح (١٠٤) باب الإيمان ، وأبو داود (٤٦٨٩) ، والترمذى (٢٦٢٥) ، والنسائى (٦٤/٨، ٦٥، ٣١٣) ح (٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٥٦٥٩، ٥٦٦٠) وابن ماجة (٣٩٣٦) ، وأحمد (٣٧٦/٢) ، (١٣٩/٦) ، والبيهقى (١٨٦/١٠) ، والدارمى (١١٥/٢) ، وابن أبى شيبة (٤٠٤/٤، ٤٠٥) ، والطبرانى فى الكبير (٣٤٦/١٢) ح (١٣٣٠٤) .

وقال : « اللهم طهِّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصِّن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا »(٢٤٣) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « لما خلقت المرأة قال لها إبليس : أنت نصف جندى ، وأنت موضع سرى ، وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء »(٢٤٤) فتحفظ رحمك الله من سهام الشيطان .

وقال رسول الله - ﷺ - : « الزنا من أكبر الكبائر ، والزانى عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم القيامة ، فإن تاب تاب الله عليه »(٢٤٥) .

وقال - ﷺ - : « من علامة المؤمن ألا يجعل الله شهوته فى بطنه وفرجه »(٢٤٦) .

---

٢٤٣ - **حديث صحيح** : رواه أحمد (٥/٢٥٦، ٢٥٧) ، وابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٣٩) .

٢٤٤ - **لا يصح مرفوعاً** . إنما هو من كلام سفيان بن عيينة رواه ابن الجورى فى « ذم الهوى » (ص ١٣٦) وكذا أورده الغزالى فى الإحياء كأثر مرسل (٩٧/٣) .

٢٤٥ - لم أقف عليه .

٢٤٦ - لم أقف عليه .

وقال - ﷺ - : «الزنا يورث الفقر ويذهب بهاء الوجه»[٢٤٧] يقول الله تعالى : «آليت على نفسى أن أفقر الزانى ولو بعد حين»[٢٤٨] . والزنا يذهب بالمال ، ويذهب بهاء الوجه ، ويخلد صاحبه فى النار .

وقال رسول الله - ﷺ - لأبى ذر -رضى الله عنه- : «ما لقى الله العبد بذنب بعد الشرك بالله أعظم من الزنا»[٢٤٩] ، «وما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من امرؤ وضع نطفته فى رحم حرام»[*] ، «وأن الزانى يسيل من فرجه يوم القيامة صديد لو وضعت منه قطرة على الأرض لفسدت على أهل الدنيا معاشهم نتناً»[**] .

وقال - ﷺ - : «إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة . فأما اللواتى فى الدنيا : فذهاب البهاء ، وطول الفقر ، وقصر العمر ،

٢٤٧- **حديث باطل** : صدر هذا الحديث وهو قوله «الزنا يورث الفقر» أورده الديلمى فى مسند الفردوس (٣٠٢/٢) ح (٣٣٧٤) ، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب (٧٢/١) رقم (٤٥) حديث (٦٦) ، وابن أبى حاتم فى «علل الحديث» (٤١٠/١) وقال قال أبى : حديث باطل ، وابن عدى فى «الكامل» (٤٣٢/٦) وقال : ماضى منكر الحديث ، وعزاه المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٢٧١/٣) رقم (٨) : إلى البيهقى ، وعزاه إلى «الديلمى والقضاعى وابن ماجة» .

وقال الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الصعيفة» : حديث باطل .

● أما عجر الحديث وهو قوله «ويذهب بهاء الوجه» فله شاهد من حديث أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١١١/٤) بلفظ «إياكم والزنا فإن فيه ست خصال - ذكر منها - «فإنه يذهب بالبهاء ويورث الفقر» .

٢٤٨- لم أقف عليه .

٢٤٩-**حديث ضعيف** : أخرجه بنحوه أحمد ، وابن أبى الدنيا كما فى الدر المنثور (١٨٠/٤) ، وابن الجوزى (ص ١٥٤) فى ذم الهوى .

(*) هذا لفظ آخر للحديث السابق .

(**) ورد فى هذا المعنى حديث رواه البزار عن بريدة . انظر : كنز العمال (١٣١٥/٥) .

وأما اللواتى فى الآخرة : فسخط الله ، وسوء الحساب ، والخلود فى النار »(٢٥٠) .

يَامَنْ عَصَا الله فى الشبابِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ الشَّيْبُ رَاقِبِ الله
صُحفك بالسيئاتِ قَد مُلئت بِأَى وجهٍ تُراكَ تَقرأهـا
اعدذْ جَوابا إذا سُئلت غَدَاً وَقَرِّب النَّار مِنْكَ مَولَاها
يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِين كَمْ رِجلٍ تلومه النَّارُ حِينَ يَصْلَاها

وقال رسول الله -ﷺ- : « ما من أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته يزنى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ألا وإن فى النار لتوابيت من نار فيها أقوام محبوسون فى تلك التوابيت فإذا سألوا الراحة فتحت لهم تلك التوابيت فإذا فتحت بلغ شررها أهل جهنم فيستغيث أهل جهنم بصوت واحد ويقولون : اللهم العن أهل التوابيت وهم الذين يقتفون فروج النساء حراماً »(٢٥١) .

وقال رسول الله -ﷺ- : « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى قالت : سعد من دخلنى . فقال الجبار جل جلاله : وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا نمام ، ولا ديوث ، ولا

---

٢٥٠ - **حديث موضوع** : أخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٣١٧/٦) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١١١/٤) ، والخرائطى فى « مساوىء الأخلاق ومذمومها » (ص ١٧٧) ح (٤٧٦) وابن الجوزى فى « ذم الهوى » (ص ١٥٥) ، وقال عنه الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » : حديث موضوع .

وما بين المعكوفتين سقط استدركناه من « حلية الأولياء » و « ذم الهوى » لابن الجوزى .

٢٥١- الجزء الأول من الحديث من قوله « ما من أحد أغير من الله .. إلى قوله « لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » رواه البخارى (٤٣/٢) باب الكسوف ، ومسلم(٦١٨/١- عبد الباقى) رقم (٩٠١) ، وأحمد (١٦٤/٦) ، والنسائى (١٤٧٤) كسوف ، ومالك فى الموطأ (١٨٦/١) رقم (١) ، والبيهقى (٣٣٨/٣) .

أما الجزء الثانى من الحديث فلم أقف عليه .

شرطى ، ولا مخنث ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول عليَّ عهد الله أن أفعل كذا وكذا ولا يفعله »(٢٥٢) . فليس المصر على الزنا هو المداوم عليه ، ولا مدمن الخمر هو الملازم لشربه ولكنه إذا وجد الخمر شربها ولم يمنعه منها خوف الله تعالى ، ومتى تهيأ له الزنا زنى ولم يتب من ذلك ومن لم ينه النفس عن الهوى فإن الجحيم هى المأوى .

وكان ابن عباس -رضى الله عنهما- يقول لغلمانه : إن أردتم النكاح نكحتم -أى تزوجتم- فإن العبد إذا زنا خرج الإيمان من قلبه فلا يبقى للعبد إيمان(٢٥٣) .

وقال لقمان لابنه : إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة ، ومن بعد تلقى أثامه .

وأنشدوا :

يَامَنْ خَلَا بِمعاصِى الله فى الظُّلَمِ ... فى اللَّوحِ يُكْتَبُ فِعْلَ السَّوءِ بِالقَلَمِ
بهَا خَلوتْ وعين الله نَاظِرةٌ ... وأَنْتَ بالإثم مِنهُ غير مُكْتتِمِ
فَهَلْ أمنتَ مِن المولَى عقوبَتَهُ ... يامن عَصى الله بعدَ الشَّيبِ والهرمِ

٢٥٢-أورده الغزالى فى «الإحياء» (١٥٢/٣) بتمامه وقال عنه العراقى: لم أجده هكذا بتمامه . ولأحمد (٢٠٣/٢) بلفظ «لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث» ، وللنسائى (٢٠١/٢) ، (٢٠٣/٣) من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر» ، وللشيخين [البخارى (٢١/٨) ، ومسلم (١٠٥)] من حديث حذيفة بلفظ «لا يدخل الجنة قتات» ولهما أيضاً [البخارى (٦/٨) ، ومسلم (٢٥٥٦)] من حديث جبير بن مطعم ، بلفظ «لا يدخل الجنة قاطع رحم» وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس «لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى وتزينى فتزينت فقالت : (طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لاسكنك مخنث ولا نائحة) . اهـ [كذا قال العراقى فى «المغنى عن حمل الأسفار» (١٥٢/٣، ١٥٣)] .

٢٥٣- هذا الأثر لابن عباس ، رواه ابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٥٧)

[غلبة الهوى]

واعلم أن من غلبه هواه افتضح ، فما نال الكرامات من نالها إلا بغلبة الهوى. كما روى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل تزوج امرأة من بلد آخر فأرسل رجلا بنفقه إليها ليسوقها إليه فراودته نفسه وطلبته بها فزجرها واستعصم بالله قال : فنبأه الله بترك هواه وكان نبياً فى بنى إسرائيل . **وأنشدوا** :

توق نفْسكَ لَا تَأْمَن غَوائِلَها فالنَّفسُ أَخبثُ مِن سَبعينَ شَيْطَانَا

[كرامة عابد متعفف]

وحكى ابن عباس عن كعب الأحبار – رضى الله عنهما – أنه قال : كان فى بنى إسرائيل صديق منفرد للعبادة فأقام فى صومعته دهراً طويلاً وكان يأتيه ملك فى كل يوم غدوة وعشية فيقول له الملك : ألك حاجة ؟ فيقول : الله أعلم بحاجتى ، وأنبت الله له فوق الصومعة كرمة تحمل فى كل يوم بالعنب وكان إذا عطش مد يده فينبع منها الماء فيشرب منه فلما كان بعد مدة مرّت به امرأة لها حسن وجمال عند المغرب فنادته : ياعبدالله ، فقال لها : لبيك فقالت له : من ربك ؟ قال لها : هو الله الواحد القهار الحى القيوم العالم بما فى الصدور وباعث فى القبور قالت له : البلد منى بعيد .

قال لها : اصعدى فلما صارت فى صومعته رمت بثيابها وقامت عريانة تجلو نفسها عليه فغض بصره عنها وقال لها : ويلك استرى نفسك . قالت له : وما يضرك إذا وقعت بى فى هذه الليلة فقال لنفسه : يا نفس ما تقولين ؟ قالت : وإنى أتمتع بها قال لها : ويحك تريدين سرابيل القطران ومقطعات النيران وتذهبين بعبادتى هذه المدة وليس كل من زنا عفى عنه وإن الزانى يكب على وجهه فى النار وهى نار لا تطفىء وعذابها لا يفنى وأخاف أن يغضب الله عليك ولا يرضى أبداً عنك ، فراودته نفسه على ذلك فقال : أعرض عليك ناراً صغيرة فإن صبرت عليها متعتك بهذه الجارية فى هذه الليلة ، فملأ السراج دهناً وأغلظ الفتيلة والمرأة تسمع وتبصر ثم ألقى يده إلى الفنيلة وهى تتقد فصاح بالفتيلة : مالك أحرق فأكلت إبهامه ثم أكلت أصابعه تم أكلت يده

فصاحت الجارية صيحة عظيمة فارقت الدنيا ، فسترها بثوبها فلما أصبح صرخ إبليس لعنة الله : أيها النّاس ، إن العابد قد زنا بفلانة بنت فلان وقتلها فركب الملك فى جنده وأهل مملكته فلما انتهى إلى الصومعة صاح فأجابه العابد فقال له : أين فلانة بنت فلان ؟ قال له : عندى ههنا قال له : قل لها تنزل . قال له : إنها قد ماتت قال له الملك : ما رضيت بالزنا حتى قتلت النفس التى حرم الله قتلها ، فهدم الصومعة وجعل فى عنق العابد سلسلة فجرّه بها ، وحملت المرأة وجىء بالعابد إلى موقف العذاب ، وكان القوم ينشرون الزانى بالمناشير ، ويد العابد ملفوفة فى كمه، وهو لا يعلمهم بقصته فوضع المنشار على رأسه وقيل لأصحابه جروه فجروه فلما بلغ المنشار إلى دماغه تأوه فأوحى الله تعالى إلى جبريل قل له لا ينطق بشىء ، وها أنا أنظر إليك وقد أبكى حملة العرش وسكان سمواتى فوعزتى وجلالى لئن تأوه الثانية لأهدمن السموات على الأرض فما تأوه ولا تكلم حتى مات – رحمه الله –.

فلما مات رد الله الروح إلى المرأة وقالت : مات والله مظلوماً ما زنى وما أنا إلا بخاتمى بكر ثم قصت عليهم القصة ، فأخرجوا يده فإذا هى محروقة كما قالت الجارية . فقالوا : لو علمنا ما نشرناه ، وخرّ العابد نصفين على الأرض ، وعادت الجارية كما كانت ، فحفروا لهما قبراً واحداً ، فوجدوا فى القبر مسكاً وعنبراً وكافوراً ثم أتو بهما ليصلوا عليهما ، فناداهم منادٍ من السماء اصبروا حتى تصلى عليهما الملائكة ثم صلوا عليهما وادفنوهما فأنبت الله على قبرهما الياسمين ووجدوا على قبرهما رق مكتوب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من الله عز وجل إلى عبدى وولى إنى نصبت المنبر تحت عرشى وجمعت ملائكتى وخطب جبريل – عليه السلام – وأشهدت الملائكة أنى زوجتك خمسين ألف عروس من الفردوس وهكذا أفعل بأهل طاعتى وأهل مراقبتى (٢٥٤) .

---

٢٥٤ – من الإسرائيليات .

[التحذير من النظر]

وقال - ﷺ - : «النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن لم يغض بصره عن المحارم كحل بصره يوم القيامة بمرود من النار»(٢٥٥) .

وقال رسول الله - ﷺ - : «النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره أذاقه الله تعالى عبادة يجد حلاوة تلك العبادة فى قلبه»(٢٥٦) .

وفى المناجاة : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : حرمت على النار ثلاثة أعين : عين سهرت فى سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين بكت من خشيتى لكل شىء جزاء إلا الدمعة فلا جزاء لها إلا الرحمة والمغفرة ودخول الجنة . والله أعلم .

٢٥٥- **حديث ضعيف** : انظر التالى .

٢٥٦- **حديث ضعيف جداً** : أخرجه أحمد (٢٦٤/٥) ، والطبرانى ، والحاكم (٣١٣/٤ - ٣١٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٦٣/٨) ، السلسلة الضعيفة (١٠٦٤) ، (١٠٦٥) .

الفصـــل الثامن والعشرون
[فضيلة الصمت]

وفى الخبر أن النبى -ﷺ- فقد كعباً فسأل عنه فقيل له : إنه مريض فخرج يمشى حتى آتاه فلما دخل عليه قال : أبشر ياكعب فقالت له أمه هنيئاً لك الجنة ياكعب : فقال رسول الله -ﷺ- : من هذه المتألية على الله ؟ قال : أمى . قال : «وما يدريك يا أم كعب ، لعل كعباً قال مالا يعنيه أو منع مالا يغنيه »(٢٥٧) .

وقال -ﷺ- : «العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس»(٢٥٨) وفى الحكمة : تسعة أعشار العبادة فى الصمت(٢٥٩) .

وحكى أن مريم عليها السلام لما نذرت أن لا تتكلم وحبست لسانها لأجل الله تعالى أطلق الله سبحانه وتعالى لسان صبى لا يعرف الخطاب أنطقه الله لأجلها .

فمن حفظ لسانه لأجل الله تعالى فى الدنيا أطلق الله لسانه بالشهادة عند الموت ولقاء الله تعالى ، ومن سرح لسانه فى أعراض المسلمين واتبع عوراتهم أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت .

٢٥٧- **حديث حسن** : رواه الخطيب فى «تاريخ بغداد» (٢٧٣/٤) ، وابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ٧٤) رقم (١١٠) أورده الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٢٧٥/١٣) رقم (١٤٦٣) وعزاه للطبرانى .

٢٥٨- **حديث موضوع** : أخرجه الديلمى كما فى زهر الفردوس (٣٢٩/٢) . وأورده الديلمى فى مسند «الفردوس» عن طريق أنس مرفوعاً (٧٩/٣ - فردوس) ح (٤٢٢٢) ونسبه الغزالى فى «الإحياء» (١٠٧/٣) إلى عيسى عليه السلام .
انظر : لسان الميزان (٢٨٣/٣) .

٢٥٩- انظر التخريج السابق (٢٥٨) .

وقال رسول الله -ﷺ- : «من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به »[٢٦٠] . فلذلك كان الصديق – رضى الله عنه – يضع فى فيه حجراً يمنع به نفسه عن الكلام[٢٦١] .

وسأل معاذ -رضى الله عنه- رسول الله -ﷺ- أى الأعمال أفضل ؟ فأخرج لسانه ووضع عليه يده[٢٦٢] .

وأوصى على بن أبى طالب -رضى الله عنه- ولده الحسن فقال له : أمسك عليك لسانك فإن تلاف المرء فى منطقه .

وذكر أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- خطب الناس يوماً فقال إن ربكم تعالى يقول : ياابن آدم لم تحرض الناس على الخير وتدع ذلك من نفسك ياابن آدم لم تذكر الناس وتنسى نفسك ، ياابن آدم تدعونى وتفرّ منّى إن كان كما تقول فاحبس لسانك واذكر خطيئتك واقعد فى بيتك[٢٦٣] .

وفى صحف إبراهيم -عليه السلام- : وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه[٢٦٤] .

وعن مالك بن دينار -رضى الله عنه- أنه قال : إذا رأيت قساوة فى قلبك أو وهناً فى بدنك أو حرماناً فى رزقك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك .

---

٢٦٠ – **حديث ضعيف** : رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٣/٧٤) ، وعزاه الهيثمى فى «المجمع» (١٠/٣٠٢) إلى الطبرانى فى الأوسط ، وأورده الغزالى فى «الإحياء» (٣/١٠٧) وعزاه العراقى لأبى نعيم فى الحلية وابن حبان فى روضة العقلاء والبيهقى فى الشعب .

ورواه ابن الدنيا فى «الصمت» (ص ٥١) ح (٥٣) ونسبه إلى عمر بن الخطاب .

٢٦١ – أورده الغزالى فى الإحياء (٣/١٠٧) ولم يعلق عليه العراقى .

٢٦٢ – **حديث حسن** : أخرجه الطبرانى (٢٠/٦٤) فى الكبير ، ورواه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٨) رقم (٨) وأورده الغزالى فى «الإحياء» (٣/١٠٥، ١٠٦) .

٢٦٣ –لم أقف عليه ولعله من الإسرائيليات .

٢٦٤ – أورد هذا الأثر الغزالى فى «الإحياء» (٣/١٠٧) عن وهب بن منبه ، ولم يعلق عليه العراقى .

وقال لقمان لابنه : يابنى ، إن من رحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم . **وأنشدوا :**

احْفَظْ لِسَانَكَ أيُّها الإنْسَانُ لَا يَقْتُلَنَّكَ إنَّـهُ ثُعْبَـانُ
كَمْ فِى المقَابِرِ مِن قَتيل لِسانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشّجْعَانُ

ويقال أن جميع الأعضاء تبكىَ كل يوم اللسان فتقول له : ناشدناك الله تعالى أن تستقيم فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت أعوججنا[٢٦٥] .

وقال بعض الحكماء : ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة ، وترك فضول النظر يثمر الخشوع والخشية ، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة العبادة ، وترك الضحك يثمر الهيبة ، وترك الرغبة فى الحرام يثمر الجنة ، وترك التجسس عن عيوب الناس يثمر صلاح العيوب ، وترك التوهم فى الله تعالى ينفى الشك والنفاق . **وأنشدوا :**

الصّمتُ نفعٌ والكلامُ مَضَرَّةٌ فَلَرُبَّ نَفْعٍ فِى الكَلَامِ شِفَاءُ
فإذا أردتَ مِنَ الكلام شِفَاءَه لِسَقامِ قَلْبِكَ فالقرآنُ دَواءُ

[النهى عن تتبع عورات الناس]

واعلم أن التجسس عن عيوب الناس وطلب مساوئهم يبدى العورات ويكشف المخبآت وقد نهى الله تعالى عن ذلك فى كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَجسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾[٢٦٦] الآية .

فاتق الله تعالى واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس ، ولا تكن كمثل الذباب الذى لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد ولا ينزل عليها وإنما يقع على القرح

٢٦٥– رواه الترمذى (٨٨/٧) ح (٢٥١٨)،والطيالسى (٢٩٣/٢) ح (٢٢٠٩) ، وأحمد فى الزهد (ص/١٩٥) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٩) رقم (١٢) .

٢٦٦– سورة الحجرات : الآية ١٢ .

فيدميها ، فمن بحث عن مساوىء الناس واتبع عوراتهم واشتغل بعيب غيره وترك عيبه سلط الله تعالى عليه من يبحث على عيبه ومساوئه ويشهرها ويتبع عورته ويبديها وينشرها .

فالعاقل السعيد من نظر فى عيبه وشغل بذلك عن عيب غيره وعن كل شئ سوى الله تعالى .

وروى عن النبى -ﷺ- عن جبريل -عليه السلام- عن الله عز وجل أنه قال : ياموسى خمس كلمات ختمت بهن التوراة فإن عملت بهن نفعك علم التوراة وإن لم تعمل بهن لم ينفعك علم التوراة :

أولاهن ياموسى كن واثقاً برزق المضمون لك مالم تر خزائنى نفدت .

والثانية : لا تخافن سلطان الأرض مالم تر سلطانى زائلاً .

والثالثة : ياموسى لا تجس عن عيب أحد مالم تخلُ من العيوب .

والرابعة : ياموسى : لا تدعن محاربة الشيطان مادام روحك فى جسدك .

والخامسة : ياموسى لا تأمن عقابى ولو رأيت نفسك فى الجنة(٢٦٧) .

ياأخى ، لا تعير أحداً بما فيه فإنى أخشى أن يبتليك الله ويعافيه ، ولا تستر على الفاجر ولا على من لا يستتر بالمعاصى ويعلن بها .

وقال رسول الله -ﷺ- : « من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة »(٢٦٨) .

٢٦٧- **حديث ضعيف** : أورده المصنف بصيغة التضعيف .

٢٦٨- رواه أبو داود (٣٤٦٠) ، ابن ماجة (٢١٩٩) ، والبيهقى (٢٧/٦) ، وابن حبان (١١٠٣ - موارد) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٤٥/٦) ، والخطيب فى تاريخه (١٩٦/٨) ، والحاكم فى «المستدرك» (٤٥/٢) ، وقال الشيخ الألبانى فى «مشكاة المصابيح» (٢٨٨١) : إسناده صحيح .

[من مناقب أبي حنيفة]

ويروى أن أبا حنيفة -رضى الله عنه- كان يسكن بجواره شاب مولع بشرب الخمر فكان أبو حنيفة يسهر الليل للنظر فى كتب العلم والقراءة وكان بينه وبين الشاب جدار فكان الشاب يسهر على شرب الخمر ويتمثل بأبيات يقول فيها :

سأنشدهم إذا ما هم جفونى أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ويكثر التردد بهذه الأبيات فكان أبو حنيفة يتأنس بكلامه فلما كان ذات ليلة لم يسمع له أبو حنيفة حساً فلما خرج لصلاة الصبح سأل عنه فقيل له : إن الشرط التقوه البارحة مخموراً فحملوه إلى السجن فلما صلى أبو حنيفه مضى بنفسه إلى منزل صاحب الشرط واستأذن عليه وأعلمه بنفسه فخرج إليه صاحب الشرط حافى القدمين عارى الرأس وقبل يديه وقال : ياسيدى وما بلغ مقدارى حتى تأتى بجلال قدرك إلى منزلى فقال أبو حنيفة إنى جئتك فى قضية جار لى سجن البارحة . فقال : أشهدك ياسيدى أنى اطلقت سراح جميع من فى السجن لوجهك رغبة لجلال قدرك حتى أتيتنى إلىٰ منزلى . قال : فانصرف أبو حنيفة إلى منزله وإذا بالشاب قد أطلق من السجن . فقال : من ذا الذى تكلم فى حقى فقالوا له : سيدنا أبو حنيفة . فقال : طالما آذيته بسمرى وحيرته بكلامى ، فأقبل حتى وصل إلى أبى حنيفة فلما وقف بين يديه قال له : ياشاب إنا لم نضيعك وقد قمنا بحقك رعياً لقولك (أضاعونى وأى فتى أضاعوا). فقال: يا سيدى ، أشهدك أنى تائب لوجه الله العظيم . قال : فلزم أبا حنيفة وأقبل على العبادة حتى آتاه اليقين رحمة الله عليه(٢٦٩) .

٢٦٩- أورد هذا الأثر الخطيب فى تاريخه (١٣/٣٦٢، ٣٦٣) .

الفصـــل التاسع والعشرون

[ذم الغيبة]

قال رسول الله -ﷺ- لأبى هريرة : ياأبا هريرة ، إن أحببت أن يفشى الله لك الثناء الحسن الجميل فى الدنيا والآخرة فكف لسانك عن غيبة الناس[٢٧٠] .

وقال -ﷺ- : «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس»[٢٧١] .

وقال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- : أبغض عباد الله إلى الله كل طعان لعان[٢٧٢] .

وقال -ﷺ- : «من دعا رجلاً بغير اسمه لعنته الملائكة»[٢٧٣] .

وقال رسول الله -ﷺ- : «إن العبد يعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها قط فيقول : يارب من أين هذه الحسنات فيقول له : هذا باغتياب الناس فيك وأنت لا تعلم»[٢٧٤] .

٢٧٠- لم أقف عليه .

٢٧١- **حديث ضعيف** : رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٤/٣) .

٢٧٢- ورد هذا الأثر منسوباً إلى عمر بن الخطاب فى كتاب «الزهد» لابن المبارك (ص ٢٣٧) رقم (٦٨٠) .

٢٧٣- **حديث ضعيف** : رواه ابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٣٩٦) باب الوعيد فى أن يدعى الرجل بغير اسمه .

٢٧٤- **حديث موضوع** : أخرجه ابن أبى الدنيا (١٢٢) فى قضاء الحوائج ، والخرائطى فى مساوىء الأخلاق (١٩٧) .

[ذم النميمة]

وقال حاتم الأصم : ثلاثة إذ كن فى مجلسى فالرحمة مصروفة عنه : ذكر الدنيا والضحك والوقيعة فى الناس .

واعلم يرحمك الله أن النميمة تفسد الدين والدنيا وتغير القلوب وتولد البغضاء وسفك الدماء والشتات قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[٢٧٥] .

وسئل رسول الله - ﷺ - عن الغيبة ما هى ؟ قال : أن تذكر أخاك بما فيه وهو غائب عنك ، وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته»[٢٧٦] أى فذلك البهتان .

وقال - ﷺ - : «من مشى بين اثنين بالنميمة سلط الله عليه ناراً تحرقه فى قبره إلى يوم القيامة وحية تنهشه حتى يدخل النار»[٢٧٧] .

وقال - ﷺ - : «لا يدخل الجنة قتات»[٢٧٨] يعنى نماماً .

---

٢٧٥ - سورة لقمان : الآيات من ١٠ : ١٢ .

٢٧٦ - **حديث صحيح** : رواه بنحوه مسلم (٢٥٨٩) ، والترمذى (١٩٣٤) ، وأحمد (٢/٢٣٠، ٤٥٨) ، أبو داود (٤٨٧٤) ، والبيهقى (١٠/٤٦٩) ، والدارمى (٢٧١٤) .

٢٧٧ - **حديث ضعيف** : تفرد به الديلمى كما فى تنزيه الشريعة (٢/٢١٣) ، وانظر تذكرة الموضوعات (١٧١) للفتنى .

٢٧٨ - **حديث صحيح** : رواه البخارى (٨/٢١) ، ومسلم (١/١٠١ - عبد الباقى ح (١٠٥) ، وأبو داود (٤٨٧١) ، والترمذى (٢٠٢٦) ، وأحمد (٥/٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٧) ، والبيهقى فى سننه (٨/١٦٦) ، والطبرانى فى الكبير (٣/١٦٨) ح (٣٠٢١) ، وفى الصغير (١/٢٠٣) وابن أبى شيبة فى مصنفه (٩/٩١) رقم (٦٦٣٦، ٦٦٣٧) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٢٢) ، وأبو عوانة (١/٣١، ٣٢) ، والبغوى فى شرح السنة (١٣/١٤٧) ، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/١٧٩) ، والخطيب فى تاريخه (٦/٢٦٣) .

وقال -ﷺ- : «من ألقى بين اثنين عداوة فليتبوأ مقعده من النار ، ومن أصلح بينهما فقد وجبت له على الله الجنة»(٢٧٩) .

وقال بعض الحكماء : النميمة تهدى إلى القلوب البغضاء ومن واجهك فقد شتمك ، ومن نقل إليك فقد نقل عنك ، والساعى بالنميمة كاذب لمن يسعى عليه خائن لمن يسعى به ، قال **الشاعر** :

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تُؤْذِى بِهِ أَحَداً مِنْ قَالَ فِى النَّاسِ عَيْبَاً قِيلَ مَا فِيهِ

[وصية نفيسة لأعرابية]

قال الأصمعى -رحمه الله- شاهدت أعرابية وهى توصى ابنها فقالت : يابنى امنحك وصيتى وبالله التوفيق ، فإياك والنميمة فإنها تورث العداوة بين الأهلين ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتصير لها أهلاً ، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، ومثل نفسك مثالاً من غيرك فيما استحسنته من الناس فاعمله ، وما استقبحته منهم فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه ، ثم أمسكت فقلت : ياأعرابية ، بالله ألا زيدتيه ؟ فقالت : ياأعرابى أعجبك كلام العرب ؟ فقلت : أى والله فقالت : يابنى إياك والغدر فإنه أقبح ما تعامل به الناس ، واجمع بين السخاء والعلم والتواضع والحياء(٢٨٠) وأستودعك الله والسلام .

واعلم رحمك الله أن الغيبة أشد من ثلاثين ربية فى الإسلام .

وقال بعض أهل العلم : الغيبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم(٢٨١) وكان بعض الفقهاء يعيد الوضوء من الغيبة .

٢٧٩- **حديث باطل** : أخرجه ابن الجوزى (٢٧٩/٢) فى الموضوعات ، وانظر : تنزيه الشريعة (٢٠٢/٢) .

٢٨٠- أورد هذه الوصية مصطفى عمارة بهامش الترغيب والترهيب (٤٩٦/٣) .

٢٨١- نسب الغزالى فى الإحياء هذا الرأى لعطاء (١٤٠/٣) .

وقيل : مثل صاحب الغيبة كمثل من نصب منجنيقاً فهو يرمى به حسناته يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً .

وأوحى الله تعالى إلى موسى -عليه السلام- أتحب أن أنصرك على عدوك ؟ قال : نعم يارب . قال : ترد الغيبة عن المسلمين ومن مات تائباً عن الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل النار(٢٨٢) .

وقال سليمان عليه السلام : يارب أى الأعمال أفضل ؟ أو قال : أحب إليك ؟ فقال تعالى : عشر ياسليمان **أحدها** أن لا تذكر أحداً من عبادى إلا بخير ، ولا تغتب أحداً ولا تحسد أحداً فقال : يارب عنّى السبعة فقد كفانى هؤلاء .

وقال عطاء السليمى -رحمه الله- عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من البول ، وثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة(٢٨٣) .

[حكمة الأقدار]

فإياك يأخى والتعرض للأقدار ، وأن تغتاب أحداً بما أودع الله فيه الحياء فإن الله المولى جل جلاله أعلم به وأحكم ولو شاء لهلك وانتقم .

ويروى أن عيسى -عليه السلام- مر ببعض الأنهار فإذا بصبيان يلعبون فى ذلك النهر ومعهم صبى أعمى قد كف بصره وهم يغمسونه فى الماء ويفرون منه يميناً وشمالاً وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر عيسى -عليه السلام- فى أمره ودعا ربه أن يرد عليه بصره وأن يساوى بينه وبين أصحابه فرد الله عليه بصره فلما فتح عينيه ورآهم وثب على واحد منهم فتعلق به ولم يزل يغمسه فى الماء حتى قتله وطلب آخر فتعلق به كذلك حتى مات وهرب الباقون فهاب عيسى -عليه

٢٨٢- أورد هذا الأثر الغزآلى فى الإحياء (٣/١٣٩) .

٢٨٣- نسب الغزالى فى الإحياء (٣/١٤٠) هذا القول لقتادة وكذلك ابن أبى الدنيا فى الصمت.(ص ١١٣) رقم ١٨٩ .

السلام– ذلك وتعجب منه وقال : إلهى ومولاى أنت أعلم بخلقك ودعا ربه أن يرده كما كان ويكفيهم أمره فأوحى الله إلى عيسى –عليه السلام– قد كنت أعلمتك وتعرفت إلىّ فى حكمى وتدبيرى فخر عيسى –عليه السلام– ساجداً وعلم أنه لا يجرى فى هذا العالم أمر إلا وللمولى فيه حكم وتدبير .

[التحذير من عدم التوبة]

وعن بعض السلف أنه قال : إذا كان يوم القيامة احتمع القوم الذين كانوا يجالسون على غير طاعة الله ويتعاونون على المعاصى فيجثون على الركب ويعض بعضهم بعضاً وينهض بعضهم بعضاً كالكلاب وهم الذين خرجوا من الدنيا على غير توبة .

[أعظم الذنوب الغيبة]

قال الفقيه أبو الحسن على بن فرحون القرطبى(٢٨٤)– رحمه الله– فى كتابه المعروف بالزاهر(٢٨٥) كان لى عم وتوفى فى مدينة فاس سنة خمس وخمسين

---

٢٨٤ – أبو الحسن على بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن فرحون التونسى الأصل ، المدنى المولد والمنشأ المالكى ، فقيه ، محدث ، واعظ ، فرضى ، نحوى ، أديب ، شاعر ولد فى ٢٠ ربيع الأول سنة ٦٩٨ هـ وسمع الحديث ودخل دمشق والقاهرة وتوفى فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٧٤٦ هـ .

من تصانيفه نزهة النظر ونخبة الفكر فى شرح لامية العرب ، والزاهر فى المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر . [معجم المؤلفين (٧/٢٢٦، ٢٢٧)]

٢٨٥ – هذا الكتاب من مؤلفات بن فرحون نسبه له صاحب كشف الظنون (٢/٩٤٨) وكذلك نسبه إليه صاحب معجم المؤلفين (٧/٢٢٧) باسم «الزاهر فى المواعظ والحكايات والأحاديث والأخبار» .

وخمسمائة فرأيته بعد ذلك فى المنام وهو داخل فى دارى فقمت إليه ولاقيته بقرب الباب وسلمت عليه ودخل ودخلت خلفه فلما توسط فى البيت قعد وأسند ظهره إلى الجدار فقعدت بين يديه فرأيته شاحب اللون متغيراً فقلت له : ياعماه ماذا لقيت من ربك ؟ قال : ما يلقى من الكريم يابنى سمح لى فى كل شىء إلا فى الغيبة فإنى منذ فارقت الدنيا إلى الآن محبوس فيها ما سمح لى فيها فأنا أوصيك يابنى إياك والغيبة فما رأيت فى هذه الدار شيئاً أشد بطشاً وطلباً من الغيبة وتركنى وانصرف . وأنشدوا :

يموت كل الأنـــام طرا من صالح كان أو خبيث
فمستريح ومستـراح منـــه كما جاء فى الحديث

وقال سعيد بن جبير –رضى الله عنه– : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتابه فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه ولا يرى أعماله الصالحة فيقول : يارب هذا كتاب عيرى كانت لى حسنات وليست فى هذا الكتاب فيقال له : إن ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتيابك الناس .

فإياك ياأخى والغيبة والنميمة فإنهما يضران بالدين ويحبطان عمل العاملين ويورثان العداوة بين المسلمين أعاذنا الله منها .

الفصل الموفى ثلاثين

[التحذير من الغيبة بالقلب]

قال رسول الله -ﷺ- : «إن الله حرم من المسلم دمه وماله ، وأن يظن به السوء»(٢٨٦) .

فالغيبة بالقلب حرام كما هى باللسان حرام إلّا أن يضطر لمعرفته بحيث لا يمكنه التجاهل .

فحد الغيبة ما بيَّنه رسول الله -ﷺ- وهى أن تذكر أخاك بما يكرهه إن بلغه أو سمعه ، وإن كنت صادقاً سواء ذكرت نقصاً فى نفسه أو عقله أو ثوبه أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى داره أو فى دابته أو فى ولده أو فى عبده أو فى أمته أو فى شىء مما يتعلق به حتى فى قولك إنه واسع الكم طويل الذيل .

وقد ذكر رجل عند رسول الله -ﷺ- فقيل : ما أعجزه فقال : اغتبتموه(٢٨٧) .

وأشارت عائشة -رضى الله عنها- إلى صفية -رضى الله عنها- أنها كذا وأشارت بيدها -تعنى قصيرة- فقال رسول الله -ﷺ- اغتبتيها ياعائشة

٢٨٦- **حديث ضعيف** : عزاه الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٥٥٢/٧) إلى البيهقى فى «الشعب» من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجة نحوه بسند ضعيف أيضاً .

قال أبو على النيسابورى : ليس هذا عندى من كلام النبى -ﷺ- إنما هو عندى من كلام ابن عباس . انظر المغنى (١٧٥/٢) للعراقى ، وقد صح بمعناه عند مسلم .

٢٨٧- **حديث ضعيف** : أخرجه أبو الشيخ (١٨٦) فى التوبيخ ، وابن أبى الدنيا (٢٠٨) فى الصمت ، والطبرى (٨٧/١١) فى تفسيره ، وانظر المجمع (٩٤/٨) .

فقالت : يارسول الله أليست هى قصيرة ؟ قال : إنك ذكرت أقبح شيء فيها[٢٨٨] .

والغيبة لا تقتصر على اللسان بل كل ما يفهم عرضاً يكرهه المذكور إن بلغه أو سمعه باليد أو بالرجل أو بالإشارة أو بالحركة أو بالتعريض أو بالمحاكاة فهى غيبة ، وقد عظم الله تعالى أمر العيبة فقال : ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[٢٨٩] وقال تعالى : ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[٢٩٠] معناه الطاعن فى الناس الذى يأكل لحوم الناس .

وقال رسول الله - ﷺ - : «مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت ياجبريل : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يغتابون الناس»[٢٩١] . وقال رسول الله - ﷺ - : «ما النار فى اليبس بأسرع من العيبة فى حسنات العبد»[٢٩٢] .

٢٨٨- **حديث حسن** : أخرجه أبو الشيخ (١٩٩) فى التوبيخ ، وابن أبى الدنيا (٢٠٧) فى الصمت ، والطبرى (٨٧/١١) فى تفسيره ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٩٤/٦) .

٢٨٩- سورة الحجرات : الآية ١٢ .

٢٩٠- سورة الهمزة : الآية ١ .

٢٩١- **حديث صحيح** : رواه أحمد (٢٢٤/٣) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، وابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ١٠٤) رقم (١٦٥) واللفظ له ، وقال الشيخ الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥٣٣) : حديث صحيح .

وما بين المعكوفتين سقط استدركته من رواية ابن أبى الدنيا لأن هذا اللفظ له .

٢٩٢- **حديث ضعيف** : ذكره الغزالى فى الإحياء (١٤٥/٣) وقال عنه العراقى : لم أجد له أصلاً .

انظر : تذكرة الموضوعات (١٦٩) ، الأسرار المرفوعة (٣١٠) ، كشف الخفاء (٢٧٢/٢) .

[وصية الرسول لمعاذ فى الإخلاص]

وروى عن عبدالملك بن حبيب بإسناد عمن حدثه أنه قال لمعاذ : يامعاذ حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله -ﷺ- قال : قال لى رسول الله -ﷺ- : يامعاذ إنى أحدثك حديثاً إن أنت حفظته نفعك وإن ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة ، يامعاذ ، إن الله حلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء ملكاً بواباً عليها فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح إلى أن يمسى له نور كنور الشمس حتى إذا بلغت به إلى السماء الدنيا ذكرته[٢٧٣] وكثرته فيقول الملك الموكل بها للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من **اغتاب الناس** يجاوزنى إلى غيرى ، ثم يأتى الحفظة بعمل صالح من عمل العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء التانية فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بهذا العمل عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه **كان يفتخر على الناس** فى محالسهم قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة وقد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالتة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيره **إنه كان يتكبر على الناس** .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى وله دوى من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يحاوز به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وحه صاحبه ظاهره وباطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيره **إنه كان إذاعمل عملاً أدخل العجب فيه** . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة وصدقة

---

٢٩٣ - كذا بالأصل وبالإحياء (زكته) ولعل الصواب ما ورد بالإحياء .

وزكاة وحج وعمرة حتى يجاوز به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد **إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله** وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة كان يحسده أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه **إنه كان لا يرحم إنساناً ولا مسكيناً** من عباد الله قط أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى . وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصوم ونفقة وجهاد وورع له دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه إنى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به ربى **إنما أراد بعمله رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء** ، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى وكل عمل لم يكن لوجه الله خالصاً فهو رياء فلا يقبل الله عمل المرائى ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وعمرة وخلق حسن وذكر لله تعالى فتتبعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا الحجب كلها ويقفوا بين يدى الله تعالى فيشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول لهم الله تعالى : أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى ولعنة أهل السموات والأرض فيقول الملائكة كلهم : عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا ، فيلعنه السموات السبع [والأرض][٢٩٤] ومن فيهن . قال معاذ : قلت : يارسول الله ، أنت رسول الله وأنا معاذ قال : اقتد بى وإن كان فى عملك نقص يامعاذ احفظ لسانك من الوقيعة فى إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك ولا تحملها عليهم ، ولا تزك نفسك بذمهم ، ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل

٢٩٤- ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من الإحياء .

الآخرة ، ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ، ولا تناج رجلاً وعندك آخر ، ولا تتعظم على الناس ، ولا تمزق لحوم الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى : ﴿والنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[٢٩٥] هل تدرى ما هن يامعاذ ؟ قلت : ما هن بأبى وأمى يارسول الله ؟ قال : كلاب من نار تنشط العظم واللحم ، قلت : بأبى وأمى يارسول الله ، من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال : يامعاذ إنه يسير على من يسّره الله تعالى عليه » قال : فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث[٢٩٦] . والله أعلم .

٢٩٥- سورة النازعات : الآية ٢ .

٢٩٦- روى هذا الأثر ابن الجوزى فى الموضوعات (١٥٤/٣ - ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩) بطريقين والطريق الثانى هو الوارد هنا وقد قال عنه ابن الجوزى : « رواه أبو حاتم بن حبان وفيه عبدالواحد بن زيد ، قال يحيى ، ليس بشىء . وقال البخارى والنسائى والفلاس : متروك ، ويعقوب وأحمد والحسن وعلى بن إبراهيم لا يعرفون وبعدهم رجل مجهول » اهـ .

وأورده الغزالى فى الإحياء (٢٨٧/٣، ٢٨٨، ٢٨٩) وعلق عليه العراقى بقوله : عزاه المصنف إلى عبدالله بن المبارك فى الزهد وهو كما قال ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات . اهـ

الفصل الحادى والثلاثون

[التحذير من إيذاء المسلم لغيره]

قال رسول الله -ﷺ- : «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»[٢٩٧] وقال -ﷺ- : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[٢٩٨] . وقال -ﷺ- : «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له بقية جسده بالحمى والسهر»[٢٩٩] .

[الترغيب فى الصمت]

وقال رسول الله -ﷺ- : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْلِم فَلْيَلْزَم الصَّمْت»[٣٠٠] .

٢٩٧- **حديث صحيح** : رواه البخارى (٩/١) ، ومسلم (٦٥/١ - عبدالباقى) ح (٤١) ، وأحمد (١٦٣/٢) ، والترمذى (٢٦٢٧) ، وأبو داود (٢٤٨١) ، والنسائى (١٠٥/٨) ح (٤٩٩٥) ، والدارمى (٣٨٨/٢) ح (٢٧١٦) ، والبيهقى (١٨٧/١) ، والحاكم (١٠/١، ٥١٧/٣) ، وابن حبان (٢٢٧/١ - إحسان) ح (٢٣٠) ، والطبرانى (١١٣٧) ، والحميدى (٢٧١/٢) ح (٥٩٥) .

٢٩٨- **حديث صحيح** : رواه البخارى (٩٨/٢) ، ومسلم ١٩٩٦/٤ - عبدالباقى) ح (٢٥٨٠) ، وأحمد (٩١/٢) ، والترمذى (١٤٢٦) ، وأبو داود (٤٨٩٣) .

٢٩٩- **حديث صحيح** : رواه مسلم بلفظه (٢٠٠٠/٤) ح ٦٧ فى كتاب البر والصلة ، وأحمد (٢٧١/٤) ، وابن أبى شيبة (٢٥٣/١٣) ، والبغوى فى شرح السنة (٤٦/١٣، ٤٧) ح (٣٤٦٠) .

٣٠٠- **حديث ضعيف** : أخرجه البيهقى (٤٩٣٧) فى الشعب ، أورده الهيثمى فى (مجمع الزوائد) (٢٩٧/١٠) وقال عنه : رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه عثمان بن عبدالرحمن الوقاصى وهو متروك اهـ
=

وقال معاذ –رضى الله عنه– لرسول الله –ﷺ– : يارسول الله ، أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : «ثكلتك أمك ياابن جبل . وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم»(٣٠١) .

وقيل لعيسى –عليه السلام– دلنا على عمل ندخل به الجنة ؟ قال : لا تنطقوا أبداً . قالوا : لابد لنا من ذلك ، قال : فلا تنطقوا إلا بخير(٣٠٢) .

وقال –ﷺ– : «اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان»(٣٠٣) .

وقال –ﷺ– : «إن الله عز وجل عند لسان كل ناطق فليتق اللهَ امرؤ عندما يقول» .(٣٠٥) .

= ورواه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٨، ٣٩) ح (١١) وابن عساكر فى «تهذيب تاريخ دمشق» (٢/٦٦) ، وأورده الغزالى فى «الإحياء» (٣/١٠٦) وقال عنه العراقى فى «المغنى» (رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو الشيخ فى فضائل الأعمال والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف» اهـ .

٣٠١– **حديث صحيح** : رواه الترمذى مطولاً (٢٦١٦) ، وابن ماجة (٣٩٧٣) ، وأحمد (٥/٢٣١، ٢٣٧) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٢٨٦) ، وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٧) ح (٦) .

٣٠٢– رواه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٤٩) ح (٤٦) .

٣٠٣– **حديث ضعيف** : أخرجه ابن أبى الدنيا (٩١) فى الصمت ، والطبرانى (٢/٦٦) فى الصغير ، رواه الخطيب فى «تاريخه» (٧/٣٩٢، ٣٩٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٤/٢١٥) ، (١٠/٣٠١) .

٣٠٤– **حديث ضعيف** : ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٣/٢٣٤) ، وعبد الله بن المبارك فى الزهد (١٢٥) ، رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٨/١٦٠) ، والخطيب (٩/٣٢٩) .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٦/١٠٥) لابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد والحكيم الترمذى .

وقال -ﷺ- : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٣٠٥) .

وقال -ﷺ- : «رحم الله امرءاً قال خيراً أو صمت»(٣٠٦) .

وقال -ﷺ-: «إن [أكثر] خطايا ابن آدم فى لسانه »(٣٠٧) .

وقال -ﷺ- : «لسان العاقل وراء قلبه فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه فهو يتكلم بكل ما عرض له»(٣٠٨) .

٣٠٥- **حديث صحيح** : رواه البخارى (١٣/٨، ٣٩) ، ومسلم (٦٨/١ - عبدالباقى) ح (٧٤) ، والترمذى (٣٠٤/٤) ح (١٩٦٧) - وابن ماجة (٣٩٧١) ، وأحمد (٢٦٧/٢) ، وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٤٨) رقم (٤٢) .

٣٠٦- **حديث ضعيف** : رواه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٢٩٣) ح (١٦٦) ، وأورده السيوطى فى «الدرر المنتثرة» (ص ٢٥٠) ح (٢٤٣) وقال : أخرجه الديلمى بلفظ «رحم الله من تكلم فغنم أو سكت فسلم» اهـ .

٣٠٧- **حديث حسن** : رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ٤١) ح (١٨) وأبو نعيم فى الحلية (١٠٧/٤) ، وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣٠٠/١٠) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، وما بين المعكوفتين سقط استدركناه .

وذكره الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (٥٣٤) وقال : أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ فى أحاديثه وابن عساكر .

٣٠٨- أورده الغزالى فى الإحياء (١٠٧/٣) وقال عنه العراقى فى «المغنى عن حمل الأسفار» : لم أجده مرفوعاً وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال كانوا يقولون . اهـ

وقال -ﷺ- : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن يبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة»(٣٠٩) . وقال -ﷺ- : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى بها بالاً يرفعه الله بها إلى الجنة»(٣١٠) .

[إياك والعجب]

وإياك يا أخى والعجب فإنه مذموم ، كيف كان بالنفس أو بالفعل أو بالقول ولا تغتر بفعلك ولا بقولك فإن الله تعالى يقول : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(٣١١) .

وقال -ﷺ- : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى مُتبع ، وإعجاب المرء بنفسه»(٣١٢) .

٣٠٩- **حديث صحيح** : رواه أحمد (٣/٤٦٩) ، والترمذى (٢٣١٩) ، وابن ماجة (٣٩٦٩) ، ومالك فى الموطأ (٢/٩٨٥) ح (٥) ، وابن حبان (١٥٧٦- موارد) ، والحاكم فى المستدرك (١/٤٥، ٤٦) والحميدى (٩١١) .

وقد روى البخارى حديثاً يقارب هذا الحديث فى اللفظ (٨/١٢٥) .

وقد أورده الشيخ الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٨٨) .

٣١٠- **حديث صحيح** : رواه البخارى (٨/١٢٥) ، ومالك (٢/٩٨٥) ح (٦) وابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ٦٠) ح (٧٢) .

٣١١- سورة النجم : الآية ٣٢ .

٣١٢- **حديث حسن** : رواه البزار (١/٥٩، ٦٠ - كشف الأستار) ح (٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣) من طرق مختلفة ، والشجرى فى أماليه (٢/٢١٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣٤٣) ، (٣/٢١٩) ، (٦/٢٦٨، ٢٦٩) من طرق مختلفة ، والقضاعى فى «الشهاب» (٢/٢١٤، ٢١٥) ح (٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧) .

وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١/٩٠، ٩١) وعزاه إلى البزار والطبرانى فى الأوسط ، وذكره الغزالى فى «الإحياء» وعزاه العراقى إلى البزار والطبرانى وأبى نعيم فى الحلية=

وقال -ﷺ- : «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من الذنب وهو العجب»(٣١٣) .

وقيل لعائشة -رضى الله عنها- : متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت : إذا ظن أنه محسن(٣١٤) .

قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : الهلاك فى اثنين : القنوط والعجب(٣١٥) . وإنما جمع بينهما لأن القانط لا يطلب السعادة لقنوطه وأن المعجب لا يطلبها لظنه أنه ظفر بها .

وذكر عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال يوماً أنا من الراسخين فى العلم ، وقال - رضى الله عنه - يوماً : سلونى قبل أن تفقدونى ، فلما انصرف إلى منزله بعث الله له ملكاً على صورة آدمى فدق عليه الباب فخرج إليه عبدالله

=والبيهقى فى الشعب . وقال عنه الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الصحيحة » حديث حسن (١٨٠٢) .

٣١٣- **حديث حسن** : رواه القضاعى فى مسند الشهاب (٢/٣٢٠، ٣٢١) ح، (١٤٤٧) وابن عدى فى الكامل (٣/١١٥٢) ، وقال الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/٢٦٤، ٢٦٥) ح (٦٥٨) : قلت : هو حسن على الأقل بشاهده الآتى وغيره فقد أخرجه أبو الحسن القزوينى فى الأمالى (١/١٢) عن كثير بن يحيى قال حدثنا أبى عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مرفوعاً وهذا إسناد لا بأس به فى الشواهد ، رجاله ثقات غير يحيى والد كثير . اهـ

وذكره الغزالى فى «الإحياء» (٣/٣٥٩) وعلق عليه العراقى بقوله : رواه البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبى الصهباء قال البخارى منكر الحديث وقال أحمد حسن الحديث ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف جداً . اهـ

٣١٤- أورده العزالى فى «الإحياء» (٣/٣٥٩) .

٣١٥- أورد هذا الأثر الغزالى فى «الإحياء» ونسبه إلى ابن مسعود .

ابن عباس فقال له الملك : ياابن عباس ما تقول فى النملة مع صغرها فأين روحها فى مقدمها أو فى مؤخرها ؟ فلم يجد جواباً فدخل منزله وأغلق بابه وآلى على نفسه أن لا يدعى علماً أبداً[٣١٦] قال الله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣١٧] .

[لحن الأفعال ولحن المقال]

وذكر أنه حضر بعض النحوية فى مجلس ابن سمعون[٣١٨] الواعظ وكان من الزهاد فكان النحوى أخذ على الشيخ لحناً[٣١٩] فى لسانه وغلطاً فى كلامه فانقطع عنه النحوى ولم يأت إلى مجلسه فكتب إليه ابن سمعون : مالى أراك من الإعجاب رضيت أن تقف دون الباب ، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلى بعض المتأدبين : كتبت إلى من اعتمد على ضبط أقواله ، ولحن فى أفعاله أنك رفعت وخفضت وجزمت ونصبت وانقطعت . ألا رفعت إلى الله جميع الحاجات ، ألا خفضت صوتك عن المنكرات ، ألا جزمت نفسك عن الشهوات ، ألا نصبت بين عينيك ميراث الممات ، أما علمت أنه لا يقال غداً للعبد لم لم تكن معرباً وإنما يقال له لم كنت مذنباً ، ياهذا ، ليس المرغوب الفصاحة فى المقال ، وإنما الفصاحة فى الأفعال ولو كانت الفصاحة محمودة فى المقال دون الأفعال لكان هارون أولى بالرسالة عن موسى عليه السلام قال الله تعالى إخباراً عن قول موسى : ﴿وَأَخِى هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[٣٢٠] فجعلت الرسالة لموسى عليه السلام لفصاحة أفعاله و ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٣٢١] وأنشدوا :

---

٣١٦ – أثر فى مناقب ابن عباس لم أجده .

٣١٧ – سورة يوسف : الآية ٧٦ .

٣١٨ – ابن سمعون : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون ؛ زاهد ، واعظ ، يلقب بالناطق بالحكمة ، ولد ببغداد سنة ٣٠٠ هـ وتوفى بها ٣٨٧ هـ .
[الأعلام (٥/٣١٢)]

٣١٩ – لحناً : ألحن فى كلامه أى أخطأ . [اللسان (١٣/٣٧٩)] ط دار صادر

٣٢٠ – سورة القصص : الآية ٣٤ .

٣٢١ – سورة الأنعام : الآية ١٢٤ .

مُحارب فى الفِعَال ذُو زَلَلٍ حَتّى إِذَا جَاءَ قولُه وَزَنَه
قَالَ وقـدْ اكسبتَـه لفظتُـهُ تِيهَاً وعُجباً أَخْطأتَ باللَّحْنَة
قُلْتَ أَخْطَأَ الَّذى يقومُ غداً وَلَا يُرى فى كِتَابِهِ حَسَنَة

روى أن رجلاً نظر إلى بشر بن منصور الحافى[٣٢٢] -رضى الله عنه- وهو يطيل الصلاة ويحسن العبادة فلما فرغ قال له : لا يغرنك ما رأيت منى فإن إبليس -لعنه الله- عبد الله آلافاً من السنين ثم صار إلى ما صار إليه .

فمن سعادة المرء أن يقر على نفسه بالعجز والتقصير فى جميع أفعاله وأقواله .

وقيل : المهلكات أربع وهى : أنا ، ونحن ، ولى ، وعندى .

وقال رسول الله -ﷺ- : «النادم على الذنب كمن لا ذنب له»[٣٢٣] [وقال]:[٣٢٤] « النادم ينتظر الرحمة ، والمعجب ينتظر المقت من الله »[٣٢٥]. وقال أبو الدرداء -رضى الله عنه- إن ناقدت الناس ناقدوك ، وإن هربت منهم أدركوك .

٣٢٢- كذا بالأصل والصواب بشر بن منصور السليمى فقد أورد صاحب الإحياء هذا الأثر عنه (٣/٣٥٩) وأورده أيضاً أبو نعيم فى الحلية (٦/٢٤١) وأيضاً لأن بشر الحافى اسمه بشر بن الحارث وليس بن منصور .

وبشر بن منصور من عباد أهل البصرة [انظر ترجمته فى «حلية الأولياء» (٦/٢٣٩) ، وصفة الصفوة» (٣/٣٧٦)] .

٣٢٣- روى هذا الحديث بلفظ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ابن ماجة (٤٢٥٠) ، والبيهقى فى سننه (١٠/١٥٤) ، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/٢١٠) ، والشجرى فى أماليه (١/١٩٨) .

وقال عنه الشيخ الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الضعيفة» : حديث ضعيف .

٣٢٤- ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه .

٣٢٥- **منكر** : رواه ابن عدى فى «الكامل» (٦/٢٤٢٣) ، والشجرى فى «أماليه» (١/١٩٧) ، وأورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٤/٩٥) وعزاه إلى الأصبهانى .

فالعاقل من وهب نفسه وعرضه ليوم فقره ، وما تجرع مؤمن قط جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه ، فاعفوا يعزكم الله ، وإياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام .

وقال عبدالله بن مسعود –رضى الله عنه– : أعظم الخطايا الكذب وسب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يؤجر عليه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزية يعقبه خيراً منها(٣٢٦) .

[فضل التواضع]

وقال ابن عباس –رضى الله عنهما– : لما أخذ موسى –عليه السلام– الألواح نظر فيها وقال : إلهى أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحد قبلى ، فأوحى الله إليه أتدرى لم فعلت ذلك بك ؟ قال : لا . قال : نظرت إلى قلوب عبادى فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلبك فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ، ياموسى ، إنما أقبل من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف لسانه عن الشهوات لأجلى(٣٢٧) .

٣٢٦– هذا الأثر روى مرفوعاً إلى الرسول –ﷺ– فى خطبة خطبها فى غزوة تبوك فانظر إليها إن شئت فى الدر المنثور (٢/٢٢٤، ٢٢٥) .

٣٢٧– هذا الأثر من قوله (إنما أقبل من تواضع لعظمتى .. إلى قوله (وكف لسانه عن الشهوات لأجلى) رواه ابن أبى الدنيا فى التواضع والخمول (ص/١٤١) رقم (٨٦) وأورده الغزالى فى «الإحياء» (٣/٣٣١) .

[فضيلة العفو وكظم الغيظ]

وقال رسول الله -ﷺ- : «ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل ، ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»(٣٢٨) .

وحكى أن غلاماً لجعفر الصادق(٣٢٩) -رضى الله عنه- سكب الماء على يديه فى الطشت فطار الماء على ثوبه فنظر إليه جعفر نظرة منكرة فقال العبد : يامولاى ، ﴿والكَاظِمِينَ الغَيْظ﴾(٣٣٠) قال : كظمت غيظى ، فقال الغلام : ﴿والعَافِينَ عن النَّاسِ﴾(٣٣١) قال له : قد عفوت عنك ، فقال الغلام : ﴿والله

---

٣٢٨ - الحديث صحيح ولفظ المصنف موضوع أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب كما فى ضعيف الجامع (٥١٦٥)، رواه أحمد (٣٢٧/١) بلفظ « وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً» . وعزاه صاحب الكنز (٥٨٢١) لابن أبى الدنيا فى الصمت وصدر الحديث وهو قوله «ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل» رواه أحمد (١٢٨/٢) ، وابن ماجة (٤١٨٩) .

أما الجزء الأخير من الحديث وهو قوله «ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» رواه أبو داود (٤٧٧٨) ورواه بنحوه أحمد (٤٣٨/٣، ٤٤٠) ، وابن ماجة (٤١٨٦) ، والترمذى (٢٠٢١، ٢٤٩٣) ، والبيهقى (١٦١/٨) ، والطبرانى فى الكبير (٤٥٣/١٢) ، وابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (ص ٣٦) .

٣٢٩- جعفر الصادق : هو جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط ، الهاشمى القرشى ، أبو عبدالله ، الملقب بالصادق سادس الأئمة الأثنى عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة فى العلم ، له أخبار مع خلفاء بنى العباس وكان جريئاً عليهم ، صداعاً بالحق له رسائل مجموعة فى كتاب .. ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ وتوفى بها ١٤٨ هـ . [الأعلام (١٢٦/٢)]

٣٣٠- سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

٣٣١- سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

﴿يُحبُّ المُحْسِنينَ﴾[٣٣٢] فقال : اذهب أنت حر لوجه الله تعالى ولك من مالى ألف دينار .

[حامل القرآن]

وعن عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه– قال : ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخلطون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . وينبغى لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً ، حليماً سكوناً ، ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافياً ، ولا غافلاً ، ولا صخاباً ولا صياحاً ، ولا حديداً ولا منزعجاً[٣٣٣] .

[وصيـــة نفيســـة]

وقال بعض الزاهدين : اغتنموا من زمانكم خمساً : إن حضرتم لم تعرفوا ، وإن غبتم لم تنفقدوا ، وإن شهدتم لم تشاوروا ، وإن قلتم شيئاً لم يقبل قولكم ، وإن علمتم شيئاً لم تغيظوا به ، وأوصيكم بخمس أيضاً : إن ظلمتم لم تظلموا ، وإن مدحتم لم تفرحوا ، وإن ذممتم لم تجزعوا ، وإن كذبتم لم تغضبوا ، وإن خانوكم فلا تخونوا ، والله تعالى أعلم .

٣٣٢– سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

٣٣٣– رواه أبونعيم فى الحلية (١٣٠/١) .

الفصل الثانى والثلاثون

[الترهيب من الربا]

اعلم أن الربا من المهلكات وهو أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وأن أدنى الربا كالذى يزنى مع أمه والزنا مع الأم أعظم وزراً من سبعين زنية مع غيرها ، قال الله تعالى : **﴿ يأيّها الّذين آمنُوا اتّقوا اللّهَ وَذَرُوا ما بَقِىَ من الرّبا إن كُنتم مؤمنينَ ﴾**[٣٢٠] وقال تعالى : **﴿ الّذينَ يَأكلونَ الرّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الّذى يَتخبطهُ الشيطانُ مِن المسِّ ذلكَ بأنّهُم قَالوا إنّما البيعُ مِثلُ الرِّبا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرّمَ الرِّبا فَمن جاءَه موعظةٌ مِن رَّبّهِ فانتهى فلهُ مَا سلفَ وأمرهُ إلى اللهِ وَمَنْ عَادَ فأولئكَ أصْحَابُ النّار هُم فِيها خَالِدُونَ ﴾**[٣٣٥] .

وقال [سمرة بن][٣٣٧] جندب – رضى الله عنه –: كان النبى –ﷺ– إذا وثلاثين زنية فى الإسلام»[٣٣٦] .

وقال سمرة بن جندب[٣٣٧] –رضى الله عنه– : كان النبى –ﷺ– إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه المبارك وقال : هل رأى أحدكم رؤيا ؟ قلنا : لا يارسول الله فذكر –ﷺ– حديث الربا فقال : ثم انطلقنا حتى أتينا على نهر من دم وفيه رحل قائم وعلى شاطئ النهر رجل قائم وبين يديه حجارة [فأقبل الرجل

٣٣٤– سورة البقرة : الآية ٢٧٨ .

٣٣٥– سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

٣٣٦– **حديث صحيح** : رواه أحمد (٢٢٥/٥) ، والدار قطنى (١٦/٣) ، وأورده ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٣٧٣/٧) ، وقال الألبانى فى «صحيح الجامع الصغير» حديث صحيح .

٣٣٧– ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من صحيح البخارى (٧٧/٣) .

الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج][338] رماه الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه حجراً فرجع كما كان فسألت عنه فقيل لى : هذا آكل الربا يفعل به هكذا إلى يوم القيامة[339] .

وقال موسى -عليه السلام- : يارب ما جزاء من يأكل الربا ولم يتب منه ؟ قال : ياموسى ، أطعمه يوم القيامة من شجر الزقوم .

وأنشدوا :

أَيَـاذَا الّـذِى قَلْبُـــهُ مَيّتٌ	يَأْكُلِ الرِّبا ازدَجِـرْ وانْتَبِـه
فَكَمْ نَائِمٍ تَاهَ فِى غِبْطَتِهِ	أَتَتْـــهُ المنيــةُ فِى نَوْمَتِـــه
وَكَمْ من مُقيمٍ عَلَى لَـذَّةٍ	دَهَتْـهُ الحوادثُ فِى لَذَّتِـه
وَكَمْ مس جَديدٍ عَلَى ظَهْرِهـا	سَيَأْتِى الزَّمَانَ عَلَى جِدَّتِـه

[الترهيب من أكل الحرام]

وأما آكل الحرام فالله تعالى يقول فى كتابه العزيز : **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[340] :

وقال رسول الله -ﷺ- : «إن لله تبارك وتعالى ملكاً على بيت المقدس ينادى فى كل يوم وليلة من أكل حراماً لـم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يخرج ذلك الحرام من بيته فإن مات على ذلك فأنا برىء منه»[341] . وقال -ﷺ- :

٣٣٨- ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من مصادر تخريج الحديث .

٣٣٩- **حديث صحيح** : رواه البخارى (٣/٧٧) ، وأحمد (٥/١٤) ، والبيهقى فى سننه (٥/٢٧٥) .

٣٤٠- سورة البقرة : الآية ١٦٨ .

٣٤١- أورده الغزالى فى «الإحياء» (٢/٩٠) وعلق عليه العراقى بقوله : لم أقف له على أصل .

«أخرجوا الأمانة من بيوتكم وردوها إلى أربابها فإن لم تفعلوا فلن تنفعكم أعمالكم شيئاً ولا ينفعكم قول لا إله إلا الله مع الحرام فى البيت»[٣٤٢] .

وقال – ﷺ – : «من اكتسب درهماً حلالاً وأنفقه فى حلال غفر الله له كل ذنب إلا الربا والحرام»[٣٤٣] .

وقال – ﷺ – : «طلب الحلال فرض على كل مسلم أى بعد فريضة الإيمان»[٣٤٤] .

وقال – ﷺ – : «من أكل لقمة من الحرام لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً وكل لحم أنبته السحت والحرام فالنار أولى به»[٣٤٥] .

وقال – ﷺ – : «من كسب مالاً حراماً لم يقبل منه صدقة ولا عتقاً ولا حجاً ولا عمرة وكانت له بعدده أوزاراً وما بقى منه بعد موته كان زاده إلى النار»[٣٤٦] .

٣٤٢– لم أقف عليه .

٣٤٣– لم أقف عليه .

٣٤٤– **حديث ضعيف** : أخرجه البيهقى (٨٧٤١) فى شعب الإيمان ، والطبرانى (٩٩٩٣) فى الكبير ، وانظر : مجمع الزوائد (١٠/٢٩١) ، والبيهقى (٦/١٢٨) فى سننه .

٣٤٥– **حديث منكر** : ذكره الديلمى فى مسند الفردوس (٣/٥٩١) ح (٥٨٥٣) ، وانظر الإحياء (٢/٩٠) ، تنزيه الشريعة (٢/٢٦٧) ، والفوائد المجموعة (ص ٤٦) ح (٤٢٦) .

٣٤٦– **لم أقف عليه بهذا اللفظ** : ورواه أحمد بمعناه (١/٣٨٧) كجزء من حديث أوله : إن الله قسم بينكم أخلاقكم وذكره كذلك الغزالى فى الإحياء (٢/٩١) بنحوه أيضاً. وانظر : مجمع الزوائد (١٠/٢٩٢) .

وقال -ﷺ- : «لو أن رجلاً اشترى ثوباً بعشرة دراهم وكان فيهم حرام لم يقبل الله عمله حتى يؤديه إلى أهله»(٣٤٧) ويروى فى حديث آخر : «لم يقبل الله منه عملاً مادام شيء منه عليه»(٣٤٨) .

وقال -ﷺ- : «لا يدخل الجنة لحم ولا دم نبت من حرام أو خمر»(٣٤٩) .

[عاقبة الحرام]

وقال -ﷺ- : «لو أن أصحاب المال الحرام استشهدوا فى سبيل الله سبعين مرة لم تكن الشهادة له توبة ، وتوبة الحرام رده إلى أربابه والاستحلال منهم»(٣٥٠) .

وقال -ﷺ- : «من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه ويهديه الله فى الدنيا والآخرة»(٣٥١) .

وفى المناجات : أن الله تعالى قال لموسى -عليه السلام- : إن أردت أن تدعونى فصن بطنك عن الحرام وقل ياذا المن القديم والفضل العميم ، ياذا الرحمة الواسعة فإنى أجيبك فيما سألتنى .

٣٤٧- **حديث ضعيف جداً** : رواه أحمد (٢/٩٨) ، والخطيب (١٤/٢١) ، وقال الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (٢/٢٤٠) ح (٨٤٤): حديث ضعيف جداً .

٣٤٨- انظر التحريج السابق .

٣٤٩- لم أقف عليه بزيادة «أو الخمر» .

٣٥٠- لم أقف عليه .

٣٥١- **حديث ضعيف** : أورده العراقى فى الإحياء (٢/٩٠) وقال عنه: رواه أبو نعيم فى الحلية (٥/١٨٩) من حديث أبى أيوب (بلفظ) «من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى ، وقال حديث منكر . اهـ .

قلت : قال الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٨) : حديث ضعيف .

[الـورع]

وقال عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- : لو صمتم حتى تكونوا كالحنايا وصليتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز(٣٥٢) .

وقال بعض أهل العلم : «الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب»(٣٥٣) . فالحرام داء لا دواء له إلا الفرار إلى الرحمن من أكله .

وأنشدوا :

أشَبِّهُ مَنْ يتوبُ عَلَى حرامٍ   كَبيضٍ فاسدٍ تَحتَ الحَمَامِ
يطولُ عناؤُهُ فى غيرِ شُغْلٍ   وآخِره يقومُ بَلَا تَمَامِ
إذَا كَانَ المقامُ عَلَى حرامٍ   فَلَا مَعْنى لِتَطويلِ القِيامِ

[سبيل الطاعة أكل الحلال]

وقال يحيى بن معاذ(٣٥٤) -رضى الله عنه- : «الطاعة مخزونة فى خزائن الله ومفتاحها الدعاء وأسنانه أكل الحلال»(٣٥٥) .

فإذا لم يكن فى المفتاح أسنان فلا يفتح الباب وإذا لم يفتح الخزانة كيف يتوصل إلى ما فيها من الطاعة ، فصف لقمتك ، وأطب مضغتك حتى يتبين لك

٣٥٢- ذكر هذا الأثر الغزالى فى «الإحياء» (٩٢/٢) .

٣٥٣- أورد هذا الأثر الغزالى فى «الإحياء» (٩٢/٢) ونسبه إلى على بن أبى طالب -رضى الله عنه- .

٣٥٤- يحيى بن معاذ : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ، أبو زكريا : واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير فى وقته . من أهل الرى أقام ببلخ ، ومات فى نيسابور . له كلمات سائرة . توفى سنة ٣٥٨ هـ . [الأعلام (١٧٢/٨)]

٣٥٥- أورد هذا الأثر الغزالى فى «الإحياء» (٩٢/٢) .

مبيض صالح العمل من سواد خيط الأمل من فجر الأجل ثم أتم صيام الجوارح عن حرام طعام الأثام إلى ليل القيام فتفطروا على فوائد موائد ﴿**كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيْئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الْأَيَّامِ الخَالِيَةِ**﴾(٣٥٦) .

ومن لم يجتنب الحرام من الطعام أفطر بعد طول الصيام على مرارة حرارة ثمرة شجرة الزقوم ، فياله من طعام ما أعظم ضرره ! يُفتت الفؤاد ويقطع الأكباد ويمزق الأجساد ، ويورث الأنكاد فى الميعاد .

[الحرام يعمى البصيرة]

وقال سفيان بن عيينة(٣٥٧) –رضى الله عنه– كنت أقرأ الآية فيفتح لى فيها سبعون باباً من العلم فلما أكلت مال هؤلاء الأمراء صرت أقرأ الآية فلا يفتح لى فيها باب واحد .

فالحرام من القوت نار تذيب شحمة الفكر وتذهب لذة حلاوة الذكر وتحرق ثياب إخلاص النية ، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة وظلام السريرة فاكسب مالاً حلالاً وانفقه فى قصد ، واجتنب الحرام وأهله ولا تجالسهم ولا تأكل طعامهم ولا تصحب من كسبه من الحرام إن كنت صادقاً فى وعدك ، ولا تضيفن أحداً على الحرام فيأكله هو وتحاسب أنت عليه ، ولا تعنه أيضاً على طلبه فإن المعين شريك واعلم أنه إنما يتقبل من الأعمال من أكل الحلال ويتعلق بذلك كتمان الفاقة والحسرات وإخفاء الأنين والزفرات ، والركون إلى الخلوات .

٣٥٦– سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

٣٥٧– سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى ، أبو محمد : محدث الحرم المكى ، من الموالى . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفى بها . كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور . وحج سبعين سنة ، له «الجامع» فى الحديث ، وكتاب فى «التفسير» ولد ١٠٧ هـ ، وتوفى ١٩٨ هـ .
[الأعلام (١٠٥/٣)]

[التحذير من أكل مال اليتيم]

وأما أكل مال اليتيم فلو لم يكن إلا ما نطق به القرآن العظيم على لسان نبيه الكريم -ﷺ- أزكى تسليم حيث قال جل وعلا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾(٣٥٨) وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(٣٥٩) .

[الترهيب من الخيانة فى الميزان]

وأما الخيانة فى الكيل والوزن فاجتنب ذلك ياأخى ما استطعت فإن الله قد أمرك بالعدل فيهما فى قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣٦٠) وقال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٣٦١) .

فإيّاك ياأخى أن تغتبط بشىء من حقوق المسلمين فإن البركة لا تكون مع الخيانة وأن قليلاً من الحرام يتلف كثيراً من الحلال ، وإياك والخيانة فإنك إن خنت فى درهم واحد خانك إبليس -لعنه الله- فى سبعين درهما ، وقال رسول الله

٣٥٨- سورة النساء : الآية ١٠ .

٣٥٩- سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

٣٦٠- سورة هود : الآية ٨٥ .

٣٦١- سورة المطففين : ١:٣ .

- ﷺ - : «ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام من إذا ائتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب»[٣٦٢] .

وقال بعضهم : دخلت لعيادة جار لى ، كان يبيع الحنطة ، فلما قعدت عند رأسه سمعته وهو يقول : جبلان من نار ، جبلان من نار ، فسألت زوجته فقالت : إنه كان له مدان[٣٦٣] أحدهما كبير والآخر صغير ، فإذا ابتاع من أحد شيئاً اكتال بالمد الكبير ، وإذا باع هو لأحد شيئاً كال له بالمد الصغير ، فقلت : إن المدين هما اللذان تصورا له جبلين من نار .

قيل : وكان رجل لبان يخلط اللبن بالماء فجاء سيل فذهب بالغنم فجعل يبكى ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ولسان الحال يناديه : ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾[٣٦٤] .

[السرقة والخيانة]

واعلم أن السرقة والخيانة أمران مهلكان ضاران بالدين .

وفى المناجات : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : ستة فى نارى وغضبى أولهم من طال عمره ، وساء خلقه ، وغنيٍ سارق ، وعالم فاسق ، ومن

٣٦٢- **حديث صحيح** : رواه مسلم (٥٩) ، والبيهقى (٢٨٨/٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٧٢/١، ٧٣) ح (٣٦) ، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠٧/١) لأبى يعلى ، وعزاه الهندى فى كنز العمال (٨٥٥) إلى رسته فى الإيمان ولأبى الشيخ فى التوبيخ . كما عزاه الهندى أيضاً فى كنز العمال (٨٦٥) إلى الخرائطى فى «مكارم الأخلاق» .

قلت قد وجدته فى «مساوىء الأخلاق للخرائطى (ص/١٢٣، ١٢٤) ح (٣٠٤) ، ورواه أيضاً أبو نعيم فى «الحلية» (٢٥٥/٦) وابن أبى شيبة (٤٠٦/٨) ح (٥٦٦٥) .

٣٦٣- المدُّ : ضرب من المكاييل وهو ربع صاع ، وهو قدر مد النبى - ﷺ - ، والصاع : خمسة أرطال . [اللسان (٤٠٠/٣) ط دار صادر

٣٦٤- سورة الحج : الآية ١٠ .

أتانى على غير توبة ، ومن لقينى بدم مؤمن متعمداً ، ومن منع حق امرء مسلم وأكله غصباً .

[إياك والغش]

وقال -ﷺ- : «من غشنا فليس منا»(٣٦٥) . وقيل : إنه وجدت صخرة ببيت المقدس عليها مكتوب ست كلمات :

كل عاص مستوحش ، وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل مقتنع غنى ، وكل حريص فقير .

وقيل : مر رسول الله -ﷺ- برجل من أصحابه وهو يضرب عبداً والعبد يقول له : أسألك بوجه الله العظيم ألا ما تركتنى وهو يزيد فى ضربه فسمع رسول الله -ﷺ- صياح العبد فانطلق إليه فلما رآه السيد أمسك فقال له رسول الله -ﷺ- : «سألك بوجه الله العظيم فلم تعف عنه فلما رأيتنى أمسكت يدك ؟!» فقال : يارسول الله -صلى الله عليك وسلم- أشهدك أنه حر لوجه الله العظيم فقال له رسول الله -ﷺ- : «لو لم تفعل للفحت النار وجهك»(٣٦٦) .

٣٦٥- **حديث صحيح** : رواه مسلم (٩٩/١ - عبدالباق) ح (١٠١) ، وأحمد (٥٠/٢) ، والترمذى (١٣١٥) ، وأبو داود (٣٤١٥) ، وابن ماجة (٢٢٢٤) ، والحاكم (٨/٢، ٩) ، والبيهقى فى سننه (٣٢٠/٥) ، وابن حبان [(١١٠٧) موارد] ، والطبرانى فى الكبير (١٦٩/١٠) ح (١٠٢٣٤) ، وفى الصغير (٢٦١/١) ، وابن أبى شيبة فى المصنف (٢٩٠/٧) ، وأبو نعيم فى الحلية (١٨٨/٤ ، ١٨٩) ، والدارمى (٣٢٣/٢) ح (٢٥٤١) .

٣٦٦- **حديث ضعيف بهذا اللفظ** . وقد صح معناه كما سيأتى . أورده الغزالى فى «الإحياء» (٢٢٠/٢) وعلق عليه العراقى بقوله : رواه ابن المبارك فى الزهد مرسلاً وفى رواية لمسلم (١٦٥٩) فى حديث أبى مسعود الآتى ذكره فجعل يقول : أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفى رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار . اهـ

[التحذير من الحلف الكاذب]

فإياك والتعرض لمقت الله بكثرة الأيمان فإن الله تعالى يقول : ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾(٣٦٧) وأما الأيمان الكاذبة فإنه روى عن رسول الله -ﷺ- أنما الحلف حنث أو ندم(٣٦٨) .

وفى الإسرائيليات : أن موسى -عليه السلام- قال : يارب ما لمن يحلف بك كاذباً ؟ قال : اجعل لسانه بين جمرتين أحقاباً(٣٦٩) . قال : يارب فما على من اقتطع مال مسلم بيمين فاجرة ؟ قال : اقطع حظه من الجنة .

وقال رسول الله -ﷺ- : «إن الله أذن لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه فى تخوم الأرض السفلى وعنقه منثى تحت العرش فيرفع رأسه وهو يقول : إلهى ما أعظمك فيقول الله تعالى : ما عرف ذلك من حلف لى كاذباً»(٣٧٠) .

٣٦٧- سورة البقرة : الآية ٢٢٤ .

٣٦٨- **حديث ضعيف** : رواه ابن ماجة (٢١٠٣) ، وقال عنه الألبانى فى «ضعيف سنن ابن ماجة» (ص/١٦٢) رقم (٤٥٧) : حديث ضعيف .

٣٦٩- أحقاباً : مفرد : حقب والحقب ثمانون سنة وقيل أكثر ، قال الفراء : والسنة ثلثمائة وستون يوماً واليوم منها ألف سنة عدد سنين الدنيا قال وليس هذا مما يدل على غاية كما يظن بعض الناس وإنما يدل على الغاية التوقيت ، خمسة أحقاب أو عشرة .

[اللسان (٣٢٦/١) ط دار صادر

٣٧٠- **حديث صحيح** : رواه الحاكم فى المستدرك (٢٩٧/٤) وعزاه الشيخ الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة إلى الطبرانى فى الأوسط وقال : حديث صحيح .

[الترهيب من شرب الخمر]

وأما شرب الخمر فإنه من أكبر الكبائر ، وعن رسول الله -ﷺ- أنه كان يقول : «من شرب الخمر شربة لم يقبل منه صلاة سبعة أيام ، ولم يقبل منه صيام»(٣٧١) .

[آثار شرب الخمر]

واعلم أن فى شربها عشر خصال مذمومة .

أولها : أنها تذهب عقل شاربها حتى يصير مضحكة للصبيان ومهاناً كما روىٰ عن ابن أبى الدنيا أنه قال : رأيت سكراناً يبول ويمسح وجهه ببوله وهو يقول : اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين . ورأى سكراناً وقد تقايا والكلب يلحس فاه والسكران يقول : اكرمك الله ياسيدى كرامة أوليائه .

والخصلة الثانية : أنها تتلف المال وتفسده وتعقب الخمل كما قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- : «اللهم أرنا رأيك فى الخمر»(٣٧٢) فإنها متلفة للمال ومذهبة للعقل .

والثالثة : أنها توقع العداوة والبغضاء ، قال الله العظيم : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن**

٣٧١- **حديث ضعيف** : رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٤٠٤) ح (١٣٤٩٢) ، وقال عنه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/٤١) : حديث لا يصح .

٣٧٢- **خبرٌ صحيحٌ** : أخرجه أحمد (١/٥٣) ، وأبو داود (٣٦٧٠) ، والترمذى (٣٢٤٢) ، والنسائى (٨/٢٨٦) ، قال على بن المدينى : هذا إسناد صالح صحيح ، انظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٥) .

ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٣٧٣] ويريد انتهوا عنهما . قال عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– يارب انتهيت يارب[٣٧٤] .

والرابعة : تحرم صاحبها لذة الطعام وصواب الكلام .

والخامسة : أنها تحرم عليه زوجته فتكون معه على الزنا وذلك أن أكثر كلامه بالطلاق فربما حنث ولم يشعر فيكون معها زانياً فإنه روى عن بعض الصحابة أنه قال : من أنكح ابنته شارب خمر فقد ساقها للزنا .

والسادسة : أنها مفتاح كل شيء توقعه فى جميع المعاصى كما روى عن عثمان –رضى الله عنه– أنه قال فى خطبته : سمعت النبى يقول «أيها الناس اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث »[٣٧٥] .

والسابعة : أنه يؤذى حفظته بإدخالهم فى مجلس الفسق والفجور والروائح الكريهة .

والثامنة : أنه أوجب على نفسه الحد ثمانين جلدة فإن لم يُضربها فى الدنيا ضرب فى الآخرة على رءوس الأشهاد .

والتاسعة : أنه تسد دونه أبواب السماء ولا يرفع له عمل ولا دعاء أربعين يوماً .

٣٧٣– سورة المائدة : الآية ٩١ .

٣٧٤– حلية الأولياء (٤/١٤٥) .

٣٧٥–أخرجه ابن حبان (٣٦٧/٧ – الإحسان) ، والبيهقى (٢٨٧/٨) وما بين المعكوفتين سقط اثبتناه .

والعاشرة : أنه خاطر بنفسه ودينه فيخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند الموت كما روى عن بعضهم أنه قال : رأيت إنساناً يجود بنفسه عند الموت وهو يقال له : قل لا إله إلا الله فكان يقول : اشرب واسقنى .

وذكر عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- أنه قال : إذا مات العبدِ المخمر فادفنوه واحبسونى ، واحفروا عليه فإن لم تجدوا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاضربوا عنقى(٣٧٦) .

فهذه عقوبته فى الدنيا ، وأما عقوبته فى الآخرة فإنها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وعصارة أهل النار إلى غير ذلك من العذاب والنكال أعاذنا الله منه .

[تارك الصلاة]

وأما ما أعد الله لتارك الصلاة على صحة البدن فمنه ما روى عن عبدالله بن عباس -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله -ﷺ- : «ليس بين الكافر والمؤمن إلا ترك الصلاة»(٣٧٧) .

فإن تارك الصلاة على صحة البدن [كما روى عن رسول الله ﷺ](*) يبتليه الله بخمسة عشر عقوبة منه ستة فى الدنيا ، وثلاثة عند موته ، وثلاثة فى قبره ، وثلاثة عند لقاء ربه .

فأما التى تصيبه فى الدنيا [**فأولها**] : يرفع الله البركة من عمره .

[**والثانية**] : يرفع الله البركة من رزقه .

[**والثالثة**] : تزول سمحة الخير من وجهه .

[**والرابعة**] : كل عمل يعمله لا يقبل منه شىء .

٣٧٦-لم أقف عليه .

٣٧٧- **حديث صحيح** : أخرجه النسائى (٢٣٢/١) بمعناه ، وابن ماجة (١٠٨٠) ، والدارمى (٢٨٠٨) ، والدارقطنى (٥٣/٢) وغيرهم .

(*) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه .

[**والخامسة**] : كل دعائه لا يسمع منه شيء .

[**والسادسة**] : لا حظ له فى الإسلام .

قيل : يارسول الله فما الثلاثة التى تصيبه عند الموت ؟ قال - ﷺ - :

[**فالأولى**] : يموت ذليلاً حيراناً .

[**والثانية**] : لا يدرى على أى دين يموت .

[**والثالثة**] : ويموت عطشان جوعان ولو سقى أنهار الدنيا كلها ماروى.

قيل : يا رسول الله فما الثلاثة التى تصيبه فى قبره ؟

قال : [**الأولى**] : ظلمة القبر .

[**والثانية**] : ضيقته .

[**والثالثة**] : مسألة منكر ونكير .

قيل : يارسول الله ، فما الثلاثة التى تصيبه عند لقاء ربه ؟ قال :

[**الأولى**] : يلقى الله تعالى وهو غضبان عليه .

[**الثانية**] : يبعث الله له ملكاً يكبه على وجهه فى النار .

[**الثالثة**] : ويعذبه الله فى النار بالوادى الذى يقال له ويل، قال الله تعالى:

﴿فَوَيلٌ للمُصَلِّينَ الذينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٣٧٨] »[٣٧٩] .

وقال - ﷺ - : « عشرة من أمتى سخط الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً عظيماً ويأمر الله بهم يوم القيامة إلى النار ، قيل : من هم يارسول الله ؟ قال :

٣٧٨- سورة الماعون : الآية ٤:٥ .

٣٧٩-أورده صاحب تنزيه الشريعة (١١٣/٢) من حديث أبى هريرة . وذكر عقبة : قال فى الميزان : (حديث باطل ركّبه محمد بن على بن العباس على أبى بكر بن زياد النيسابورى . وقال فى اللسان : هو ظاهر البطلان من أحاديث الطُرقِية) ا.هـ .

أولهم : الشيخ الزانى ، **والثانى** : الإمام الظالم ، **والثالث** : مدمن الخمر ، **والرابع** : مانع الزكاة ، **والخامس** : الشاهد الزور ، **والسادس** : الماشي بين الناس بالنميمة ، **والسابع** : الذى ينظر لوالديه نظرة الغضب ، **والثامن** : من يطلق زوجته ثم يمسكها على الحرام ، **والتاسع** : الذى يحكم بالجور ، **والعاشر** : تارك الصلاة على صحة البدن(٣٨٠) .

وسئل ابن عباس –رضى الله عنهما– عن تارك الصلاة على صحة البدن هل يقبل منه التوحيد أو لا ؟ قال : من لا صلاة له لا توحيد له ، ومن لا صلاة له لا زكاة له ، ومن لا صلاة له لا صيام له(٣٨١) ، قال الله تعالى : ﴿**أضاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَونَ غَيًّا**﴾(٣٨٢) وغياً : واد فى جهنم لا يدخله إلا تارك الصلاة .

وقال ابن عباس –رضى الله عنهما: أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن الصلاة فإن قبلت منه قبل سائر عمله ، وتارك الصلاة على صحة البدن إذا رفع اللقمة من القصعة تنادى : رفعنى عدو الله إلى فم لا يذكر الله .

وتارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادته ولا يحل لمسلم أن يؤاكله ولا يزوجه ابنته ولا يدخل معه تحت سقف . وتارك الصلاة على صحة البدن يأتى يوم القيامة مكتوب على جبهته ثلاثة أسطر الأول : يامضيع حق الله ، والثانى : يامخصوصاً بغضب الله ، وفى الثالث : كما ضيعت حق الله فايئس اليوم من رحمة الله .

٣٨٠–لم أقف عليه .

٣٨١– لم أقف عليه .

٣٨٢– سورة مريم : الآية ٥٩ .

وجاء فى الخبر : أن النار تقول لتارك الصلاة : أنت لى ولى ياليت أن الله جمع بينى وبينك فأنتقم للصلاة ، أنت عدو للصلاة والله عدو لك ، وتقول له الجنة : ياعدو الله ضيعت أمانة الله وتهاونت بفريضة الله فإنى محرمة عليك حين يأتى عباد الله منى حيث يشاءون ، ما جرت أنهارى ، وتجاوبت أطيارى ، وسطع نورى وتزين حورى فأنا وجميع ما فى من الحور والسرور والولدان والقصور حرام عليك أبد الأبدين .

كمل كتاب بحر الدموع والحمد لله وإليه الرجوع والصلاة والسلام على مولانا محمد ذى المجد والمقام المرفوع وعلى آله وأصحابه أولى الإخلاص لله والخشوع أمين وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وغفر الله لكاتبه ومشايخه ولإخوانه ولجميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين أمين .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
تقديم	٣
مقدمة التحقيق	٥
ترجمة ابن الجوزى	١٥
عملى فى الكتاب	٢٠
مقدمة المصنف	**٢٣ - ٣٢**
الحث على ذكر الله	٢٤
التحذير من العصيان	٢٧
حكاية لمالك مع مذنب	٢٨
فروا إلى الله	٢٩
توبة عبد يخشى الله	٢٩
التائب حبيب الله	٣٠
فضل قيام الليل	٣٠
سعة رحمة الله	٣١
الفصـــل الأول	**٣٣ - ٤١**
انتبه يا أسير الدنيا	٣٣
يا من باع الباقى بالفانى	٣٣
فضل البكاء من خشية الله	٣٦
خدعتك الدنيا وأنت لا تسمع ولا تبصر	٣٧
مجوسى تدركه رحمة الله فيسلم	٣٧
الترهيب من الغفلة	٣٨

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع والعشرون	**١٤١-١٤٨**
من أكبر الكبائر : الزنا	١٤١
غلبة الهوى	١٤٦
كرامة عابد متعفف	١٤٦
التحذير من النظر	١٤٨
الفصل الثامن والعشرون	**١٤٩-١٥٣**
فضيلة الصمت	١٤٩
النهى عن تتبع عورات الناس	١٥١
من مناقب أبى حنيفة	١٥٣
الفصل التاسع والعشرون	**١٥٤-١٥٩**
ذم الغيبة	١٥٤
ذم النميمة	١٥٥
وصية نفيسة لأعرابية	١٥٦
حكمة الأقدار	١٥٧
التحذير من عدم التوبة	١٥٨
أعظم الذنوب الغيبة	١٥٨
الفصل الثلاثون	**١٦٠-١٦٤**
التحذير من الغيبة بالقلب	١٦٠
وصية الرسول لمعاذ فى الإخلاص	١٦٢
الفصل الحادى والثلاثون	**١٦٥-١٧٤**
التحذير من إيذاء المسلم لغيره	١٦٥
الترغيب فى الصمت	١٦٥
إياك والعجب	١٦٨
لحن الأفعال ولحن المقال	١٧٠

الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٠ / ١٩٩٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-5211-25-5

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت . ٣٤٢٧٢١ - ص ب ٢٣٠

تلكس DWFA UN ٢٤٠٠٤

